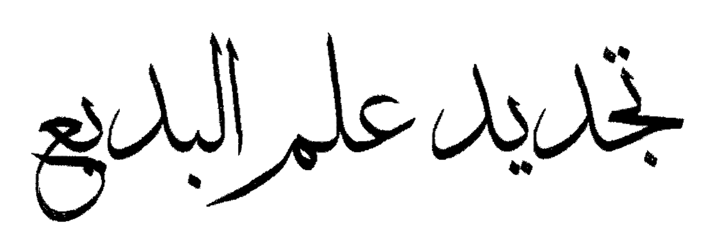


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
تجديد
علم البديع
بشواهد الأدب الحديث
تأليف / عمر مصطفاي
دار العلم والمعرفة


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

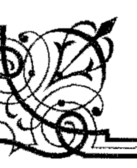


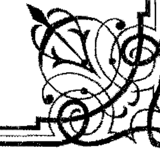
بشواهد الأدب العربي الحديث

تأليف

عمر مصطفاي










اسم الكتاب : تجديد علم البديع
تأليف : عمر مصطفاي
القطع : ١٧ X ٢٤
عدد الصفحات : ٣٢٠ صفحة
سنة الطبع : ١٤٤٢ هـ / ٢٠٢١ م (طبعة جديدة)
الناشر : مكتبة التقوي ناشرون للطبع والنشر والتوزيع
طباعة : دار العلم والمعرفة - القاهرة

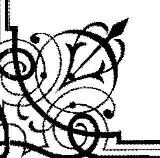
رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية - مصر
2021/13219
الترقيم الدولي :978-977- 6665-83-5







للطبع والنشر والتوزيع
8 شارع البيطار خلف الجامع الازهر
تليفون/ 0020225141704
موبيل/ 00201030025460
الإدارة/ 00201001592271 — 00201223888930
E-mail: dar_altakoa@hotmail.com
E-mail: Almmarfa@gmail.com





الإهـداء

إلى روح أبي الطاهرة..

إلى أمي الحبيبة..

إلى زوجتي قرة عيني..

إلى ولدي العزيز محمد سراج الدين..

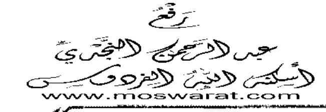
وإلى ابنتي الغالية لينة..

إلى كافة أفراد أسرتي...

إلى كل الأقارب، والأصدقاء، والزملاء.. وأخص بالذكر الأساتذة: محمد الأمين حمُّودي، بولنوار كريفيف، محمد بلعيدي، محمد رضوان.

أهدي هذا الكتاب





مقـدمة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ خير خلق الله، من آتاه الله جوامع الكلام، وخصَّهُ بمعجزة القرآن.

وبعد:

لا أحد ينكرُ أنّ علماءَ البلاغة في العصر القديم قد كرَّموا في مصنّفاتهم فرسان اللسان، وملوك البيان بأوسمة الفخر، ورصَّعُوا تيجانهم بجواهر المجد والعظمة.

أما في العصر الحديث فإن «دار لقمان بقيت علىٰ حالها»، ذلك أن العديد ممَّا تمَّ تأليفه في البلاغة عمومًا، وفي علم البديع خصوصًا جعل من البلاغة ذلك العلم الذي «ما زال يتربع في برجه العاجي»، لا يُقبل عليه إلا المتخصصون، وذلك بسبب توظيف تلك الشواهد الشعرية القديمة التي تتوفر علىٰ نصيب لا بأس به من الغموض والتعقيد. إن الشواهد القديمة التي عجَّت بها كتب البلاغة الحديثة هي - بلا شك - خوالدُ بيانيةٌ رائعة، غير أنها - وإنْ كانت بحقٍّ معجزات - فهي ليست بمعجزاتِ كلِّ زمان، فتلك الشواهد كانت نتاج بيئة قديمة، وعصر قديم، مضىٰ عليه أكثر منْ ألف سنة.

إن أجيالنا المعاصرة بحاجة ماسة إلىٰ تحديث، وتجديد الدرس البلاغي بوسَاطة شواهد جديدة، نابعة من عصره وبيئته، وذوقه وفطرته، كي يفهم الدرس أولًا، ويتذوق شواهده ثانيًا. لهذا قمنا - بعد صدور الكتاب الأول المخصص لعلم البيان - بتأليف الكتاب الثاني من سلسلة (تجديد علوم البلاغة

بشواهد الأدب الحديث)، والذي خصصناه لعلم البديع، حيث بسّطنا قواعده هو كذلك، وقفّيناها بعشرات الشواهد الأدبية، ما بين تحليل وتطبيق وتمرين.

وفي الأخير أودُّ القول إنني لا أدّعي العصمة من الخطأ، أو البراءة من الزلل، فلله وحده الكمال، وهو وليّ التوفيق.

المؤلف



المحسّنات اللفظية



الجِنَـاس

تعريف الجِنَاس: الجِنَاسُ في اللُّغة: هو المُشَاكَلَة، أو الاتِّحَاد في الجِنْس، يُقَال: جَانَسَهُ أيْ شَاكَلَهُ، واشْتَرَكَ مَعَهُ في جِنْسِهِ، وجنسُ الشَّيء أصْلُهُ.

الجناسُ في **الاصطلاح**: عرَّفَهُ السَّكَاكِي بقوله: «هُوَ تَشَابُهُ الكَلِمَتَيْنِ فِي اللَّفْظِ»، وعرَّفَهُ المُحْدِثُون تعريفًا أكثرَ دِقَّة، فقالوا: «هُوَ أنْ يَتَشَابَهَ اللَّفْظَانِ في النُّطْق، ويَخْتَلِفَا في المَعْنَىٰ»[١].

أنواع الجناس:

١- **الجناس التام**: وهو ما اتَّفَقَ فيه اللَّفظان المُتَجَانِسَان في أمُورٍ أرْبَعَة، هي: نَوْعُ الحُرُوف، وعَدَدُهَا، وشَكْلُهَا، وتَرْتِيبُهَا، مَعَ اخْتِلافِ المَعْنَىٰ.

شواهد الجناس التام:

قال محمود غنيم واصفًا مدينة الإسكندرية إبان الحرب العالمية الثانية:

الشَّطُّ دَاجٍ وَالسُّكُونُ مُخَيِّمُ ... مَا بَالُ ثَغْرِ الثَّغْرِ لَا يَتَبَسَّمُ؟

ذكر الشاعر لفظة (ثَغْر) مرتين، وهما لفظتان متفقتان في أمور أربعة هي: نوع الحروف، وشكلها، وترتيبها، وعددها، ولكن معنىٰ الأولىٰ غيرُ الثانية: فالأولىٰ بمعنىٰ الفم، والثانية يقصد بها مدينة الإسكندرية الساحلية، التي أُطفئتْ أنوارُها في مبدأ الحرب، وفي اللغة تطلق كلمة الثغر علىٰ المدن الساحلية، أو الموضع الذي يُخاف منه هجوم العدو، وجمعها ثغور.

---

(١) لباب البديع الدكتور محمد حسن شرشر (ص ١٤٨).

وقال محمود غنيم مخاطبًا (حبيبه)، وقد أهدىٰ إليه صورتهُ الفوتوغرافية:

خَلَّفْتَنِي أَبْكِي الرُّسُومَ، وَإِنْ يَكُنْ عَصْرُ البُكَاءِ عَلَى الرُّسُومِ تَصَرَّمَا

لا شك أنك لاحظت الاتفاق في لفظتي (الرُسُوم) في نوع الحروف، وعددها، وشكلها، وترتيبها، مع اختلافها في المعنىٰ، فالرسوم (الأولىٰ) تعني الصُّوَر، أما (الثانية) فيُراد بها الأطلال.

وقال محمود غنيم:

غَدَتْ تَصْهَرُ النَّاسَ مِثْلَ الجَلِيدِ ولَكِنَّ فِي مِصْرَ شَعْبًا جَلِيدَا

فكلمة (الجليد) في الشطر الأول مقصود بها النَّدىٰ المتجمد، وفي الشطر الثاني (جليدا): أي صبُورًا علىٰ الشدائد.

وقال غنيم في رثاء الشاعر إبراهيم ناجي:

نَاجِي: بِبَطْنِ الأَرْضِ نَاجِ أَحِبَّتِي وَانْقُلْ إِلَيْهِمْ فِي الثَّرَى أَشْوَاقِي

(نَاجِي): لقب الشاعر الفقيد، و(ناجِ): فعل أمرٍ من المناجاة.

قال أحمد شوقي في قصيدة (علىٰ سفح الأهرام):

قِفْ نَاجِ أهْرَامَ الجَلَالِ ونَادِ هَلْ مِنْ بُنَاتِكَ مَجْلِسٌ أوْ نَادِ؟

وأنت تلاحظ اتفاق لفظتي (نادِ) في نوع الحروف، وعددها، وشكلها، وترتيبها، مع اختلاف معنىٰ كلٍّ منهما، فالأولىٰ من المناداة، والثانية من الاجتماع.

وقال أمير الشعراء:

عَظِيمُ النَّاسِ مَنْ يَبْكِي العِظَامَا وَيَنْدُبُهُمْ ولَوْ كَانُوا عِظَامَا

الشاهد في الجناس التام: (العِظَامَا - عِظَامَا)، الأولىٰ جمع (عظيم)، والثانية جمع (عظْم).

قال الشاعر الفلسطيني عمر اليافيّ:

يَا طَلْعَةَ الأَفْلَاكِ هَاجَ البَحْرُ مِنْ دَمْعِي وَسَارَتْ فِي الهَوَى أَفْلَاكِي

لعلك تلاحظ اتفاق لفظتي (أفْلَاك) في نوع الحروف، وعددها، وشكلها، وترتيبها، مع اختلاف معنىٰ كلٍّ منهما، فالأولىٰ جمع (فَلَك)، وهو مدار النجوم، والثانية جمع (فُلْك)، وهو السفينة.

قال الشاعر اللبناني عمر الأنسي مهنئًا قدوم صديقه من سفر:

بِشْرُ لِقَا الأَحِبَّةِ حِينَ حَيَّا دَعَا مَيْتَ الهَوَى العُذْرِيِّ حَيَّا

وَدَاعِي البِشْرِ بِالأَحْبَابِ نَادَى أَلَا حَيَّا عَلَى الأَفْرَاحِ حَيَّا

أَدَارَ لَنَا سُلَافَ هَنًا وَأُنْسٍ فَكَمْ أَحْيَا الهَنَا دَارًا وَحَيَّا

وردت كلمة (حَيّا) في الأبيات أربع مرات، وهي ألفاظ أربعة متفقة في نوع الحروف وعددها وشكلها وترتيبها، لكنها مختلفة في المعنىٰ: فالأولىٰ بمعنىٰ: التحية، والثانية بمعنىٰ الحياة، والثالثة اسم فعل أمر بمعنىٰ (أقبلْ)، والرابعة يعني بها حيًّا من الأحياء.

قال الشاعر القروي في غرض المدح:

مَا قَطُّ كَلَّمَهُمْ إلَّا وَكَلَّمَهُمْ كَأَنَّ أَلْفَاظَهُ مِنْ حَدِّ صَمْصَامِ

لعلك لاحظت اتفاق لفظتي (كَلَّمَهُمْ) في نوع الحروف، وعددها، وشكلها، وترتيبها، مع اختلاف معنىٰ كلٍّ منهما، فالأولىٰ من الكلام، والثانية من (الكُلُوم)، أي الجُروح.

وقال الشاعر القروي يصف جمال لبنان:

وَصَوَادِحُ الأَطْيَارِ كَمْ مِنْ (مَعْبَدٍ) مِنْهَا يُسَبِّحُ رَبَّهُ فِي مَعْبَدِ

حيث اتفقت لفظتا (مَعْبَد) في نوع الحروف وعددها وشكلها وترتيبها، في

حين اختلف المعنىٰ، فـ (مَعْبَد) الأولىٰ يعني بها الشاعرُ (معبدَ بنَ وهب)، كبيرَ مغنِّي العصر الأمويّ، وقد حفلت كتب الأدب القديمة بأخباره، وبخاصة كتاب (الأغاني). أما (مَعْبَد) الثانية فمقصود بها مكان العبادة.

وقال الشاعر القروي متغزلًا:

لَمْيَاءُ هَذَا جَبِينُ الفَجْرِ قَدْ سَفَرَا ... وَمَوْسِمُ الحُبِّ عَنَّا مُزْمِعٌ سَفَرَا

لاحظ أنّ لفظتي (سَفَرَا) متفقتان في نوع الحروف، وعددها، وشكلها، وترتيبها، لكنهما مختلفتان في المعنىٰ، فالأولىٰ بمعنىٰ الإشراق والظهور، والثانية بمعنىٰ الرحيل.

قال خليل مطران في تحية سعد زغلول يوم عودته من منفاه:

خَفَقَتْ لِطَلْعَةِ وَجْهِكَ الأَعْلَامُ ... وَمَشَتْ تُحِيطُ بِرَكْبِكَ الأَعْلَامُ

لعلك لاحظت أنّ لفظتي (الأعْلام) متفقتان في نوع الحروف، وعددها، وشكلها، وترتيبها، لكنهما مختلفتان في المعنىٰ، فالأولىٰ بمعنىٰ الرَّايَات، والثانية بمعنىٰ كُبَرَاء الأُمَّة.

قال شاعر سوريا بطرس كرامة:

يَا صَاحِبَيَّ مِنَ المَلَامِ دَعَانِي ... دَاعِي الصَّبَابَةِ قَبْلَ ذَاكَ دَعَانِي

ظَبْيٌ رَعَى رَوْضَ القُلُوبِ وَمَا رَعَى ... عَهْدًا وَلَمْ يَسْمَحْ بِطِيبِ تَدَانِي

لعلك تلاحظ أن لفظ (دَعَانِي) مكرر في البيت الأول مرتين، ولا شك أنك أدركتَ أن معناه في الشطر الأول (اتْرُكانِي) لمخاطبته «الصَّاحِبَين»، (وهو مظهر من مظاهر التقليد للشعر القديم)، بينما كان معناه في الشطر الثاني الدعوة.

وفي صدر البيتِ الثاني ورد لفظ (رَعَىٰ) مرتين كذلك، وهما لفظان متفقان في نوع الحروف، وعددها، وشكلها وترتيبها، بينما كان المعنىٰ المراد مختلفا: فـ (رَعَىٰ) الأولىٰ من الرَّعْي، والثانية من المُرَاعَاة.

قال الشاعر العراقي عبد المحسن الكاظمي:

وَكَمْ قَائِلٍ سِرْ نَحْوَ مِصْرَ تَرَ المُنَى وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ البِلَادِ أَمِيرُ
فَقُلْتُ لَهُمْ وَالدَّمْعُ مِنِّي مُطْلَقٌ: أَسِيرُ وَقَلْبِي بِالعِرَاقِ أَسِيرُ

وقد ورد الجناس التام في لفظ (أسير)، فالأولىٰ من السَّيْر، والثانية من الأَسْر.

قال الشاعر العراقي جعفر الحلّي في المديح:

رُوحُ العَدُوِّ عَلَى ذُبَابَةِ سَيْفِهِ مِثْلُ الذُّبَابَةِ كَيْفَ شَاءَ يُطِيرُهَا

لا بد أنك لاحظت اتفاق لفظتي (ذُبابة) في نوع الحروف، وعددها، وشكلها، وترتيبها، مع اختلافها في المعنىٰ، فـ (الأولىٰ) تعني طرف السيف الذي يُضرب به، أما (الثانية) فأراد بها الحشرة الطائرة المعروفة.

قال الشاعر الجزائري الشيخ أحمد سحنون في مناجاة البحر:

أَيُّهَا البَحْرُ لَا عَدِمْتُكَ جَارَا لَيْسَ مِمَّنْ خَانَ الجِوَارَ وَجَارَا

حيث نجد أن لفظ (جَارَا) تكرر مرتين بمعنيين مختلفين، الأول من الجِوار، والثاني من الجَوْر، أي الظلم.

وقال في مدح الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة:

(العِيدُ) عِيدُ القَوَافِي الغُرِّ فَهْوَ لَهَا مُجَدِّدٌ بَعْدَمَا عَاشَتْ بِأَسْمَالِ

فـ (العِيدُ) الأولىٰ: اسمُ الشاعر، والثانية: المناسبةُ السعيدة.

قال محمود سامي البارودي مفتخرًا بنفسه:

أَنَا ابْنُ قَوْلِي وحَسْبِي فِي الفَخَارِ بِهِ وإنْ غَدَوْتُ كَرِيمَ العَمِّ وَالخَالِ
وَلِي مِنَ الشِّعْرِ آيَاتٌ مُفَصَّلَةٌ تَلُوحُ فِي وَجْنَةِ الأَيَّامِ كَالخَالِ

فكلمة (الخَال) في البيت الأول مقصودٌ بها أخ الأمّ، وفي البيت الثاني الشامة السوداء التي تنبت علىٰ بشرة بدن الإنسان، والتي يغلب وجودها علىٰ الخدّ.

قال علي الجندي في وصف طبيب:

وَرَاحَتُـــهُ رَاحَـــةٌ لِلْمَـــرِيضِ وبُـــرْءٌ لِمَـــنْ دَاؤهُ أعْسَـــرُ

حيث وردت كلمة (رَاحَة) في البيت مرتين: الأولىٰ بمعنىٰ باطن اليد، والثانية بمعنىٰ الارتياح.

قال مصطفىٰ صادق الرافعي مخاطبًا (عصفورة):

خُذِي فِي جَنَاحَيْكِ الهَوَى مِنْ جَوَانِحِي ورُوحِي بِـرُوحِي لِلَّـتِي أَخَـذَتْ لُـبِّي

لعلك لاحظت اتفاق لفظتي (رُوحِي) في نوع الحروف، وعددها، وشكلها، وترتيبها، مع وجود اختلاف في معنىٰ كل منهما، فالأولىٰ بمعنىٰ (اذهبي)، والثانية بمعنىٰ (نفسي، أو قلبي).

قال علي الجارم في رثاء قاضٍ من القضاة:

مُحْـيِي القَضَـاءِ رَمَـاهُ فِي رَيَعَانِـهِ سَـهْمُ القَضَـاءِ فَمَـا لَـهُ مِـنْ فَـادِي

القضاء (الأولىٰ): عَمَلُ القَاضِي، و(الثانية): القَدَر.

ومن الجناس التام ما يُعرف بجناس التركيب، مثل قول شاعر سوريا بطرس كرامة في الغزل:

هَتَكْـتُ فِي حُبِّهَـا سِـرِّي وَهَـانَ دَمِي وَعِيلَ صَبْرِي عَلَى مَا فَاتَ هَا نَـدَمِي

وقد وقعَ الجناس بين (هَانَ دَمِي)، وهو مركب من كلمتين: كلمة (هَانَ) من الهوان، وكلمة (دمي)، وبين (هَا نَدَمِي): وهو مركب من حرف التنبيه (هَا)، وكلمة (ندمي).

ومنه قوله لصديق عاتبه على غيبته:

لَقَدْ جَارَ الزَّمَانُ عَلَيَّ حَتَّى ... مَفَاخِرُنَا غَدَتْ كَالعَارِفِينَا

وَأَعْظَمُ مَا أَرَانِي الدَّهْرُ جَوْرًا ... بِعَادِي عَنْ مَقَامِ العَارِفِينَا

ومنه قول الشاعر المصري عبد الله فريج:

أَسْيَافُ لَحْظَيْهَا إِذَا عَرْبَدَتْ ... جَرِيحُهَا قَلْبِي وَمَنْحُورُهَا

إِذْ لَمْ تَكُنْ مِنْ ذَاتِ حُورِ العُلَا ... بِاللهِ قُولُوا لِي وَمَنْ حُورُهَا؟

٢- **الجناس غير التّام**: وهُوَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ اللَّفظَانِ فِي وَاحِدٍ مِنَ الأُمُورِ الأَرْبَعَةِ السَّابِقَةِ، كَأَنْ يَخْتَلِفَا في:

١- **نَوْع الحُروف**:

ومثاله قول الشاعر المصري حفني ناصف يصف تغيّر الأحوال في هذه الحياة:

تَغَيَّرَتِ المَنَاهِي بِالمَلَاهِي ... وَبُدِّلَتِ المَعَارِفُ بِالمَعَازِفْ

الشاهد في الجناس غير التام: (المَنَاهِي، المَلَاهِي)، و(المَعَارِف، المَعَازِف).

ومنه قول الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة يصف الحياة في البادية:

عَيْشُ البَوَادِي نَضِيرٌ لَا نَظِيرَ لَهُ ... وَجَوُّهَا لِعُضَالِ الدَّاءِ تِرْيَاقُ

الشاهد في الجناس غير التام: (نَضِير، نَظِير).

وقريب منه قول شاعر الجزائر مفدي زكريا:

وَفِي قُدْسِ جَنَّاتِنَا النَّاضِرَهْ ... وُجُوهٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَهْ

الشاهد: (النَّاضِرَة: من النَّضَارَة، نَاظِرَة: من النَّظَر).

ومنه قول الشاعر السوري أمين الجندي:

مَا حِيلَتِي وَالنَّائِبَاتُ عَوَادِي ... وَالمُزْعِجَاتُ رَوَائِحٌ وَغَوَادِي؟

الشاهد: (عَوَادِي، غَوَادِي).

ومنه قول علي الجارم:

دَعُونِي أُوَفِّ بِالقَرِيضِ دُيُونَهُ   فَقَدْ عَادَ غُرْمًا مَا تَوَهَّمْتُهُ غُنْمَا

الشاهد: (غُرْمًا، غُنْمًا).

٢- عَدَد الحُرُوف:

ومثاله قول أبي القاسم الشابي:

سَأَعِيشُ رَغْمَ الدَّاءِ وَالأَعْدَاءِ   كَالنَّسْرِ فَوْقَ القِمَّةِ الشَّمَّاءِ

الشاهد في هذا الجناس غير التام: (الدَّاء، الأعْدَاء).

ومنه قول أحمد شوقي:

سَلُوا غَزَالًا غَزَا قَلْبِي بِحَاجِبِهِ   أَمَا كَفَى السَّيْفُ حَتَّى جَرَّدَ القَلَمَا؟

الشاهد: (غَزَالًا، غَزَا).

ومنه قول ناصيف اليازجي:

وَفِي بَيْرُوتَ غُصْنٌ لَيْسَ يُدْعَى   بِغُصْنِ البَانِ بَلْ غُصْنِ البَيَانِ

الشاهد: (البَان، البيَان).

ومنه قول الشاعر السوري بطرس كرامة:

يَا خَلِيلًا لَمْ أَكُنْ عَنْهُ خَلِي   وَفُؤَادِي فِي هَوَاهُ مُبْتَلِي

الشاهد: (خَلِيلًا، خَلِي).

ومنه قول الشاعر محمود غنيم:

وأَطْيَبُ سَاعِ الحَيَاةِ لَدَيَّا   عَشِيَّةَ أَخْلُو إِلَى وَلَدَيَّا

الشاهد: (لَدَيَّا، وَلَدَيَّا).

٣- تَشْكِيل الحُرُوف:

ومثاله قول شكيب أرسلان في الرثاء:

فَقُلْتُ ذَرُونِي وَالأَسَى، لَيْسَ مُغْنِيًا كَلَامُ خَطِيبٍ مَعْ كِلَامِ خُطُوبِ

الشاهد في هذا النوع من الجناس غير التام: (كَلَام، كِلَام).

ومنه قول الشاعر القروي:

سَيِّدِي كُنْ عَلَى الحَيَاةِ مُعِينَا تَائِبًا ذَاقَ مِنْ رِضَاكَ مَعِينَا

الشاهد في الجناس: (مُعِينا، مَعِينًا).

ومنه قول الشاعر القروي:

يَحِقُّ لَكُمْ أَنْ تَسْتَخِفُّوا بِهَائِمٍ فَمَا هُوَ مَنْ يَرْضَى بِعَيْشِ البَهَائِمِ

الشاهد: (بِهَائِم، البَهَائِم).

ومنه قول محمود غنيم في مدح الملك فاروق:

تَتَفَزَّعُ الآسَادُ مِنْ هَبَّاتِهِ وَيَغِيضُ مَاءُ النِّيلِ عِنْدَ هِبَاتِهِ

الشاهد: (هَبَّاتِه، هِبَاتِه).

ومنه قول حافظ إبراهيم في رثاء الشيخ محمد عبده:

بَكَى عَالَمُ الإسْلَامُ عَالِمَ عَصْرِهِ سِرَاجَ الدَّيَاجِي هَادِمَ الشُّبُهَاتِ

الشاهد: (عَالَم، عَالِم).

٤- تَرْتِيب الحُرُوف:

ومثاله قول الشاعر المصري حفني ناصف يصف قصيدته:

مُهَذَّبَةُ المَقَاصِدِ وَالمَعَانِي مُذَهَّبَةُ القَوَالِبِ وَالمَبَانِي

الشاهد في هذا النوع من الجناس غير التام: (مُهَذَّبَة، مُذَهَّبَة).

ومنه قول محمد العيد آل خليفة في رثاء أحمد شوقي:

أَيْنَ شَوْقِي أَيْنَ مِنْهُ طُرُوسٌ ... مِنْ قَوَافِي حِكْمَةٍ وَسُطُورُ

الشاهد: (طُرُوس، سُطُور).

ومنه قول ناصيف اليازجي:

كَرِيمُ الخُلُقِ مَمْدُوحُ السَّجَايَا ... كَرِيمُ النَّفْسِ مَحْمُودُ الأَيَادِي

الشاهد: (مَمْدُوح، مَحْمُود).

ومنه قول الشاعر القروي:

تُرْوَى بِدَجْلَةِ مَدْمَعِي وَفُرَاتِهِ ... يَا مَوْطِنًا لَمْ يَبْقَ غَيْرُ رُفَاتِهِ

الشاهد: (فُرَاتِه، رُفَاتِه).

ومنه قول شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا:

وتَأْبَى الصَّفَائِحُ نَشْرَ الصَّحَائِفِ ... مَا لَمْ تَكُنْ بِالقَرَارَاتِ تَسْرِي

الشاهد: (الصَّفَائِح، الصَّحَائِف).

ومنه قول الشاعر العراقي حيدر الحلي متغزلا:

بَاتَتْ تُعَاطِينِي حُمَيَّاهَا ... بَيْضَاءُ كَالبَدْرِ مُحَيَّاهَا[1]

الشاهد: (حُمَيَّاهَا، مُحَيَّاهَا)

بلاغة الجناس:

اختلف علماء البديع في قيمة الجناس ومنزلته، فقد قال فيه يحيىٰ بن حمزة العلويّ: «هو مِنْ أَلْطَفِ مَجَارِي الكَلَام، ومِنْ مَحَاسِنِ مَدَاخِلِه، وهو عَظِيمُ المَوْقِعِ فِي البَلاغَة، جَلِيلُ القَدْرِ فِي الفَصَاحَة، وهو مِنَ الكَلامِ كالغُرَّةِ فِي

(١) الحُمَيَّا: الخمر.

الفَرَس»[١]، وقال فيه الأندلسيّ: «الجِنَاسُ أَشْرَفُ الأَنْوَاعِ اللَّفْظِيَّة»، وقال ابن السّبكي: «وكَفَىٰ بالتَّجْنِيسِ فَخْرًا قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلام: «(غِفَارُ) غَفَرَ اللهُ لَهَا، وَ(أَسْلَمُ) سَالَمَهَا اللهُ، وَ(عُصَيَّةُ) عَصَتِ اللهَ وَرَسُولَهُ»[٢]، وأكثر البلاغيين مدحًا للجناس صلاح الدين الصفدي، وقد ألّف فيه كتابًا أسماه (جِنَان الجناس) لا بأس أن أذكر لك بعض ما جاء فيه: «الجِنَاسُ إنْ دَخَلَ في خُطْبَةٍ توَّجَها، أوْ قَصِيدَةٍ دَبَّجَها، فهو في البَدِيعِ خَالُ خَدِّه، وطِرَازُ بُرْدِه، وفَصُّ خَاتَمِه، وجُودُ حَاتَمِه، وسَجْعُ حَمَامِه، وسَحُّ غَمَامِه، وزَهْرُ كِمَامِه، وقَمَرُ تَمَامِه، يُكْسِبُ اللَّفْظَ رَوْنَقًا وطَلَاوَة، وبِهِ لا تَزَالُ حُورُ المَعَانِي في حُلِيٍّ وحُلَّةٍ وحَلَاوَة»[٣].

غير أنّ في هذا الكلام ما يدلُّ علىٰ مبالغة الصفدي، وغلوّه، وإيثاره لهذا اللون البديعي، ومبلغ تعصّبه له، وذلك ما دعا الخفاجي إلىٰ القول: «المَحْمُودُ مِنَ الجِنَاسِ مَا قَلَّ، ووَقَعَ تَابِعًا للمَعْنَىٰ، غَيْرَ مُتَكَلَّف، ولا مَقْصُودٍ في نَفْسِهِ»، وقال شهاب الدين محمود: «إنَّمَا يَحْسُنُ الجِنَاسُ إذا قَلَّ وأتَىٰ في الكَلَامِ مِنْ غَيْرِ كَدٍّ ولا اسْتِكْرَاه».

ويرىٰ الجرجاني أنّ الجناس يُستحسن إذا كان سهلًا، لا أثر للكلفة عليه، يقول الجرجاني: «ومِنْ هَهُنَا كَانَ أَحْلَىٰ تَجْنِيسٍ تَسْمَعُهُ وأَعْلاه، وأحقُّهُ بالحُسْنِ وأوْلاه مَا وَقَعَ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ إلَىٰ اجْتِلابِه، وتَأَهُّبٍ لِطَلَبِه».

ويرىٰ علي الجندي «أنَّ تَنَاسُبَ الألفاظ في الصُّورة كلِّها، أو بعضها، مِثْلُ التَّوافُق والانْسجام، في الزيّ والهندام، تميل إليه النفوسُ بالفطرة، وتأنس به، ويطمئن إليه الذوق، ويسكن، لأنه نظام، وانسجام، وتناسق، وتلك أشياء

---

(١) دراسات في علم البديع الدكتور مصطفىٰ السيد جبر (ص ١١٨).
(٢) فن الجناس علي الجندي (ص ١٨).
(٣) جنان الجناس صلاح الدين الصفدي (ص ٠٧).

مغروس حبها في الغرائز، لخلعها علىٰ النفوس السكينة والهدوء، أضف إلىٰ ذلك التجاوب الموسيقي الصّادر منْ تماثل الكلمات تماثلًا كاملًا، أو ناقصًا، وهو ما يطرب الأذن، ويؤنس النفس، ويهزُّ أوتار القلوب»[1]، وعلىٰ خلاف السجع، فكلما كان التماثل أوسع، وأشمل، كان ذلك أشبه شيء بقطعة موسيقية مختلفة الآلات، متناسقة الأصوات. وعمومًا يمكن القول إنَّ الجناس لا يكون مقبولًا إلا إذا ورد عفو الخاطر، وفيض البديهة، وكان في كلامٍ مطبوع، لا تكلَّف فيه.



(١) فن الجناس علي الجندي (ص ٢٩).

التطبيق

حدد الجناس، ونوعه في النماذج البلاغية الآتية:

١- قال حفني ناصف واصفًا دهشته من حوادث الدهر:

أَعْيَا التَّعَجُّبُ إِنْسَانِي وَأَنْسَانِي مَا كَانَ قَرَّحَ أَعْيَانِي وَأَعْيَانِي

٢- قال الشاعر المصري عبد الله فكري في مدح الشاعر الأمير شكيب أرسلان:

وَأُولِعَ بِالمَعَالِي وَالمَعَانِي وَنَظْمِ الشِّعْرِ لَا لِطِلَابِ وَفْرِ

وَلَا لِصَبَابَةٍ فِي وَرْدِ خَدٍّ وَلَا لِصُبَابَةٍ مِنْ خَمْرِ ثَغْرِ

٣- قال محمود غنيم في رثاء شيخ الأزهر مصطفى عبد الرَّازق:

لَكَمْ ثَمَّ عَيْنٌ سَالَ كَالعَيْنِ مَاؤُهَا وَكَمْ ثَمَّ خَدٌّ بِالدُّمُوعِ تَخَدَّدَا

٤- وقال غنيم:

وَأَقْبَحُ مَا تَرَاهُ العَيْنُ خَلْقٌ دَمِيمٌ نَمَّ عَنْ خُلُقٍ ذَمِيمِ

٥- قال الشاعر اللبناني عمر الأنسي مادحا:

سَرَيْتَ كَالبَدْرِ مَا بَيْنَ الكَوَاكِبِ لَا يَدْرُونَ هَلْ مَلِكًا قَدْ كُنْتَ أَمْ مَلَكا؟

٦- وقال الأنسي:

يَا رَاحِلِينَ بِقَلْبِي وَالنُّهَى أَفَلَا تَرَوْنَ نَجْمَ سُرُورِي بَعْدَكُمْ أَفَلَا؟

٧- وقال مشبهًا ممدوحه بالبحر على سبيل الاستعارة:

وَفَوْقَ البَحْرِ مِنْهُ شَهِدْتُ بَحْرًا يَمِينًا إِنَّهُ أَنْدَى يَمِينَا

٨- وقال يتغزل:

رَشَأٌ يَتِيهُ بِمُقْلَةٍ وَبِحَاجِبِ ... مَا بَالُهُ حَجَبَ الجَمَالَ بِحَاجِبِ؟

٩- قال علي الجارم:

تَهْفُو إِلَيْهِ بَنَاتُ الحَيِّ مُعْجَبَةً ... وَالحُبُّ يَنْبُتُ بَيْنَ العُجْبِ وَالعَجَبِ

١٠- وقال علي الجارم:

وَمَضَى الرَّكْبُ بِالرِّفَاقِ وَخَلَّا ... نِي وَحِيدًا أَبْكِي عَلَى خِلَّانِي

١١- قال ناصيف اليازجي يصف قصيدة له:

هِيَ الزَّهْرُ لَكِنَّ الطُّرُوسَ كَمَائِمٌ ... هِيَ الزُّهْرُ لَكِنَّ السُّطُورَ مَطَالِعُ

١٢- وقال ناصيف اليازجي:

هَامَ الفُؤَادُ بِهِ شَوْقًا لَهُ وَصَبَا ... حَتَّى تَحَمَّلَ مِنْهُ فِي الهَوَى وَصَبَا

١٣- وقال اليازجي:

مَدِينَةُ ظُرْفٍ مَا بِهَا غَيْرُ فَاضِلٍ ... بَسِيمٍ وَسِيمٍ قَدْ حَوَى الحُسْنَ والحُسْنَى

١٤- وقال اليازجي أيضًا:

لِكُلِّ كَرَامَةٍ زَمَنٌ يَعُودُ ... كَمَا يَخْضَرُّ بَعْدَ اليُبْسِ عُودُ

١٥- ولناصيف اليازجي متغزلًا:

طَمِعْنَا عَلَى جَهْلٍ بِعَسَّالِ ثَغْرِهِ ... وَكَمْ دُونَ عَسَّالِ المَرَاشِفِ عَسَّالُ

١٦- قال أمين الجندي مادحًا:

اللَّيْثُ يُعْرَفُ بَأْسُهُ وَثَبَاتُهُ ... إِنْ أَبْطَأَتْ أَوْ أَسْرَعَتْ وَثَبَاتُهُ

١٧- وقال أمين الجندي:

مَا القَلْبُ يَا رَبَّةَ الخَلْخَالِ وَالخَالِ ... مِنَ الغَرَامِ وَإِنْ طَالَ المَدَى خَالِ

١٨- قال خليل مطران:

يَا مِصْرُ بَاهِي كُلَّ مِصْرٍ بِالأُلَى أَنْجَبْتِ مِنْ أَبْنَائِكِ العُظَمَاءِ

١٩- وقال خليل مطران في مناسبة الاحتفال بالهجرة النبوية:

هَلَّ الهِلَالُ فَحَيُّوا طَالِعَ العِيدِ حَيُّوا البَشِيرَ بِتَحْقِيقِ المَوَاعِيدِ

٢٠- قال محمد العيد آل خليفة مخاطبًا الشباب الجزائري:

سَارَ جِيرَانُكُمْ مَعَ العَصْرِ شَوْطًا ووَقَفْتُمْ مَا بَيْنَ وَهْمٍ ووَهْنِ



المثال	الجناس وشرحه	نوع الجناس
١	إنْسَانِي (ناظري) - أَنْسَانِي: اختلاف في شكل الحروف	جناس غير تام
١	أَعْيَانِي (عيوني) - أَعْيَانِي (أتعبني)	جناس تام
٢	المَعَالِي - المَعَانِي: اختلاف في نوع الحروف	جناس غير تام
٢	صَبَابَة - صُبَابَة: اختلاف في شكل الحروف	جناس غير تام
٣	عَيْنٌ (حاسة البصر) - العَيْن (ينبوع الماء)	جناس تام
٣	خَدٌّ - تخدَّدَ (تجعَّد وتشنَّجَ)	جناس تام
٤	خَلْقٌ - خُلُقٌ: اختلاف في شكل الحروف	جناس غير تام
٤	دَمِيم - ذَمِيم: اختلاف في نوع الحروف	جناس غير تام
٥	مَلِكًا - مَلَكًا: اختلاف في شكل الحروف	جناس غير تام
٦	أفَلا؟ (استفهام منفي) - أَفَلا (غَابَ واستتر)	جناس تام
٧	يَمينًا (قسمًا) - يَمِينًا (يدًا)	جناس تام
٨	حَاجِب (الشعر النابت فوق العين) - حَاجِب (ساتر)	جناس تام
٩	العُجْب (الغرور) - العَجَب (الرّوعة): اختلاف في شكل الحروف	جناس غير تام
١٠	خَلَّانِي (تركني) - خِلَّانِي (أصحابي): اختلاف في شكل الحروف	جناس غير تام
١١	الزَّهْر (الورد) - الزُّهْر (الكواكب المشرقة): اختلاف في شكل الحروف	جناس غير تام
١١	الطُّرُوس (الصحائف) - السُّطُور (الكتابة): اختلاف في ترتيب الحروف	جناس غير تام
١٢	وَصَبَا (الواو حرف عطف، صَبَا: تشوقَ) - وَصَبَا (ألمًا وسَقَمًا)	جناس تام
١٣	بَسِيم (صفة مشبهة من الفعل بَسَم) - وَسِيم (أنيق وجميل): نوع الحروف	جناس غير تام
١٣	الحُسْن (الجمال) - الحُسْنَىٰ (اللُّطف): اختلاف في عدد الحروف	جناس غير تام
١٤	يَعُود (يرجع) - عُود (غصن): اختلاف في عدد الحروف	جناس غير تام
١٥	عَسَّال (من العَسَل) - عَسَّال (الرُّمْحُ المُهْتَزُّ لِينًا)	جناس تام
١٦	وَثَبَاتٌ (الواو حرف عطف، ثَبَات: تماسُك) - وَثَبَات (سطوات)	جناس تام
١٧	الخَلْخَالِ - الخَالِ: اختلاف في عدد الحروف	جناس غير تام
١٧	الخَالِ - خَالِ	جناس تام
١٨	مِصْرُ (الدولة الإفريقية التي عاصمتها القاهرة) - مِصْرِ (مفرد أمصار)	جناس تام
١٩	العِيد (المناسبة الدينية) - المَوَاعِيد (اسم زمان من الفعل وَعَدَ): عدد الحروف	جناس غير تام
٢٠	وَهْم - وَهْن: اختلاف في نوع الحروف	جناس غير تام



التمرين

حدّد الجناس، ونوعه في النماذج البلاغية الآتية:

قال الشاعر السوري سليمان الصولة واصفًا:

بَسَطَ الرَّبِيعُ لَنَا بِسَاطَ نَبَاتِ وَدَعَاكَ يَبْسِمُ عَنْ ثُغُورِ بَنَاتِ

وَتَرَنَّمَتْ فَوْقَ الغُصُونِ بَلَابِلُ لَمْ تَدْرِ كَيْفَ بَلَابِلُ الحَسَرَاتِ

وقال سليمان الصولة يتغزل:

يَا رَبِّ سِحْرُ العُيُونِ النَّاعِسَاتِ سَبَا مَنْ كَانَ أَفْتَى وَأَعْتَى مِنْ مُلُوكِ سَبَا

وقال مخاطبا ليلةً:

عُودِي لَنَا بِاللهِ عُودِي، عَسَى يَخْضَرُّ فِي رَوْضِ الصَّفَا عُودِي

قال الشاعر السوري أمين الجندي مادحًا:

وَأَحْيَيْتَ دَرْسَ العِلْمِ مِنْ بَعْدِ دَرْسِهِ لِطَائِفَةٍ بِالحَقِّ زَادَ اهْتِمَامُهَا

وقال الجندي في الغرض ذاته:

مَن أنامَ الأنَامَ فِي ظِلِّ أَمْنٍ وَسُرُورٍ مِنْ سَائِرِ الأَخْطَارِ

وقال الجندي:

أَيُّ صَبٍّ صَبَّ مِثْلِي مَدْمَعًا فِي هَوَاكُمْ ثُمَّ قَاسَى النَّصَبَا؟

قال أبو القاسم الشابي متغزلًا:

تَرْنُو، فَتَغْزُو كُلَّ قَلْبٍ ثَابِتٍ بِشِفَارِ أَشْفَارٍ وَحَدِّ قَنَاةِ

قال الشاعر المصري عبد الله فريج يصف مليحة:

فَتَــاةٌ حَــوَتْ فِي الــوَجْنَتَيْنِ شَــقِيقَا   لَهَـا البَـدْرُ أَضْـحَى فِي الكَمَـالِ شَـقِيقَا

وقال عبد الله فريج:

مَلِــيحٌ فِي الهَــوَى أَضْــحَى مَلِيكًــا   بِــأُفْقِ الحُسْــنِ شَــادَ لَــهُ قُصُــورَا

فَــلَا عَجَــبٌ إِذَا مَــا البَــدْرُ عَنْــهُ   لَــدَى التَّشْـبِيهِ قَـدْ أَبْـدَى قُصُـورَا

وله أيضًا:

أَقُــولُ لِــمَ قَضَــيْتَ عَلَــى المُعَــنَّى   بِمَــوْتٍ حَيْــثُ لَا ذَنْــبٌ جَنَــاهُ؟

فَقَــالَ رَأَى بِخَــدِّي وَرْدَ حُسْــنٍ   فَــرَاحَ بِلَحْظِــهِ عَمْــدًا جَنَــاهُ

قال الشاعر اللبناني مصطفى الغلاييني:

خَطَــرَتْ يُرَنِّحُهَــا الــدَّلَالُ فَتَاهَــا   وَمَضَــى بِــلَا قَلْــبٍ يَهِــيمُ فَتَاهَــا

وقال الغلاييني مخاطبًا من يهوى:

أَلَمِــيسُ: بِالقَلْــبِ المُعَــذَّبِ فِيــكِ   مُــنِّي عَلَــيَّ بِكِلْمَــةٍ مِــنْ فِيــكِ

قال الشاعر اللبناني عمر الأنسي متغزلًا:

كَمْ رُحْتُ مِنْ حَدَقِ الأَلْحَاظِ مُصْطَحِبًا   رَاحًـا، وَمِـنْ قَـدَحِ الأَلْفَـاظِ مُغْتَبِطَـا

قال الشاعر اللبناني إلياس عبد الله طعمة:

يَــا زَهْــرَ غُصْــنٍ فِي الرَّبِيــعِ وَرِيــقِ   جُــودِي بِثَغْــرٍ لِلْمُحِــبِّ وَرِيــقِ

وقال أيضًا:

أَلَــمَّ بِجِسْــمٍ كَــانَ غُصْــنًا مِــنَ الآسِ   ذُبُـولٌ مِـنَ الجُـرْحِ الَّـذِي مَـا لَـهُ آسِ

قال الشاعر العراقي حيدر الحلي مادحًا:

فَيَا مُنْسِيًا بِالجُودِ (مَعْنًا) وَ(حَاتِمَـا)   أَلَا إِنَّ مَعْـنًى مِـنْ مَعَانِيـكَ (حَـاتِمُ)

قال الشاعر العراقي جعفر الحلّي:

أَطْرَبْتُـه وَقْـتَ مَـا أَطْرَيْتُـه مِـدَحًا كَـأَنَّنِي (مَعْبَـدٌ) أَسْـمَعْتُهُ نَغَمَـا

قال الشاعر الجزائري أحمد سحنون يصف الربيع وهو في الإقامة الجبرية في بيته:

تَتَـوَالَى الفُصُـولُ فَصْـلًا فَفَصْـلَا وَأَنَـا قَـدْ فُصِـلْتُ عَـنْهُنَّ فَصْـلَا

قال محمود غنيم في رثاء شهيد:

لَفُّـوهُ فِي العَلَـمِ المِصْـرِيِّ تَكْرِمَـةً أَفْدِيـهِ مِـنْ عَلَـمٍ قَـدْ لُـفَّ فِي عَلَـمِ

وقال محمود غُنيم بمناسبة انتصار الثورة الجزائرية:

قُـمْ نَـادِ: حَيَّ عَلَـى الفَـلَاحْ الفَجْـرُ - فَجْـرُ السَّـلْمِ - لَاحْ

وقال غنيم:

أَيُّهَـا العُـرْبُ أَرْهِفُـوا الآذَانَـا هَـلْ سَـمِعْتُمْ كَمَـا سَـمِعْتُ الأَذَانَـا؟

قال مصطفىٰ صادق الرافعي:

يَـا طَـيْرُ مَـا لِلنَّـوْمِ قَـدْ طَـارَا ومَـا قَضَـيْنَا مِنْـهُ أَوْطَـارَا؟

قال الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة:

يَـا لَمَجْـدٍ مُضَـيَّعٍ غَـيْرُ مُجْـدٍ عَـضُّ كَـفٍّ عَلَيْـهِ أَوْ قَـرْعِ سِـنِّ

وقال محمّد العيد آل خليفة:

مَـرَّتْ بِنَـا مِحَـنٌ لَنَـا فِي طَيِّهَـا مِـنَحٌ يَفُـوزُ بِكَسْـبِهَا مَـنْ يَصْـمُدُ

قال حافظ إبراهيم في غلاء الأسعار:

وغَـدَا القُـوتُ فِي يَـدِ النَّـاسِ كَاليَـا قُـوتِ حَـتَّى نَـوَى الفَقِـيرُ الصِّـيَامَا



قال معروف الرصافي في قصيدة (العِلْمِ والعَلَم):

كِلَاهُمَا ضَامِنٌ للنَّاسِ حُرْمَتَهُمْ هَذَا لَهُ الحُكْمُ أَوْ هَذَا لَهُ الحِكَمُ

قال الشاعر اللبناني عبد الحميد الرافعي:

قُلْ لِي بِحَقِّكَ أَيُّهَا السَّاقِي مَاذَا فَعَلْتَ بِهَذِهِ العُشَّاقِ؟

قَدْ أَصْبَحُوا خُرْسًا فَهَلْ أَسْكَرْتَهُمْ عِوَضًا عَنِ الأَقْدَاحِ بِالأَحْدَاقِ؟

قال نزار قباني:

فِي فَمِي، يَا عِرَاقُ مَاءٌ كَثِيرُ كَيْفَ يَشْكُو مَنْ كَانَ فِي فِيهِ مَاءُ؟

قال إبراهيم ناجي في قصيدة (الأطلال):

يَا فُؤَادِي رَحِمَ اللهُ الهَوَى كَانَ صَرْحًا مِنْ خَيَالٍ فَهَوَى

قال خليل ناصيف اليازجي:

أَمَا وَالهَوَى لَوْلَا العُيُونُ السَّوَاحِرُ لَمَا سَهِرَتْ مِنَّا العُيُونُ السَّوَاهِرُ



السَّجْع

تعريف السّجع لغة: «مَأْخُوذٌ مِنْ سَجْعِ الحَمَام»[١]، يقال: سَجَعَتِ الحَمَامَةُ سَجْعًا، إذَا كَرَّرَتْ صَوْتَهَا علىٰ طريقَةٍ وَاحِدَة. قال بشارة الخوري مُخاطبًا الطَّير:

تَسْجَعُ السَّجْعَةَ البَدِيعَةَ فِي الفَجْ ... رِوتَأْتِي بِمِثْلِهَا تَكْرَارَا

السّجع اصطلاحًا: هو تَوَافُقُ الفَاصِلَتَيْن مِنَ النَّثْرِ عَلَىٰ حَرْفٍ وَاحِد، «وهُوَ فِي مُقَابَلَةِ التَّصْرِيعِ فِي الكَلَامِ المَنْظُوم»[٢].

شواهد السجع:

قال أحمد شوقي في كتابه (أسْوَاق الذَّهب): «الوَطَنُ مَوْضِعُ المِيلَاد، وَمَجْمَعُ أوْتَارِ الفُؤاد، وَأوَّلُ تُرَابٍ مَسَّ الرَّاحَتَيْن، مَجْرَىٰ الصِّبَا وَمَلْعَبُه، وَعَرُوسُ الشَّبَابِ وَمَوْكِبُه، مُسْتَوْدَعُ المَفَاخِر، وَصَوَّانُ المَآثِر، صَحِيفَةُ الأخْبَار، وَكِتَابُ الأبْرَار، وَمَا الوَطَنُ إلَّا الأُسْرَةُ الكُبْرَىٰ، وَالسَّقْفُ الوَاحِد، وَالمَنْزِلُ الحَاشِد، وَمَا القَوْمُ فِي ظِلالِهِ إلَّا إخْوَانٌ مُتَصَافُون، وَجِيرَانٌ مُتَآلِفُون، وَالوَطَنُ لا يَتِمُّ تَمَامُه، إلّا حِينَ يَحْمِلُ العِلْمُ فِيهِ يَدَ العِمَارَة، فَاطْلُبُوهُ فِي مَدَارِسِ الزَّمَانِ وحَلَقَاتِه، وخُذُوهُ مِنْ عُلَمَائِهِ وَثُقَاتِه».

لو تأملت قول شوقي لوجدته مؤلفا من مجموعة من الجمل، أو الفقرات، كُلُّ فقرتين متّحدتان، أو متماثلتان في الحرف الأخير، (المِيلاد، الفُؤاد)، (مَلْعَبُهُ،

---

(١) العقد البديع في فن البديع للخوري عوّاد (ص ٢٩٤).

(٢) معجم البلاغة العربية الدكتور بدوي طبانة (ص ٢٧٣).



مَوْكِبُهُ)، (المَفَاخِر، المَآثِر)، (الأَخْبَار، الأَبْرَار)، (الوَاجِد، الحَاشِد)، (مُتَصَافُون، مُتَآلِفُون)، (حَلَقَاتِهِ، ثُقَاتِهِ). وتسمىٰ الكلمة الأخيرة من كلِّ فقرة فاصلة، ولو أمعنت النظر في المثال من جديد لوجدتَ كُلَّ الفواصل ساكنة، إذْ يجبُ أنْ تُسكَّن الفاصلةُ دائما في النثر للوَقْف، فالعرب كما قيل لا تبدأ بساكن، ولا تقف عند متحرك، قال عائض القرني في (المقامة النحويّة): «العَرَبُ لَا تَبْدَأُ بِسَاكِنٍ، لأَنَّهَا تُحِبُّ التَّنَقُّلَ فِي المَسَاكِنِ، أَمَا تَرَاهَا فَتَحَتْ بِالسُّيُوفِ الجَوَازِم الأَقْطَار، وحَرَّرَتْ مِنْ سُوءِ الحَالِ الأَمْصَار؟ وهِيَ لَا تَقِفُ عَلَىٰ مُتَحَرِّك، لأَنَّهَا تُحِبُّ السَّاكِنَ المُتَنَسِّك، وتَبْغُضُ المُتَغَيِّرَ المُتَهَتِّك».

ومن بدائع السجع قول عائض القرني في (مقامة الكِتاب): «عَلَيْكَ بِالكِتَاب، فَهُوَ خَيْرُ الأَصْحَاب، يُقَوِّي جَنَانَك، ويَبْسُطُ لِسَانَك، والكِتَابُ إِذَا خَانَ الصَّدِيقُ وَفَىٰ، وإِذَا تَكَدَّرَ الزَّمَانُ صَفَا، خَلِيلٌ مَا أَمْلَحه! وصَاحِبٌ مَا أَصْلَحه! وصَامِتٌ مَا أَفْصَحه! بَشِيرٌ ونَذِير، ونَدِيمٌ وسَمِير، إِذَا وَعَظَ أَبْكَاك، وإِنْ حَدَّثَ أَشْجَاك، جَزَىٰ اللهُ الكِتَابَ، أَفْضَلَ ثَوَاب، فَقَدْ أَغْنَاكَ عَنِ البُخَلَاء، وكَفَاكَ الثُّقَلَاء، يُوفِي لَكَ الكَيْل، ويُقَصِّرُ عَلَيْكَ اللَّيْل، هُوَ تَاجُكَ فِي كُلِّ نَاد، وأَنِيسُكَ فِي كُلِّ وَاد، أَصْرِفْ لَهُ أَثْمَنَ الأَوْقَات، وأَنْفِقْ عَلَيْهِ أَعْظَمَ الهِبَات، فَهُوَ الَّذِي حَبَّبَ إِلَيْكَ الزَّمَان، وأَجْلَسَكَ فِي صَدْرِ المَكَان، فَلَيْسَ المَجْدُ حُلِيًّا وآنِيَة، ولَا دُفًّا وغَانِيَة، ولَا قُطُوفًا دَانِيَة، ولَيْسَ السُّؤْدُدُ بُنُودًا وجُنُودًا، أَوْ حُشُودًا ووُفُودًا، لَكِنَّ المَجْدَ والسَّعَادَة، والشَّرَفَ والسِّيَادَة، عِلْمٌ أَصِيل، وبُرْهَانٌ ودَلِيل، وكِتَابٌ جَلِيل، يُغْنِيكَ عَنْ كُلِّ خَلِيل».

ومن نماذج السّجع قولُ إمامِهِ في العصر الحديث محمد المويلحي واصفًا معجزة الأهرامات في كتابه (حديث عيسىٰ بن هشام): «ولَمَّا وَقَفَتْ بِنَا الرِّكَابُ فِي سَاحَةِ الأَهْرَام، وَقَفْنَا هُنَاكَ مَوْقِفَ الإِجْلَالِ والإِعْظَام، قُبَالَةَ ذَلِكَ العَلَمِ

الَّذِي يُطَاوِلُ الرَّوَابِيَ والأَعْلَام، والهَضَبَةِ الَّتِي تَعْلُو الهِضَابَ والآكَام، مَا بَرِحَتْ ثَابِتَةً تُنَاطِحُ مَوَاقِعَ النُّجُوم، وتَسْخَرُ بِثَوَاقِبِ الشُّهُبِ والرُّجُوم، وتُحَدِّثُ حَدِيثَ المُشَاهَدَةِ والعِيَان، عَنْ قُدْرَةِ هَذَا الإنْسَان، فِي بَدَائِعِ الصُّنْعِ والإتْقَان، وتُنْبِئُ عَنْ قُوَّةِ هَذَا الضَّعِيفِ الضَّئِيل، فِي إقَامَةِ هَذَا الأَثَرِ الجَلِيل، وكَيْفَ جَازَ لِهَذَا الفَانِي البَائِد، أَنْ يَصْدُرَ عَنْهُ مِثْلُ هَذَا البَاقِي الخَالِد، وجَلَّ صُنْعُ القَدِيرِ الخَالِق، فِي تَصْوِيرِ هَذَا الحَيَوَانِ النَّاطِق، حَيْثُ جَعَلَهُ مَصْدَرًا لِلْأَعْمَالِ المُتَنَاقِضَة، والأفْعَالِ المُتَغَايِرَةِ والمُتَعَارِضَة، فَبَيْنَمَا تَرَاهُ يَصْعَدُ إِلَىٰ أَجْرَام السَّمَاءِ وعَوَالِمِهَا، ويَبْحَثُ بِفِكْرِهِ فِي رُسُومِهَا ومَعَالِمِهَا، ويَسِيرُ بِعِلْمِهِ فِي أَنْحَائِهَا ومَنَاكِبِهَا، ويَهْتَدِي لِحِسَابِ أَقْمَارِهَا وكَوَاكِبِهَا، إذْ تَرَاهُ يَعْثِرُ عَثْرَةً بِرِجْلِه، فَيَكُونُ فِيهَا مُنْتَهَىٰ أَجَلِه، ويَهْوِي بِإِذْنِ اللهِ إِلَىٰ مَكَامِنِ الخُلْد[1]».

بقي أن تعرف أن السجع موطنه النثر، وقد يجيء في الشعر، كقول محمود سامي البارودي:

كَالبَرْقِ فِي عَجَلٍ وَالرَّعْدِ فِي زَجَلٍ ... وَالغَيْثِ فِي هَلَلٍ وَالسَّيْلِ فِي هَمَلِ

أو قول البارودي أيضا في قصيدة أخرىٰ:

فَالصَّبْرُ مُنْخَذِلٌ وَالدَّمْعُ مُنْهَمِلٌ ... وَالعَقْلُ مُخْتَبِلٌ وَالقَلْبُ مُشْتَغِلُ

ومنه قول ناصيف اليازجي:

صُبْحٌ إذَا سَفَرَتْ غُصْنٌ إذَا خَطَرَتْ ... ظَبْيٌ إذَا نَفَرَتْ مِسْكٌ إذَا سَطَعَتْ

أو قول ناصيف اليازجي:

كَالبَحْرِ مُنْدَفِقًا وَالصُّبْحِ مُنْبَثِقًا ... وَالسَّهْمِ مُنْطَلِقًا وَالغَيْثِ مُنْسَكِبَا

---

(١) الخُلد: الفأر.

ومنه قول حافظ إبراهيم:

فَـالعَرْشُ فِي فَـرَحٍ، وَالمُلْـكُ فِي مَـرَحٍ وَالخَلْـقُ فِي مِـنَحٍ، وَالـدَّهْرُ فِي رَهَـبِ

وقوله في القصيدة ذاتها:

الحِلْـمُ حِلْيَتُــهُ، وَالعَــدْلُ قِبْلَتُــهُ وَالسَّــعْدُ لَمْحَتَــهُ، كَشَّــافَةَ الكُـرَبِ

ومنه قول مصطفىٰ صادق الرافعي:

فِي النَّفْسِ فَاجِعَةٌ، فِي القَلْبِ قَاطِعَةٌ فِي اللُّـبِّ رَائِعَـةٌ، فِي العَقْـلِ تَشْـرِيدُ

ومنه قول أمير الشعراء في (أندلسيته الشهيرة) التي عارضها ابن زيدون:

الوَصْــلُ صَــافِيَةٌ وَالعَــيْشُ نَاغِيَــةٌ وَالسَّــعْدُ حَاشِــيَةٌ وَالـدَّهْرُ مَاشِــينَا

ومن بديعه قول الشاعر السوري سليمان الصولة:

بِكْــرٌ لَهَــا حَــدَقٌ مَــا مَسَّــهَا أَرَقٌ فِي خَــدِّهَا شَــفَقٌ يَسْــتَعْبِدُ الأَدَبَــا

هَيْفَــاءُ لَيِّنَــةُ الأَعْطَــافِ نَاعِمَــةُ ال أَطْـرَافِ تَعْشَـقُهَا الأَشْـرَافُ وَالنُّقَبَـا

مَــا شَــانَهَا بَشَــرٌ بَــلْ زَانَهَــا خَفَــرٌ فِي طَرْفِهَــا حَــوَرٌ لِلْعَــالَمِينَ سَــبَا

تَسْــعَى بِنَافِعَــةٍ لِلْهَــمِّ دَافِعَــةٍ حَمْـرَاءَ سَـاطِعَةٍ مَـنْ ذَاقَهَـا عَجِبَـا

فَارَقْتُــهُ فَكَبَــا مُهْــرُ الصَّــفَا وَخَبَــا نُــورُ الوَفَــا وَنَبَــا الإِقْبَــالُ وَاحْتَجَبَــا

ومنه قول الشاعر السوري بطرس كرامة:

مَا المِسْكُ إِنْ نَفَحَتْ مَا الظَّبْيُ إِنْ سَرَحَتْ مَا السَّيْفُ إِنْ نَظَرَتْ فِي طَرْفِهَا السَّقَمِ؟

مَـا البَـدْرُ إِنْ بَـرَزَتْ مَـا الصُّبْحُ إِنْ سَـفَرَتْ كَالشَّمْسِ مُذْ لُمِحَتْ فِي حِنْدِسِ الظُّلَمِ؟

ومنه قول محمد العيد آل خليفة في وصف الشعب الجزائري أيام الاستعمار:

أَنُصْـلَى الجَحِـيمَ، وَنُسْـقَى الحَمِـيمَ وَنُرْعَـى الـوَخِيمَ، وَنُعْطَـى الدَّنِيَّـهْ؟

ومنه قول خليل مطران:

لَـــوْلَا تَغَافُلُنـــا، لَـــوْلَا تَخَاذُلُنَـــا، لَـــوْلَا تَوَاكُلُنَـــا، تَـــاللهِ مَـــا اقْتَحَمُـــوا

ومنه قول الشاعر اللبناني عمر الأنسي:

يَـا بَـدْرَنَا الأَسْـنَى أَصْـبَحْتُ مَفْتُونَـا بِالقَامَـةِ الحَسْـنَا وَالمُقْلَـةِ الوَسْـنَا

وقوله:

يَـا فَـاتِنَ الغِيـدِ بِـاللَّحْظِ وَالجِيـدِ إنَّ اللِّقَـا عِيـدِي أَنْعِـمْ وَوَافِينَـا

وقوله أيضا:

مَيَّاسَـةُ القَـدِّ وَافَـتْ لَنَـا تُهْـدِي مِـنْ جَنَّـةِ الخَـدِّ وَرْدًا وَنِسْـرِينَا

ويكونُ من السجع ما يعرف بالتشطير، وهو أن يجعل الشاعر لكل شطر من شطري البيت سجعةً مخالفة لأختها، كقول ناصيف اليازجي:

بَـدْرٌ بِـلَا كَلَـفٍ، لَيْـثٌ بِـلَا صَـلَفٍ بَحْـرٌ بِـلَا زَبَـدٍ، كَـنْزٌ بِـلَا رَصَـدِ

فالشاعر قد بنىٰ الشطر الأول علىٰ سجعة الفاء، بينما بنىٰ الشطر الثاني علىٰ سجعة الدال.

بلاغة السجع:

«يذهبُ بعضُ العلماء إلىٰ كراهة السجع، وبعضهم يذهب إلىٰ استحسانه، وحُجَّةُ الفريق الأول أنه إذا وقع بتكلّف وتصنّع أذهبَ طلاوةَ الكلام، وأزالَ ماءَه، ويضربون مثالا عن ذلك، وهو سجع الكهّان، مستشهدين بقوله ﷺ: «أَسَجْعًا كسَجْعِ الكُهَّان؟»». وهذا السجع هو بعيد عن البلاغة، وقائله يلجأ إليه من أجل تعمية المعنىٰ، وصرف انتباه السامع، وتشتيت فكره بهذا الزخرف اللفظي، من أجل إحقاق باطل، أو إبطال حق.

وحُجَّةُ من يستحسن السجع أنُّه يُحَسِّنُ الألفاظ، ويُظهر آثار الصنعة فيها،

ولولا ذلك لم يَرِدْ في كلام الله عَزَّوَجَلَّ، وقد استشهد هؤلاء بما جاء في أوائل سورة طه، قال تعالىٰ: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾»(١).

والمذهبُ الصَّحيحُ أنَّ السَّجْعَ مَحْمُودٌ إذا وَقَعَ سَهْلا مُتيَسَّرًا، بلا كُلفة ولا مَشَقَّة، و«السَّجْعُ يُخَامِرُ العُقولَ مُخَامَرَةَ الخَمْر، ويُخَدِّرُ الأعْصابَ إخْدَارَ الغِنَاء، ويؤثّر في النفوس تأثيرَ السِّحر، ويلعبُ بالأفْهَام لعبَ الرّيح بالهَشِيم، لِمَا يُحدثُهُ مِنَ النَّغْمَة المُؤَثِّرَة، والموسيقىٰ القويّة التي تَطْرَبُ لها الأذن، وتهشُّ لها النَّفس، فتُقْبِلُ علىٰ السَّمَاع مِنْ غير أنْ يداخلها مَلَل، أوْ يُخَالطها فُتُور، فيتمكّنُ المعنىٰ في الأذْهَان، ويَقِرُّ في الأفكار، ويعِزُّ لَدَىٰ العُقُول»(٢).



---

(١) دراسات في علم البديع مرجع سابق (ص ١٣٦، ١٣٧).

(٢) الصبغ البديعي في اللغة العربية الدكتور أحمد إبراهيم موسىٰ (ص ٤٩٦، ٤٩٧).

التطبيق

دل علىٰ مواطن السجع في النماذج البلاغية الآتية:

١- قال حافظ إبراهيم في رسالة بليغة بعثَ بها إلىٰ الإمام محمد عبده: «كِتَابِي إِلَىٰ سَيِّدِي، وأَنَا مِنْ وَعْدِهِ بَيْنَ الجَنَّةِ والسَّلْسَبِيل، ومِنْ تِيهِي بِهِ فَوْقَ النَّثْرَةِ[١] والإِكْلِيل، وقَدْ تَعَجَّلْتُ السُّرُور، وتَسَلَّفْتُ[٢] الحُبُور، أَمُدُّ صَوْتِي بِذِكْرِ إِحْسَانِه، مَدَّ المُؤَذِّنِ صَوْتَهُ فِي أَذَانِه، وأَعْتَمِدُ عَلَيْهِ فِي البُعْدِ والقُرْب، اعْتِمَادَ المَلَّاحِ عَلَىٰ نَجْمَةِ القُطْب، وهَا أَنَا ذَا مُتَمَاسِكٌ حَتَّىٰ تَنْحَسِرَ هَذِهِ الغَمْرَه، ويَنْطَوِيَ أَجَلُ هَذِهِ الفَتْرَه، ويَنْظُرَ لِي سَيِّدِي نَظْرَةً تَرْفَعُنِي مِنْ ذَاتِ الصَّدْع[٣]، إِلَىٰ ذَاتِ الرَّجْع، وتَرُدُّنِي إِلَىٰ وَكْرِي الَّذِي فِيهِ دَرَجْتُ رَدَّ الشَّمْسِ قَطْرَةَ المُزْنِ إِلَىٰ أَصْلِهَا، ورَدَّ الوَفِيِّ الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا، فَلَقَدْ حَلَلْتُ السُّودَانَ حُلُولَ الكَلِيمِ فِي التَّابُوت[٤]، ويُونسَ فِي جَوْفِ الحُوت، لَا، بَلْ حُلُولَ المُشْرِكِ فِي تَنُّورِ العَذَاب، والكَافِرِ فِي مَوْقِفِ يَوْمِ الحِسَاب، بَيْنَ نَارَيْن: نَارِ القَيْظ، ونَارِ الغَيْظ، لَقَدْ أَمْسَيْتُ يَا سَيِّدِي ومُلْكُ آمَالِي إِلَىٰ الزَّوَالِ أَسْرَعُ مِنْ أَثَرِ الشِّهَابِ فِي السَّمَاء، ودَوْلَةُ صَبْرِي إِلَىٰ الاضْمِحْلَالِ أَحَثُّ مِنْ حَبَابِ المَاء، فَنَظَرْتُ فِي وُجُوهِ العِبَاد، وإِنِّي لَفَارِسُ العَيْنِ والفُؤَاد، فَلَمْ تَقِفْ فِرَاسَتِي عَلَىٰ غَيْرِ بَابِك. وإِنِّي أُهْدِيكَ

(١) النثرة: اسم كوكب تسميه العرب (نثرة الأسد)، وهي من منازل القمر.

(٢) تسلَّفت الحبور: طلبته مقدما قبل أوانه.

(٣) الصدع: الشق، ويريد بذات الصدع: الأرض. والرجع: المطر بعد المطر، وذاتُ الرجع: السماء. «والسماء ذات الرجع، والأرض ذات الصدع».

(٤) الكليم: نبي الله موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يشير إلىٰ قصة وضعه في التابوت وإلقائه في اليم، وهو وليد.

سَلَامًا لَوِ امْتَزَجَ بِالسَّحَاب، واخْتَلَطَ مِنْهُ بِاللُّعَاب[(١)]، لَأَصْبَحَتْ تَتَهَادَىٰ بِقَطْرِهِ الأَكَاسِرَه، وأَمْسَتْ تُدَخِّرُ مِنْهُ الرُّهْبَانُ فِي الأَدْيِرَه[(٢)]، ولَأَغْنَىٰ ذَاتَ الحِجَاب، عَنِ الطِّيبِ والمَلَاب[(٣)]، ولَا بِدْعَ إِذَا جَادَ السَّيِّدُ بِالرَّد، فَقَدْ يُرَىٰ وَجْهُ المَلِيكِ فِي المِرْآة، وخَيَالُ القَمَرِ فِي الأَضَاة[(٤)]، وإِنْ حَالَ حَائِل، دُونَ أُمْنِيَّةِ هَذَا السَّائِل، فَهُوَ لا يَذُمُّ يَوْمَك، ولَا يَيْأَسُ مِنْ غَدِك، فَأَنْتَ خَيْرُ مَا تَكُونُ حِينَ لَا تَظُنُّ نَفْسٌ بِنَفْسٍ خَيْرًا، والسَّلَام».

٢- قال محمد المويلحي في إحدىٰ مقاماته يصف متحفا: «كَمْ هُنَاكَ مِنْ صُوَرٍ بَرَاهَا الإِتْقَانُ والإِحْكَام، تُمَثِّلُ لِلْعُقُولِ والأَفْهَام، مَا لَا يُمَثِّلُهُ تَأْلِيفُ الكَلَام، وتُشَخِّصُ لَكَ حَوَادِثَ التَّارِيخِ ومَنَاظِرَه، كَأَنَّكَ كُنْتَ نَاظِرَهُ وَحَاضِرَه، ويُوَضِّحُ لَكَ قَلَمُ الرَّسْمِ والتَّصْوِير، مَا يَعْجَزُ عَنْهُ قَلَمُ الخَطِّ والتَّحْرِير، مِنْ مَكْنُونِ الأَهْوَاءِ والأَشْجَان، بِلَفْظٍ مُبِينٍ مِنَ النُّقُوشِ والأَلْوَان، فَمَا شِئْتَ فِيهَا مِنْ أَثَرٍ يَجْلُو صَدَأَ الحِسّ، ويُرَقِّقُ حَوَاشِيَ النَّفْس، فَتَتَوَلَّاكَ هَزَّةُ الطَّرَبِ لِرُؤْيَتِهَا، وتَعْتَرِيكَ نَفْحَةُ السِّحْرِ مِنْ هَيْئَتِهَا، فتَكَادُ تَئِنُّ لِلْفَارِسِ المَقْتُول، وتَعْطِفُ عَلَىٰ الوَالِهِ المَتْبُول، فَتَتَرَحَّمُ عَلَىٰ قَتِيلِ الرُّمْحِ والحُسَام، كَمَا تَسْتَغْفِرُ لِشَهِيدِ الهَوَىٰ والغَرَام، وتَسْتَبِيكَ الفَتَاةُ الحَسْنَاء، والكَاعِبُ العَذْرَاء، فَتَصْبُو إِلَىٰ مَحَبَّتِهَا، وتَطْمَعُ فِي مَوَدَّتِهَا، لَوْلَا عُيُونُ الرُّقَبَاءِ مِنْ أَهْلِهَا، وهُمْ ضَارِبُونَ حَوْلَهَا».

٣- قال عائض القرني في (مقامة القلم): «إِنْ غَضِبَ القَلَمُ فَجَّرَ الدِّمَاء، وأَبَادَ الأَحْيَاء، وأَشْعَلَ حَرْبًا شَعْوَاء، وإِنْ رَضِيَ مَنَحَ المَوَاهِب، وأَعْطَىٰ الرَّغَائِب، وأَهْدَىٰ المَنَاصِب، إِنْ شَاءَ فَمِدَادُهُ سُمُّ الحَيَّات، وأُمُّ النَّكَبَات، وإِنْ أَرَادَ جَعَلَ

---

(١) لعاب السحاب: مطره.

(٢) شبه هذا المطر بالخمر المعتقة عند الرهبان، المحفوظة في أديارهم.

(٣) الملاب: العطر، وهو لفظ فارسي معرّب.

(٤) الأضاة: الغدير.

سُطُورَهُ نُورَا، ومَلأَهَا حُبُورَا، ونَمَّقَهَا حُسْنًا مَنْشُورَا، إذَا سَالَ لُعَابُه، كَثُرَ صَوَابُه، وحَضَرَ جَوَابُه، وتَزَاحَمَ عُبَابُه، لا تَسْمَعُ لَهُ كَلامًا، ولَكِنَّهُ صَارَ لِلْحِكْمَةِ إمَامًا، لَفْظُهُ أغْلَىٰ مِنَ اليَاقُوت، بِهِ خُطَّ الوَحْيُ فِي المَلَكُوت. مُصِيبَةُ القَلَمِ أنَّهُ يُذِيعُ الأسْرَار، ولَا يَكْتُمُ الأخْبَار، إذَا تَشَجَّعَ مَلأَ الصَّفَحَات، وعَبَّأَ المُجَلَّدَات، وإنْ جَبُنَ ألْغَزَ وأوْجَز، وطَلْسَمَ وأعْجَز، يَشْرَبُ ولا يَأكُل، ويُجِيبُ ولَا يَسْأل، إنْ عَبَّأتَهُ مِدَادَا، أَحَالَ بَيَاضَكَ سَوَادَا، عَقْلُهُ مَرْهُون، وخَصْمُهُ مَغْبُون، وعَذَابُهُ غَيْرُ مَأمُون، لَهُ رَأسٌ بِلَا عَيْنَين، ولِسَانٌ بِلَا شَفَتَيْن، وصَدْرٌ بِلَا يَدَيْن، لَا يَتَكَلَّمُ حَتَّىٰ يَشْبَع، ولَا يَخْطُبُ حَتَّىٰ يَرْضَع، ولَا يَسْكُتُ حَتَّىٰ يُوضَع، يَرْقُصُ عَلَىٰ نَبَضَاتِ قَلْبِك، فَإنْ أوْقَفْتَ الإمْلَاءَ نَادَىٰ: اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّك، فَذِكْرُكَ غِذَاؤه، وكَفُّكَ حِذَاؤه، ومِدَادُكَ مَاؤه، وجَيْبُكَ وِعَاؤه».



حل التطبيق

١- (السَّلْسَبِيل، الإكْلِيل) - (السُّرُور، الحُبُور) - (إحْسَانِه، أَذَانِه) - (القُرْب، القُطْب) - (الغَمْرَه، الفَتْرَه) - (الصَّدْع، الرَّجْع) - (أَصْلِها، أَهْلِها) - (التَّابُوت، الحُوت) - (العَذَاب، الحِسَاب) - (القَيْظ، الغَيْظ) - (السَّمَاء، المَاء) - (العِبَاد، الفُؤَاد) - (السَّحَاب، اللُّعَاب) - (الأَكَاسِرَه، الأَدْيِرَه) - (الحِجَاب، المَلَاب) - (المِرْآة، الأَضَاة) - (حَائِل، السَّائِل).

٢- (الإحْكَام، الأفْهَام، الكَلَام) - (مَنَاظِرَه، حَاضِرَه) - (التَّصْوِير، التَّحْرِير) -(الأشْجَان، الألْوَان) - (الحِسّ، النَّفْس) - (رُؤيَتِهَا، هَيْئَتِها) - (المَقْتُول، المَتْبُول) - (الحُسَام، الغَرَام) - (الحَسْنَاء، العَذْرَاء) - (مَحَبَّتِهَا، مَوَدَّتِهَا).

٣- (الدِّمَاء، الأحْيَاء، شَعْوَاء) - (المَوَاهِب، الرَّغَائِب، المَنَاصِب) - (الحَيَّات، النَّكَبَات) - (نُورَا، حُبُورَا، مَنْشُورا) - (لُعَابُه، صَوَابُه، جَوَابُه، عُبَابُه) - (كَلَامَا، إمَامَا) - (اليَاقُوت، المَلَكُوت) - (الأسْرَار، الأخْبَار) - (الصَّفَحَات، المُجَلَّدَات) - (أوْجَز، أعْجَز) - (يَأكُل، يَسْأل) - (مِدَادَا، سَوَادَا) - (مَرْهُون، مَغْبُون، مَأمُون) - (عَيْنَيْن، شَفَتَيْن، يَدَيْن) - (يَشْبَع، يَرْضَع، يُوضَع) - (قَلْبِك، رَبِّك) - (غِذَاؤه، حِذَاؤه، مَاؤه، وِعَاؤه).





تمـرين

دُلَّ علىٰ السّجع في النماذج الآتية، وبين بلاغته:

قال محمد المويلحي: «رَأَيْتُ فِي المَنَام، كَأَنِّي فِي صَحْرَاءِ الإِمَام، أَمْشِي بَيْنَ القُبُورِ والرِّجَام، فِي لَيْلَةٍ زَهْرَاءَ قَمْرَاء، أُحَدِّثُ نَفْسِي بَيْنَ تِلْكَ القُبُور، وفَوْقَ هَاتِيكَ الصُّخُور، بِغُرُورِ الإنْسَانِ وكِبْرِه، وشُمُوخِهِ بِمَجْدِهِ وفَخْرِه، وإِغْرَاقِهِ فِي دَعْوَاه، وإِسْرَافِهِ فِي هَوَاه، واسْتِعْظَامِهِ لِنَفْسِه، ونِسْيَانِهِ لِرَمْسِه، فَقَدْ شَمَخَ المَغْرُورُ بِأَنْفِهِ حَتَّىٰ رَامَ أَنْ يَثْقُبَ بِهِ الفَلَك، اسْتِكْبَارًا لِمَا جَمَعَ واسْتِعْلَاءً بِمَا مَلَك، وبَيْنَمَا أَنَا فِي هَذِهِ المَوَاعِظِ والعِبَر، وتِلْكَ الخَوَاطِرِ والفِكَر، أَتَأَمَّلُ فِي عَجَائِبِ الحَدَثَان، وأَعْجَبُ مِنْ تَقَلُّبِ الأَزْمَان، مُسْتَغْرِقًا فِي بَدَائِعِ المَقْدُور، مُسْتَهْدِيًا لِلْبَحْثِ فِي أَسْرَارِ البَعْثِ والنُّشُور، إِذَا بِرَجَّةٍ عَنِيفَةٍ مِنْ خَلْفِي، كَادَتْ تَقْضِي بِحَتْفِي، فَالْتَفَتُّ الْتِفَاتَ الخَائِفِ المَذْعُور، فَرَأَيْتُ قَبْرًا انْشَقَّ مِنْ بَيْنِ القُبُور، وقَدْ خَرَجَ مِنْهُ رَجُلٌ طَوِيلُ القَامَة، عَظِيمُ الهَامَة، فَصُعِقْتُ مِنْ هَوْلِ الوَجَل، صَعْقَةَ مُوسَىٰ يَوْمَ دُكَّ الجَبَل، فَلَمَّا أَفَقْتُ مِنْ غَشْيَتِي، وانْتَبَهْتُ مِنْ دَهْشَتِي، أَخَذْتُ أُسْرِعُ فِي مِشْيَتِي، فَسَمِعْتُهُ يُنَادِينِي، وأَبْصَرْتُهُ يُدَانِينِي، فَوَقَفْتُ امْتِثَالًا لِأَمْرِه، واتِّقَاءً لِشَرِّه، ثُمَّ دَارَ الحَدِيثُ بَيْنَنَا».

قال أحمد شوقي في مقدّمة كتابه (أسواق الذهب): «الحَمْدُ لِلهِ الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَم، وأَلْهَمَ نَوَابِغَ الكَلِم، وجَعَلَ الأَمْثَالَ والحِكَم، أَحْسَنَ أَدَبِ الأُمَم، وصَلَّىٰ اللهُ وسَلَّمَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ دِيمَةِ البَيَانِ المُنْسَجِمَة، وعَلَىٰ مُوسَىٰ الكَلِيمِ

وعِيسَىٰ الكَلِمَة، وبعْد، فَهذِهِ فُصُولٌ مِنَ النَّثر، مَا زَعَمْتُ أَنَّهَا غُرَرُ زِيادٍ[1]، أَوْ سَجْعُ المُطَوَّقَةِ عَلَىٰ فَرْعِ غُصْنِهَا المَيَّاد، ولَا تَوهَّمْتُ حِينَ أَنْشَأْتُهَا أَنِّي صَنَعْتُ أَطْوَاقَ الذَّهَبِ للزَّمَخْشَرِيّ، أَوْ طَبَعْتُ أَطْبَاقَ الذَّهَبِ للأَصْفَهَانِيّ، وإِنْ سَمَّيْتُ هَذَا الكِتَابَ بِمَا يُشْبِهُ اسْمَيْهِمَا، وَوَسَمْتُهُ بِمَا يَقْرُبُ فِي الحُسْنِ مِنْ وَسْمَيْهِمَا، وإِنَّمَا هِيَ كَلِمَاتٌ اشْتَمَلَتْ عَلَىٰ مَعَانٍ شَتَّىٰ الصُّوَر، وأَغْرَاضٍ مُخْتَلِفَةِ الخَبَر، جَلِيلَةِ الخَطَر، مِنْهَا مَا طَالَ عَلَيْهِ القِدَم، وشَابَ عَلَىٰ تَنَاوُلِهِ القَلَم، ومِنْهَا مَا كَثُرَ عَلَىٰ الأَلْسِنَةِ فِي هَذِهِ الأَيَّام، وأَصْبَحَ يَعْرِضُ فِي طُرُقِ الأَقْلَام، وتَجْرِي بِهِ الأَلْفَاظُ فِي أَعِنَّةِ الكَلَام، حِكَمٌ عَنِ الأَيَّامِ تَلَقَّيْتُهَا، ومِنَ التَّجَارِيبِ اسْتَمْلَيْتُهَا، وفِي قَوَالِبِ العَرَبِيَّةِ وَعَيْتُهَا، وعَلَىٰ أَسَالِيبِهَا حَبَّرْتُهَا وَوَشَيْتُهَا، وبَعْضُ هَذِهِ الخَوَاطِرِ قَدْ نَبَعَ مِنَ القَلْبِ وهُوَ عِنْدَ اسْتِجْمَامِ عَفْوِه، وطَلَعَ فِي الذِّهْنِ وهُوَ عِنْدَ تَمَامِ صَحْوِهِ وصَفْوِه، وغَيْرُهُ - ولَعَلَّهُ الأَكْثَرُ - قَدْ قِيلَ والأَكْدَارُ سَارِيَة، والأَقْدَارُ بِالمَكَارِهِ جَارِيَة، والدَّارُ نَائِيَة، وحُكُومَةُ السَّيْفِ عَابِثَةٌ عَاتِيَة، فَأَنَا أَسْتَقِيلُ القَارِئَ فِيهِ السَّقَطَات، وأَسْتَوْهِبُهُ التَّجَاوُزَ عَنِ الفَرَطَات، اللَّهُمَ غَيْرَ وَجْهِكَ مَا ابْتَغَيْت، وسِوَىٰ النَّفْعِ لِخَلْقِكَ مَا نَوَيْت، وعَلَيْكَ رَجَائِي أَلْقَيْت، وإِلَيْكَ بِذُلِّي وضَعْفِي انْتَهَيْت».

قال محمود سامي البارودي في مقدمة ديوانه: «لِلشِّعْرِ رُتْبَةٌ لَا يَجْهَلُهَا إِلَّا مَنْ جَفَا طَبْعُه، ونَبَا عَنْ قَبُولِ الحِكْمَةِ سَمْعُه، فَهُوَ حِلْيَةٌ يَزْدَانُ بِجَمَالِهَا العَاطِل، وَعُوذَةٌ لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهَا البَاطِل، ولَقَدْ كُنْتُ فِي رَيْعَانِ الفُتُوَّة، وانْدِفَاعِ القَرِيحَةِ بِتَيَّارِ القُوَّة، أَلْهَجُ بِهِ لَهَجَ الحَمَامِ بِهَدِيلِه، وآنَسُ بِهِ أُنْسَ العَدِيلِ بِعَدِيلِه، لَا تَذَرُّعًا إِلَىٰ وَجْهٍ أَنْتَوِيه، ولَا تَطَلُّعًا إِلَىٰ غُنْمٍ أَحْتَوِيه، وإِنَّمَا هِيَ أَغْرَاضٌ حَرَّكَتْنِي، وإِبَاءٌ جَمَحَ بِي، وغَرَامٌ سَالَ عَلَىٰ قَلْبِي، فَلَمْ أَتَمَالَكْ أَنْ أَهَبْتُ، فَحَرَّكْتُ بِهِ جَرْسِي، أَوْ هَتَفْتُ

---

(١) زياد بن أبيه من أشهر خطباء الدولة الأموية.

فَسَرَّيْتُ بِهِ عَنْ نَفْسِي. واللهَ أَسْأَلُ أَنْ يُلْهِمَنِي الصَّوَاب، ولَا يَحْرِمَنِي الثَّوَاب، إِنَّهُ أَكْرَمُ مَسْؤول، وأَفْضَلُ مَأْمُول».

قال المنفلوطي في مقالة (المَرقَص): «حَكَىٰ صَدِيقٌ لي، قال: إنَّ العَيْنَ لا تَكَادُ تَمْلِكُ مَدَامِعَهَا، كُلَّمَا أَبْصَرَتْ هذا الجُنْدِيَّ الجَلِيل، واقِفًا هذا المَوْقِفَ الذَّلِيل، يَسْمَعُ قِرَاعَ الدُّفُوف، لا قِرَاعَ السُّيُوف، ويَرَىٰ حُمْرَةَ الصَّهْبَاء، لا حُمْرَةَ الدِّمَاء، ويَحْمِي الفُسْقَ والفُجُور، لا القِلاعَ والثُّغُور، رأيتُ الدَّنانيرَ ذائبةً في الكُؤُوس، والعُقُولَ جَامِدَةً في الرُّؤُوس، والحَبَائِلَ مَنْصُوبَةً لاسْتِلَابِ الجُيُوب، والسِّهَامَ مُسَدَّدَةً لاصْطِيَادِ القُلُوب».

وصف أحمد حسن الزَّيات أسلوبَ أحمد أمين فقال: «كَانَ هَمُّهُ مِنَ الكِتَابَةِ أنْ يُقَرِّرَ ويُقْنِع، لا أنْ يُؤَثِّرَ ويُمْتِع، فَأَنْتَ مِنْهُ بإزَاءِ عَالِمٍ يَبْحَثُ لِيُنْتِج، أوْ مُصْلِحٍ يَصِفُ لِيُعَالِج، لا بِإِزَاءِ مُصَوِّرٍ يُلَوِّنُ لِيُعْجِب، أوْ مُوسِيقَارٍ يُلَحِّنُ لِيُطْرِب».

قال أحمد أمين: «لَوْلا الجَمَالُ مَا كَانَتِ الحَدَائِقُ والبَسَاتِين، ولا كَانَ هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ رَائِحَةِ البِنْزِينِ ورَائِحَةِ اليَاسَمِين، ولَوْلاهُ لَكَانَتْ أَصْوَاتُ البُومِ والغِرْبَان، كأَصْوَاتِ البُلْبُلِ والكَرَوَان».

ووصف أحمد أمين أسلوب بعض الكتاب فقال: «هُوَ فِي فَنِّهِ أَطْرَبُ مِنْ سَجْعِ الحَمَام، وأَحْسَنُ مِنَ الدُّرِّ فِي النِّظَام، أَلْفَاظُهُ العَذْبُ الزُّلَالُ أَوْ أَرَقّ، ومَعَانِيهِ السِّحْرُ الحَلَالُ أَوْ أَدَقّ».

قال ميخائيل نعيمة: «إنْ سُئِلْتُمْ عَنْ أَبْدَعِ آيَاتِ الفَنّ، وأَغْلَاهَا، قُولُوا: ضَمِيرٌ لَا يُسَخَّر، وجَبِينٌ لَا يُعَفَّر، ولِسَانٌ حَلِيمٌ شَكُور، وقَلْبٌ عَفِيفٌ غَفُور، وعَيْنٌ لَا تُبْصِرُ القَذَىٰ، ويَدٌ لَا تُنْزِلُ الأَذَىٰ».



رَدُّ العَجُزِ على الصَّدْر

تعريفُه: ويُسَمَّىٰ كذلك التَّصْدِير. ويَكُونُ في النَّثْرِ، كما يَكُونُ كذلك في النَّظْم.

١/ **في النَّثْر**: وهُوَ أنْ يُجْعَلَ أَحَدُ اللَّفْظَيْنِ المُكَرَّرَيْن، أو المُتَجَانِسَيْن، فِي أَوَّلِ الفِقْرَة، والآخَرُ فِي آخِرِهَا، والمُرَادُ بالمُكَرَّرَيْن: المُتَّفِقَيْنِ فِي اللَّفْظِ والمَعْنَىٰ[1]. ومثاله سؤال أحدِهم عن القنبلة الذريّة، فقال: «اخْتِرَاعٌ لِتَدْمِيرِ كُلِّ اخْتِرَاع».

٢/ **في النَّظْم**: وهو أن يجعلَ الشَّاعرُ أحدَ اللفظين المتجانسين في آخِرِ البَيْتِ، ويجعلَ اللفظَ الآخَرَ إمَّا: في أَوَّلِ البَيْت، أوْ فِي آخِرِ الشَّطْرِ الأوَّل، أوْ فِي وَسَطِ الشَّطْرِ الأوَّل، أوْ فِي أَوَّلِ الشَّطْرِ الثَّانِي. وإليك تفصيل ذلك:

١- في أَوَّلِ البَيْت:

كقول الشاعر اللبناني عبد الحميد الرافعي:

لَوْلَاهُ مَا انْقَادَ فُؤَادِي وَلَا ... دَانَ بِدِينِ العِشْقِ لَوْلَاهُ

ومنه قول الشاعر القروي:

كَمْ صَرَفْتُ السِّنِينَ وَالقَلْبُ لَاهٍ ... عَنْكَ يَا رَبُّ، كَمْ صَرَفْتُ السِّنِينَا

ومنه قول شاعر المهجر نسيب عريضة:

اتَّخَذْتُ أمْرِيكَا وَطَنًا عَزِيزًا ... فَكَانَتْ لِي كَأَحْسَنِ مَا اتَّخَذْتُ

ومنه قول محمود سامي البارودي في رثاء ابنه:

وَاكَبِدِي يَا عَلِيُّ بَعْدَكَ لَو ... كَانَتْ تَبُلُّ الغَلِيلَ (وَاكَبِدِي)

---

(١) فن البديع دكتور عبد القادر حسين (ص ١٢٣).

ومنه قول الشاعر العراقي عبد المحسن الكاظمي مخاطبًا صديقه البارودي:

مَحْمُودُهَا السَّامِي وَهَلْ بَيْنَ الوَرَى ... إِلَّاهُ سَامٍ فِي العُلَا مَحْمُودُ؟

٢- في آخِرِ الشَّطْرِ الأوَّل:

كقول معروف الرصافي في رثاء أحمد شوقي:

الشِّعْرُ كُنْتَ أَمِيرَهُ وسَمِيرَهُ ... فَمَنِ المُسَامِرُ بَعْدَ فَقْدِ سَمِيرِهِ؟

ومنه قول الشاعر القروي واصفا جمال لبنان:

تِلْكَ المَشَاهِدُ لَوْ رَآهَا مُلْحِدٌ ... نَزَلَ اليَقِينُ عَلَى ضَمِيرِ المُلْحِدِ

ومنه قول مصطفىٰ صادق الرافعي في وصف (السينما) وبعض مشاهدها الهزلية:

مَشَاهِدٌ مَثَّلَهَا هَازِلٌ ... وَرُبَّ جِدٍّ جَرَّهُ الهَازِلُ

ومنه قول محمد العيد مخاطبًا حبيبته الجزائر:

أقْسَمْتُ لَوْ خَيَّرْتِنِي فِي مَصْرَعٍ ... مَا اخْتَرْتُ إلَّا فِي سَبِيلِكِ مَصْرَعِي

ومنه قول مفدي زكريا مخاطبًا شهر الثورة التحريرية (نوفمبر):

وذَكَّرْتَنَا فِي الجَزَائِرِ بَدْرًا ... فَقُمْنَا نُضَاهِي صَحَابَةَ بَدْرِ

٣- في وسط الشَّطْرِ الأوَّل:

كقول إيليا أبي ماضي في رثاء أبيه:

أَقُولُ: لَوْ أَنِّي.. كَيْ أُبَرِّدَ لَوْعَتِي ... فَيَزْدَادُ شَجْوِي كُلَّمَا قُلْتُ: لَوْ أَنِّي

ومنه قول الشاعر القروي:

كَمْ تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الأَبْرَارِ ... فَاسْمَحْ يَا سَيِّدِي أَنْ أَكُونَا

ومنه قول معروف الرُّصافي:

إنْ كَـانَ مَحْمُـودَ الفِعَـالِ فَإنَّـهُ وَرِثَ المَكَـارِمَ عَـنْ أَبٍ مَحْمُـودِ

ومنه قول نزار قباني:

جَـاءَ تِشْـرِينُ يَـا حَبِيبَـةَ عُمْـرِي أَحْسَـنُ الوَقْـتِ لِلْهَـوَى تِشْـرِينُ

ومنه قول محمود غنيم مخاطبًا ربه:

مَـا جَـاءَنِي فِيـكَ شَـيْطَانِي يُشَـكِّكُنِي إلَّا وَعَـادَ بِثَـوْبِ الخِـزْيِ شَـيْطَانِي

٤- فِي أَوَّلِ الشَّطْرِ الثَّانِي:

كقول الشاعر القروي:

أتَاكَ الهَوَى فَاصْبِرْ عَلَى الوَجْدِ والأَلَمِ أَلَـمْ يَأتِـكَ الإنْـذَارُ مِـنْ أَهْلِـهِ أَلَـمْ؟

ومنه قول خليل مطران:

وعَيْنَـانِ كَـالنَّجْمَيْنِ فِي حَلَـكَ الـدُّجَى هُمَـا نِعْمَـةُ الـدُّنْيَا وشَـقْوَتُهَا هُمَـا

ومنه قول علي الجارم:

أَخْـرَجَ الـرَّوْضُ أَطْيَـبَ الثَّمَـرَاتِ هَـاتِ مَا شِـئْتَ مِـنْ قَرِيضِـكَ هَـاتِ

ومنه قول محمود غنيم في الوحدة العربية:

ولَـوْ أَنَّـا لَـدَى الزَّحْـفِ صَـفًّا مَـا دَهَانَـا مِـنَ الأَسَى مَـا دَهَانَـا

ومنه قول حافظ إبراهيم في تحية الإمام محمد عبده بعد عودته من الجزائر:

بَكِّـرَا صَـاحِبَيَّ يَـوْمَ الإيَـابِ وَقِفَـا بِي بِعَـيْنِ شَـمْسٍ قِفَـا بِي

بلاغة رد العجز على الصدر:

إنّ ردّ العجز علىٰ الصدر يؤكد المعنىٰ، ويقرّره، وذلك بإعادة اللفظ مرة ثانية، كما يجمّل اللفظ، ويحسنه، أضف إلىٰ ذلك أنه يربط بين أجزاء الكلام،

فيجعل القول متّسقًا، ومنسجمًا، وهناك ميزة أخرىٰ، «وهي دلالة أوّلِ الكلام علىٰ آخره، وارتباط آخره بأوله، وتلك هي البلاغة، فقد قال الخبراء بفن القول: البلاغة أن يكون أول كلامك دالا علىٰ آخره، وآخرُه مرتبطا بأوّله، وقد كان صُنّاع الكلام يفخرون بدلالة أول كلامهم علىٰ آخره، وارتباط آخره بأوله، كما كان النقاد يفطنون للكلام الجيد المتماسك، ويدركون آخره عند سماعهم لأوله»[١]، وقد أشاد به أبو هلال العسكري في الصناعتين بقوله: «إنَّ لِرَدِّ الأَعْجَازِ عَلَىٰ الصُّدُورِ مَوْقِعًا جَلِيلًا فِي البَلَاغَة، ولَهُ فِي المَنْظُومِ خَاصَّةً مَحَلًّا خَطِيرًا»[٢].

كما أثنىٰ عليه ابن رشيق في كتاب العُمدة بقوله: «إنَّهُ يُكْسِبُ البَيْتَ الَّذِي فِيهِ أُبَّهَة، ويَكْسُوهُ رَوْنَقًا ودِيبَاجَة، ويَزِيدُهُ مَائِيَّةً وطَلَاوَة».



(١) علم البديع الدكتور بسيوني عبد الفتاح فيود (ص ٣١٥).
(٢) كتاب الصناعتين (ص ٤٠٠).

التطبيق

دُلَّ علىٰ ردِّ العجز علىٰ الصدر، وبين نوعه في النماذج البلاغية الآتية:

١- قال الشاعر الجزائري مفدي زكريا:

كُتِبَ النَّصْرُ فِي الحَيَاةِ سِجَالًا لِلَّذِي صَارَعَ الخُطُوبَ سِجَالًا

٢- قال علي الجارم:

يَمْشُونَ لِلْمَوْتِ فِي شَوْقٍ وَفِي جَذَلٍ لِأَنَّهُمْ فِي ظِلَالِ اللهِ يَمْشُونَا

٣- قال أبو القاسم الشابي:

عَجَبًا لِي أَوَدُّ أَنْ أَفْهَمَ الكَوْنَ، وَنَفْسِي لَمْ تَسْتَطِعْ فَهْمَ نَفْسِي

٤- قال ناصيف اليازجي:

حَكَى عِقْدَ الجُمَانِ وَلَيْسَ كُلٌّ يَلِيقُ بِجِيدِهِ عِقْدُ الجُمَانِ

٥- قال خليل مطران مخاطبًا أمة العرب:

يَمْضِي الزَّمَانُ وَتَنْقَضِي أَحْدَاثُهُ وَهَوَاكِ مِنَّا فِي القُلُوبِ هَوَاكِ

٦- وقال خليل مطران:

ذَاكَ الغَرَامُ بِمِصْرَ لَمْ يُلْمِمْ بِهِ أَحَدٌ، وَلَمْ يَبْلُغْ مَدَاهُ غَرَامُ

٧- وقال مادحا في القصيدة ذاتها:

يَا هَاجِرَ الأَقْلَامِ كَادَتْ، مِنْ أَسًى، تَجْرِي نُفُوسًا بَعْدَكَ الأَقْلَامُ

٨- وقال مطران في رثاء أديبة ماتت في عزّ شبابها:

يَا مَنْ ذَوَتْ فِي زَهْرَةِ العُمْرِ مَا أَقْسَى الرَّدَى فِي زَهْرَةِ العُمْرِ!

٩- قال محمود غنيم في نعمة الأبناء:

وَإِذَا شَـحَّ الـزَّادُ وَالمَـاءُ يَوْمًـا   فَلَهُـمْ مِـنْ هَـوَايَ: زَادٌ، وَمَـاءُ

١٠- وقال محمود غنيم:

أيْـنَ عَهْـدُ الرَّشِـيدِ يَحْشُـو فَمَ الشَّـا   عِـرِ بِالـدُّرِّ؟ أَيْـنَ عَهْـدُ الرَّشِـيدِ؟

١١- قال علي الجندي في الغزل:

إِذَا رُحْتُ مِنْ لَيْلَى سَقِيمًا وَعُوفِيَتْ   فَلَسْـتُ أُبَـالِي السُّـقْمَ لَسْـتُ أُبَـالِي

١٢- وقال علي الجندي:

(وَاحَـزَنِي) لَـمْ أَزَلْ أُرَدِّدُهَـا   وَهَـلْ تَبُـلُّ الغَلِيـلَ: (وَاحَـزَنِي)؟

١٣- قال حافظ إبراهيم:

تَوَلَّيْـتَ الأُمُـورَ فَـتًى وَكَهْـلًا   فَلَـمْ يَبْلُـغْ مَـدَاكَ فَـتًى وَكَهْـلُ

١٤- وحافظ إبراهيم في الرثاء:

يَـا رَحْمَـةَ اللهِ هَـذَا قَـبْرُهُ فَقِفِـي   وآنِسِـي رُوحَـهُ يَـا رَحْمَـةَ اللهِ

١٥- قال أحمد شوقي:

واسْـتَخْبِرُوهُ: إِلَى كَـمْ نَـارُ جَفْوَتِـهِ؟   أَمَا كَفَـى مَـا جَنَـتْ نَـارُ الخُدُودِ أَمَـا؟

١٦- وقال أحمد شوقي:

جَـزَاكُمْ ذُو الجَـلَالِ بَـنِي دِمِشْـقٍ   وَعِـزُّ الشَّـرْقِ أَوَّلُـهُ دِمَشْـقُ

١٧- قال محمود سامي البارودي وهو في منفاه:

وَحِيـدٌ مِـنَ الخُـلَّانِ فِي أَرْضِ غُرْبَـةٍ   أَلَا كُـلُّ مَـنْ يَبْغِـي الوَفَـاءَ وَحِيـدُ

١٨- وقال محمود سامي البارودي:

وإِنِّي لَـرَاضٍ مِـنْ هَـوَاكِ بِنَظْـرَةٍ   وَحَسْبِي بِهَا إِنْ أَنْتِ لَمْ تَبْخَلِي حَسْبِي

١٩- قال الشاعر السوري أمين الجندي:

يَا صَبَا الأَسْحَارِ إِنْ جُزْتِ الحِمَى   خَبِّرِينِي عَنْ حَبِيبِي يَا صَبَا

٢٠- قال محمد العيد آل خليفة:

وتَرَى الأَدِيبَ الأَلْمَعِيَّ مُؤَخَّرًا   ومُحَقَّرًا وهْوَ الأدِيبُ الأَلْمَعِي



حل التطبيق

١- (سجالا - سجالا): وقع رد العجز علىٰ الصدر في آخر الشطر الأول.

٢- (يمشون - يمشون): وقع رد العجز علىٰ الصدر في أول البيت.

٣- (نفسي - نفسي): وقع رد العجز علىٰ الصدر في أول الشطر الثاني.

٤- (عقد الجمان - عقد الجمان): وقع رد العجز علىٰ الصدر في وسط الشطر الأول.

٥- (هواكِ - هواكِ): وقع رد العجز علىٰ الصدر في أول الشطر الثاني.

٦- (الغرام - غرام): وقع رد العجز علىٰ الصدر في وسط الشطر الأول.

٧- (الأقلام - الأقلام): وقع رد العجز علىٰ الصدر في وسط الشطر الأول.

٨- (زهرة العمر - زهرة العمر): وقع الرد في وسط الشطر الأول.

٩- (الزاد والماء - زادٌ وماء): وقع رد العجز علىٰ الصدر في وسط الشطر الأول.

١٠- (عهد الرشيد - عهد الرشيد): وقع الرد في وسط الشطر الأول.

١١- (لستُ أبالي - لستُ أبالي): وقع رد العجز علىٰ الصدر في أول الشطر الثاني.

١٢- (واحَزَني - واحزني): وقع رد العجز علىٰ الصدر في أول البيت.

١٣- (فتىٰ وكهلا - فتىٰ وكهلا): وقع رد العجز علىٰ الصدر في نهاية الشطر الأول.



١٤- (يا رحمة الله – يا رحمة الله): وقع رد العجز علىٰ الصدر في أول البيت.

١٥- (أما – أما): وقع رد العجز علىٰ الصدر في بداية الشطر الثاني.

١٦- (دمشق – دمشق): وقع رد العجز علىٰ الصدر في نهاية الشطر الأول.

١٧- (وحيد – وحيد): وقع رد العجز علىٰ الصدر في أول البيت.

١٨- (حسبي– حسبي): وقع رد العجز علىٰ الصدر في أول الشطر الثاني.

١٩- (يا صَبَا – يا صَبَا): وقع رد العجز علىٰ الصدر في أول البيت.

٢٠- (الأديب الألمعي– الأديب الألمعي): وقع الرد في وسط الشطر الأول.



تمرين

دُلَّ علىٰ رَدِّ العَجُزِ علىٰ الصَّدْر، وبيِّنْ نوعه في النماذج البلاغية الآتية:

قال محمود سامي البارودي:

فَيَا سَعْدُ حَدِّثْنِي بِأَخْبَارِ مَنْ مَضَى ... فَأَنْتَ خَبِيرٌ بِالأَحَادِيثِ يَا سَعْدُ

وقال البارودي متشوقًا إلىٰ وطنه:

حُزْنٌ بَرَانِي وأشْوَاقٌ رَعَتْ كَبِدِي ... يَا وَيْحَ نَفْسِيَ-مِنْ حُزْنٍ وأَشْوَاقِ

قال أحمد شوقي:

وتَمَامُ فَضْلِكَ أَنْ يَعِيبَكَ حُسَّدٌ ... يَجِدُونَ نَقْصًا عِنْدَ كُلِّ تَمَامِ

قال خليل مطران مادحًا:

حَسَبٌ زَادَهُ سَنًى وسَنَاءً ... نَسَبٌ جَامِعُ السَّنَى والسَّنَاءِ

وقال مطران:

يُبَالِي فِي الصَّدَاقَةِ كُلَّ شَيْءٍ ... وقَدْ يَلْقَى الخُطُوبَ فَمَا يُبَالِي

قال محمود غنيم في نعمة الأبناء:

مَا عَرَفْتُ الحَنَانَ والحُبَّ إلَّا ... يَوْمَ جَاءُوا، أنْعِمْ بِهِمْ يَوْمَ جَاءُوا!

قال الشاعر العراقي الشيخ عبد المحسن الكاظمي في وصف قصيدته:

سَأَنْظِمُهَا عُقُودًا مِنْ جُمَانٍ ... وَمَا كُلُّ العُقُودِ مِنَ الجُمَانِ

قال الشاعر السوري أمين الجندي مادحًا:

هَدَانَا لِوِرْدِ المَنْهَلِ العَذْبِ مِنَّةً ... فَيَا حَبَّذَاكَ المَنْهَلُ العَذْبُ وَالوِرْدُ

قال الشاعر القروي:

فَلَـمْ أَرَ غَـيْرَ نَفْسِـي مِـنْ صَـدِيقٍ ... ولَـمْ أَرَ مِـنْ عَـدُوٍّ غَـيْرَ نَفْسِـي

قال بشارة الخوري:

مَهْـلًا - فَـتَى لُبْنَـانَ - إنَّ لَنَـا ... أَمَـلًا بِتَجْدِيـدِ الهَنَـا مَهْـلَا

قال محمد العيد آل خليفة في تحية جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

وأَفْضُوا إِلَيْنَـا يَـا ذَوِي اللُّـبِّ بِالَّـذِي ... يَـتِمُّ فِيـهِ التَّوْفِيـقُ بَـيْنَ ذَوِي اللُّـبِّ

وقال محمد العيد آل خليفة:

يَـا أَيُّهَا الشَّـعْبُ لُذْ بِـالحَقِّ مُعْتَصِمًا ... وارْكُـنْ إِلَى لَائِـذٍ بِـالحَقِّ مُعْتَصِـمِ

قال مفدي زكريا في الذكرىٰ الثامنة والسبعين لوفاة الأمير عبد القادر:

وإِنْ تَـذْكُرِ الـدُّنْيَا زَعِيمًـا مُخَلَّـدًا ... فَإِنَّـكَ فِي الـدُّنْيَا الـزَّعِيمُ المُخَلَّـدُ

وقال مفدي زكريا:

إِذَا كَـانَ لِلشَّـيْطَانِ فَضْـلٌ عَلَـيْهِمْ ... فَشِـعْرِي وَحْيٌ لا وَسْـوَاسُ شَـيْطَانِ

قال حافظ إبراهيم:

قَـدْ ضِـقْتُ ذَرْعًـا بِالحَيَـاةِ ومَـنْ ... يَفْقِـدْ أَحِبَّتَـهُ يَضِـقْ ذَرْعَـا

قال مصطفىٰ صادق الرافعي:

أَنَـا أَيُّـوبُ مِـنْ هَـوَاكِ فَـأَيْنَ الـصَّـ ... ـبْـرُ يَسْـرُو الهُمُـومَ عَـنْ أَيُّـوبِ؟

قال إيليا أبو ماضي في الوصف:

رَقَّـتْ حَوَاشِـيهَا واخْضَـرَّ جَانِبُهَـا ... وأَجْمَـلُ الأَرْضِ مَـا رَقَّـتْ حَوَاشِـيهَا

وقال إيليا أبو ماضي:

لَـمْ يَفْهَمُـوا مَعْـنَى الحَيَـاةِ وكُنْهَهَـا ... إِنَّ البَلِيَّـةَ أَنَّهُـمْ لَـمْ يَفْهَمُـوا

قال علي الجارم:

وأبْعَثُ فِي الصَّحْرَاءِ أنَّاتِ شَيِّقٍ وهَلْ تَسْمَعُ الصَّحْرَاءُ أنَّاتِ شَيِّقِ؟

قال ناصيف اليازجي:

أَمْسَى ولَيْسَ لَهُ سَمْعٌ ولا بَصَرٌ مَنْ كَانَ فِي النَّاسِ مِلْءَ السَّمْعِ والبَصَرِ

قال أبو القاسم الشابي:

ألَا إنَّ أحْلَامَ البِلَادِ دَفِينَةٌ تُجَمْجِمُ فِي أعْمَاقِهَا مَا تُجَمْجِمُ



التَّرْصِيع

تعريفُ التَّرْصِيع لغة: التَّرْصِيعُ فِي اللُّغَة هُوَ وَضْعُ الجَوَاهِرِ عَلَىٰ الذَّهَبِ كالتَّاج، أو غَيْرِه. فهُو مَأخُوذٌ مِنْ تَرْصِيعِ العِقْد، وذَلِكَ بِأنْ يَكُونَ فِي أَحَدِ جَانِبَيْهِ مِنَ الجَوْهَرِ مِثْلُ مَا فِي الجَانِبِ الآخَر. قال مصطفىٰ صادق الرافعي في هذا المعنىٰ:

نَثَرُوا عَلَى تَاجِ الزَّمَانِ قَرِيضَهُ فَغَدَا بِهِ تَاجُ الزَّمَانِ مُرَصَّعَا

التَّرْصِيعُ اصطلاحًا: «هُوَ أنْ يَأْتِيَ النَّاظِمُ بِبَيْتٍ يُقَابِلُ جَمِيعَ أَلْفَاظِ صَدْرِهِ، أوْ أَكْثَرَهَا بِأَلْفَاظِ عَجُزِهِ وَزْنًا وتَقْفِيَةً»[1]. وعرفه رشيد الدين الوطواط بقوله: هُوَ أنْ يُقَسِّمَ الكَاتِبُ أو الشَّاعِرُ عِبَارَاتِهِ إلَىٰ أقْسَامٍ مُنْفَصِلَة، ثُمَّ يَجْعَلَ كُلَّ لَفْظٍ مِنْهَا في مُقَابِلِ لَفْظٍ آخَر، يَتَّفِقُ مَعَهُ فِي الوَزْن، وحَرْفِ الرَّوِيّ، وإذَا تَحَدَّثْنَا عَنِ النَّثْر، فقُلْنَا (حُرُوف الرَّوِيّ)، فَمَا ذَلِكَ إلَّا مِنْ بَابِ التَّوَسُّع، لأنَّ حُرُوفَ الرَّوِيِّ لا تَكُونُ فِي الحَقِيقَةِ إلَّا فِي الشِّعْر»[2].

يمكنك أن تلاحظ المثال الآتي: «هَذَا كِتَابٌ غَزِيرَةٌ شَوَاهِدُه، يَسِيرَةٌ قَوَاعِدُه، طَرِيفَةٌ أشْعَارُه، لَطِيفَةٌ أخْبَارُه». لاحظ أننا قسَّمنا العبارات إلىٰ أربعة أقسام منفصلة، وجعلنا كل لفظ من تلك الأقسام يقابل لفظا آخر، ويتفق معه في الوزن وكذا الحرف الأخير: (غَزِيرَةٌ، يَسِيرَةٌ) - (شَوَاهِدُه، قَوَاعِدُه) - (طَرِيفَةٌ، لَطِيفَةٌ) - (أشْعَارُه، أخْبَارُه).

---

(١) العقد البديع في فن البديع للخوري عواد (ص ٢٩٣).
(٢) معجم البلاغة العربية (ص ٢٥٧).

شواهد الترصيع:

قال الشاعر السوري بطرس كرامة مادحًا:

بَدْرُ المَلَاحَةِ بَلْ صَدْرُ الفَصَاحَةِ بَلْ ... بَحْرُ السَّمَاحَةِ بَلْ طَعَّانُ فُرْسَانِ

لاحظ أن الشاعر قد قسَّم بيته إلىٰ ثلاثة أقسام منفصلة، وجعل كل لفظ من تلك الأقسام في مُقَابِلِ لَفْظٍ آخر، يتفق وإيَّاهُ في الوزن والحرف الأخير. وهي كالآتي: (بَدْرُ، صَدْرُ، بَحْرُ) - (المَلَاحَةِ، الفَصَاحَةِ، السَّمَاحَةِ).

ومنه قوله أيضًا:

فَخْرٌ مَغَانِمُهُ نَصْرٌ مَعَالِمُهُ ... بَحْرٌ مَكَارِمُهُ، يُولِي عَلَى عَجَلِ

الألفاظ المتقابلة والمتفقة في الوزن، وأواخر الحروف هي كالآتي: (فَخْرٌ، نَصْرٌ، بَحْرٌ) - (مَغَانِمُهُ، مَعَالِمُهُ، مَكَارِمُهُ).

ومن بديعه قول كرامة أيضًا:

سِحْرٌ قَصَائِدُهُ، دُرٌّ فَرَائِدُهُ ... بَحْرٌ مَحَامِدُهُ، يُعْيِيكَ إحْصَاهَا

الألفاظ التي شكلت الترصيع هي كالآتي: (سِحْرٌ، دُرٌّ، بَحْرٌ)، فهي متفقة في أواخر حروفها، والألفاظ: (قَصَائِدُهُ، فَرَائِدُهُ، مَحَامِدُهُ) المتقابلة والمتفقة في الوزن وأواخر الحروف.

ومن نماذج الترصيع الراقية قول الشاعر السوري سليمان الصولة متغزلًا:

أَقْسَمْتُ بِالبَلَجِ الوَضَّاحِ وَالدَّعَجِ الـ ... فَضَّاحِ والأَرَجِ الفَيَّاحِ: مِتُّ ظَمَا

الألفاظ التي شكلت الترصيع هي كالآتي: (البَلَجِ، الدَّعَجِ، الأَرَجِ)، فهي متفقة في وزنها وأواخر حروفها، والألفاظ: (الوَضَّاحِ، الفَضَّاحِ، الفَيَّاحِ)، فهي كذلك متفقة في الوزن وأواخر الحروف.

ومنه قوله واصفًا انقضاء ليلة رفقة مَن يهوى:

حَتَّى إِذَا انْقَرَضَ الدَّيْجُورُ وَانْتَفَضَ الـ ... عُصْفُورُ وَانْبَسَطَ الشُّحْرُورُ فِي الشَّجَرِ

الألفاظ التي شكلت الترصيع هي كالآتي: (انْقَرَضَ، انْتَفَضَ)، فهي متفقة في وزنها وأواخر حروفها)، والألفاظ: (الدَّيْجُورُ، العُصْفُورُ، الشُّحْرُورُ)، فهي متفقة في أواخر الحروف.

ومن فرائد الترصيع قول شاعر المهجر إلياس عبد الله طعمة:

جَبِينُكِ لَاحَ فَجْرًا فِي حِمَاكِ ... وَثَغْرُكِ فَاحَ زَهْرًا مِنْ جَنَاكِ

الألفاظ التي شكلت الترصيع: (لَاحَ، فَاحَ) - (فَجْرًا، زَهْرًا) - (حِمَاكَ، جَنَاكَ).

ومن شواهد الترصيع قول الشاعر الجزائري مفدي زكريا:

المَجْدُ تَرَنَّحَ مَوْلِدُهُ ... وَالسَّعْدُ تَجَنَّحَ مَوْعِدُهُ

الشاهد في الترصيع: (المَجْدُ، السَّعْدُ) - (تَرَنَّحَ، تَجَنَّحَ) - (مَوْلِدُهُ، مَوْعِدُهُ).

ومن بدائعه قول مفدي زكريا:

إِنْ ضُيِّقُوا صَبَرُوا، أَوْ أُغْدِقُوا شَكَرُوا ... أَوْ أُرْهِقُوا كَفَرُوا الإِرْهَاقَ وَالحَرَبَا

الشاهد في الترصيع: (ضُيِّقُوا، أُغْدِقُوا، أُرْهِقُوا) - (صَبَرُوا، شَكَرُوا، كَفَرُوا)

وقال مفدي زكريا:

صَدَقَ الوَعْدُ فَاطْفَحِي يَا بَشَائِرْ ... وَدَنَا السَّعْدُ فَامْرَحِي يَا جَزَائِرْ

وَصَدَقْنَا الفِدَا فَرُعْنَا المَنَايَا ... وَسَبَقْنَا المَدَى فَسُقْنَا المَصَائِرْ

فَالأَمَانِي العِذَابُ مِلْءُ الحَنَايَا ... وَالتَّهَانِي الطِّرَابُ مِلْءُ الحَنَاجِرْ

الشاهد في الترصيع: (الوَعْدُ، السَّعْدُ) - (اطْفَحِي، امْرَحِي) - (بَشَائِرْ، جَزَائِرْ).

(صَدَقْنَا، سَبَقْنَا) - (الفِدَا، المَدَىٰ).

(الأَمَانِي، التَّهَانِي) - (العِذَابُ، الطِّرَابُ).

ومنه قول أحمد سحنون في رثاء الشاعر محمد العيد آل خليفة:

نَاحَتْ عَلَيْكَ سَوَاجِعُ الأَطْيَارِ مُذْ أَسْكَتَتْكَ فَوَاجِعُ الأَغْيَارِ

الأغيار: المصائب. والشاهد في الترصيع: (سَوَاجِعُ، فَوَاجِعُ) - (الأَطْيَار، الأَغْيَار).

ومن فنّ الترصيع قول محمود سامي البارودي:

فَمَا كُلُّ مَنْ رَاضَ البَدِيهَةَ عَاقِلٌ وَلا كُلُّ مَنْ خَاضَ الكَرِيهَةَ بَاسِلُ

الشاهد في الترصيع: (رَاضَ، خَاضَ) - (البَدِيهَةَ، الكَرِيهَةَ) - (عَاقِلٌ، بَاسِلُ).

ومنه قول ناصيف اليازجي:

فَضَّاضُ مُشْكِلَةٍ خَوَّاضُ مُعْضِلَةٍ رَوَّاضُ مَسْأَلَةٍ مِنْ كُلِّ مُلْتَبِسِ

لاحظ الألفاظ: (فَضَّاضُ، خَوَّاضُ، رَوَّاضُ) تجدها متقابلة ومتفقة وزنا وتقفية، وكذا الألفاظ: (مُشْكِلَةٍ، مُعْضِلَةٍ، مَسْأَلَةٍ).

ومنه قول أمير البيان شكيب أرسلان في مدح الشيخ محمد عبده:

فَمَضَيْتَ بَيْنَ كَمَائِلٍ وَمَفَاخِرِ وَمَشَيْتَ بَيْنَ خَمَائِلٍ وَأَزَاهِرِ

الشاهد في الترصيع: (مَضَيْتَ، مَشَيْتَ) - (كَمَائِلٍ، خَمَائِلٍ) - (مَفَاخِرِ، أَزَاهِرِ).

ومنه قول خليل مطران:

البَحْرُ سَاجٍ والسَّكِينَةُ سَائِدَهْ واللَّيْلُ دَاجٍ والمَدِينَةُ رَاقِدَهْ

الشاهد في الترصيع: (سَاجٍ، دَاجٍ) - (السَّكِينَة، المَدِينَة) - (سَائِدَه، رَاقِدَه).



وقول مطران في مساوئ المدينة:

حَيْثُ الرَّذَائِلُ فِي مَرَافِلِ عِزَّةٍ حَيْثُ الفَضَائِلُ فِي غَلَائِلِ هُونِ

الشاهد في الترصيع: (الرَّذَائِلُ، الفَضَائِلُ) - (مَرَافِلِ، غَلَائِلِ).

ومن شواهد الترصيع في النثر قول الأديب أحمد حسن الزيات: «الخَرِيفُ جَمِيلُ البَسَمَات، عَلِيلُ النَّسَمَات، وَالشَّمْسُ لَا تَزَالُ فِي ثَغْرِ السَّمَاءِ ابْتِسَامَةً حُلْوَة، تُلَاعِبُ النَّهْرَ الحَبِيب، فَتَزِيدُهُ طَلَاقَة، وَتُدَاعِبُ الزَّهْرَ الكَئِيب، فَتُكْسِبُهُ أَنَاقَة».

الألفاظ التي شكلت الترصيع: (جَمِيل، عَلِيل) - (البَسَمَات، النَسَمَات) - (تُدَاعِبُ، تُلَاعِبُ) - (النَّهْر، الزَّهْر) - (الحَبِيب، الكَئِيب) - (طَلَاقَة، أَنَاقَة).

ومنه قول الأديب محمد المويلحي في وصف مكانٍ لهوٍ في كتابه (حديث عيسىٰ بن هشام): «ودَخَلْنَا - لَا أدْخَلَ اللهُ عَلَيْكَ طَوَارِقَ النِّقَم، ولَا أخْرَجَكَ مِنْ طَرَائِقِ النِّعَم - فِي ذَلِكَ المَكَانِ فَرَأَيْنَاهُ حَوْمَةَ وَغًىٰ احْتَدَمَ وَطِيسُه، ومَيْدَانَ حَرْبٍ اصْطَدَمَ خَمِيسُه، عَجَاجَتُهُ الدُّخَان، ومَتَارِسُهُ الدِّنَان، ونِبَالُهُ صَمَّامَاتُ القَوَارِير، وطُبُولُهُ نَغَمَاتُ المَزَامِير، وأَبْطَالُهُ وشُجْعَانُهُ عُمَّالُهُ وغِلْمَانُه، وكَأَنَّ مِنَصَّةَ الرَّقْصِ هِيَ حِصْنُهُ الحَصِين، وصَاحِبَ الحَانِ هُوَ قَائِدُ الكَمِين، وكَأَنَّ المُغَنِّينَ هُمُ الكُمَاةُ والأَقْرَان، والرَّاقِصَاتِ الحُمَاةُ والفُرْسَان».

فالألفاظ التي شكّلت الترصيع هي كالآتي: (طَوَارِق، طَرَائِق) - (النِّقَم، النِّعَم) - (احْتَدَمَ، اصْطَدَمَ) - (وَطِيسُهُ، خَمِيسُهُ) - (صَمَّامَات، نَغَمَات) - (القَوَارِير، المَزَامِير) - (أَبْطَال، عُمَّال) - (شُجْعَانُهُ، غِلْمَانُه) - (الكُمَاة، الحُمَاة) - (الأَقْرَان، الفُرْسَان).

بلاغة الترصيع:

فنّ الترصيع رفيع الشأن في ذاته، ولكنه إذا اقترن بالجناس فإنه يزداد عُلُوًّا، ورفعةَ شأن، مثل قول أمين الجندي:

جَزِيلُ الهِبَاتِ جَمِيلُ السِّمَاتِ   جَلِيلُ الصِّفَاتِ حَمِيدُ الفِعَالْ

ومثل قول خليل مطران:

زُهْرٌ مَآثِرُهُمْ زَهْرٌ مَفَاخِرُهُمْ   فِي مُجْتَلَى الحِلْمِ أَوْ فِي مُجْتَنَى الحِكَمِ

ومثل قول سليمان الصولة:

أَقْسَمْتُ بِالبَلَجِ الوَضَّاحِ وَالدَّعَجِ الـ   ـفَضَّاحِ والأَرَجِ الفَيَّاحِ: مِتُّ ظَمَا

وأكثرُ الشعراء قد غزوا هذا المغزىٰ، وإنما يحسن إذا كان له في البيت موضع يليق ولا يضيق به، «فهو لا يحسن إذا تكرر وتوالىٰ، لأنه يدل علىٰ التكلف وشدة التصنع، وإنما يحسن إذا وقع قليلًا غير نافر»(١).



(١) سر الفصاحة. ابن سنان الخفاجي (ص ١٩٠).

التطبيق

حدد الترصيع في النماذج البلاغية الآتية:

١- قال ناصيف اليازجي في بديعيته:

فَطَابَ تَرْصِيعُ شِعْرِي فِي الثَّنَا لَهُمُ وَخَابَ تَشْرِيعُ فِكْرِي فِي المُنَى بِهِمِ

٢- وقال اليازجي في المدح:

هَيَاكِلُ عِرْفَانٍ، مَعَاقِلُ حِكْمَةٍ خَمَائِلُ إِحْسَانٍ، مَنَاهِلُ لِلْفَضْلِ

مَعَادِنُ إِجْلَالٍ، مَعَاطِنُ سُؤْدُدٍ مَكَامِنُ إِفْضَالٍ، مَوَاطِنُ لِلْبَذْلِ

٣- وقال ناصيف:

رَقَّتْ لَطَائِفُهُ طَابَتْ ظَرَائِفُهُ دَقَّتْ مَعَاطِفُهُ مَالَتْ بِسُكْرِ صَبَا

٤- ولليازجي:

البَدْرُ مِنْ حُسَّادِهِ، وَالدَّهْرُ مِنْ أَحْفَادِهِ، وَالنَّصْرُ مِنْ أَجْنَادِهِ

٥- وقال أيضًا:

أَدِيبٌ بِآيَاتِ البَلَاغَةِ مُفْرَدٌ لَبِيبٌ لِأَشْتَاتِ الفَضَائِلِ جَامِعُ

٦- قال محمود غنيم مخاطبًا البحر:

لَوْلَاكَ مَا هَطَلَتْ وَطْفَاءُ، أَوْ هَدَلَتْ وَرْقَاءُ، أَوْ قَبَّلَتْ كَأْسٌ شِفَاهَ ظَمِي

٧- قال خليل مطران في تحية أحمد شوقي:

للهِ (شَوْقِي) فِي طَرَائِقِ أَخْذِهِ بِطَرَائِفِ الأَحْوَالِ وَالأَشْيَاءِ

فِي لَهْوِهِ وَسُرُورِهِ، فِي زَهْوِهِ وَغُرُورِهِ، فِي البَثِّ وَالإِشْكَاءِ

٨- وقال خليل مطران مادحًا:

لِيَفْخَرْ بِغَالِي دُرِّهِ كُلُّ كَاتِبٍ وَيَجْأَرْ بِعَالِي صَوْتِهِ كُلُّ مُنْشِدِ

فَهَلْ تَسْمَحُ الأَيَّامُ بَعْدُ بِنَاثِرٍ لَهُ مِثْلُ ذَاكَ الخَاطِرِ المُتَوَقِّدِ؟

بِبَالِغِ غَايَاتٍ إِلَيْهَا انْتَهَى النُّهَى وَصَائِغِ آيَاتٍ لَهَا سَجَدَ النَّدِي

٩- وقال خليل مطران في الرثاء:

وَقَفَ الزَّمَانُ فَمَا لِوَعْدِكَ مَوْعِدُ وَعَفَا المَكَانُ فَمَا لِعَهْدِكَ مَعْهَدُ

١٠- وقال مطران:

فَاعْتَزِزْ أَيُّهَا الغَمَامُ المُعَلَّى وَاهْتَزِزْ أَيُّهَا الحُسَامُ الصَّقِيلُ

١١- وقال خليل مطران في الشكوى:

ضَجِيعُ مَهْدٍ لَظَى الحُمَّى يُسَاوِرُنِي صَرِيعُ وَجْدٍ كَوَقْدِ النَّارِ مُشْتَعِلِ

١٢- وقال خليل مطران:

زُهْرٌ مَآثِرُهُمْ زَهْرٌ مَفَاخِرُهُمْ فِي مُجْتَلَى الحِلْمِ أَوْ فِي مُجْتَنَى الحِكَمِ

١٣- قال شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا:

نَطَقَ الرَّصَاصُ فَمَا يُبَاحُ كَلَامُ وَجَرَى القِصَاصُ فَمَا يُتَاحُ مَلَامُ

١٤- وقال مفدي زكريا:

يَا أَرْضُ مِيدِي، واصْعَقِي يَا سَمَا يَا نَارُ زِيدِي، واذْفَقِي يَا دِمَا

١٥- وقال مفدي زكريا مفتخرًا:

حَلَّقْتُ كَالنَّسْرِ فِي آفَاقِ حَاضِرِنَا وَغُصْتُ كَالسِّحْرِ فِي أَعْمَاقِ مَاضِينَا

١٦- قال معروف الرصافي:

إِذَا رَامَ جَــزْلًا مِنْــهُ أَنْشَــدَ زَاخِــرَا وَإِنْ رَامَ سَــهْلًا مِنْــهُ أَنْشَــدَ سَــاحِرَا

١٧- قال حافظ إبراهيم:

كَثِيرُ الأَيَادِي حَاضِرُ الصَّفْحِ مُنْصِفُ قَلِيلُ الأَعَادِي غَائِبُ الحِقْدِ مُسْعِفُ

١٨- قال علي الجندي:

مَــنْ ذَا يُبَاهِيــكَ بِالعَلْيَــاءِ مُفْتَخِــرَا؟ مَـنْ ذَا يُبَارِيـكَ فِي الهَيْجَـاءِ مُنْتَصِـرَا؟



حل التطبيق

١- (طَابَ، خَابَ) - (تَرْصِيع، تَشْرِيع) - (شِعْرِي، فِكْرِي) - (الثَّنَا، المُنَىٰ) - (لَهُم، بِهِم).

٢- (هَيَاكِل، مَعَاقِل، خَمَائِل، مَنَاهِل) - (عِرْفَان، إِحْسَان) - (مَعَادِن، مَعَاطِن، مَكَامِن، مَوَاطِن) - (إِجْلَال، إِفْضَال).

٣- (رَقَّت، دَقَّت) - (لَطَائِفُه، ظَرَائِفُه، مَعَاطِفُه).

٤- (البَدْر، الدَّهْر، النَّصْر) - (حُسَّادِه، أَحْفَادِه، أَجْنَادِه).

٥- (أَدِيبٌ، لَبِيبٌ) - (آيات، أشتات).

٦- (هَطَلَتْ، هَدَلَتْ) - (وَطْفَاء، وَرْقَاء).

٧- (لَهْوِه، زَهْوِه) - (سُرُورِه، غُرُورِه).

٨- (يَفْخَرْ، يَجْأَرْ) - (غَالِي، عَالِي) - (بَالِغ، صَائِغ) - (غَايَات، آيَات).

٩- (الزَّمَان، المَكَان) - (وَعْدِكَ، عَهْدِكَ) - (مَوْعِد، مَعْهَد).

١٠- (اعْتَزِزْ، اهْتَزِزْ)- (الغَمَام، الحُسَام).

١١- (ضَجِيع، صَرِيع) - (مَهْد، وَجْد).

١٢- (زُهْر، زَهْر) - (مَآثِرُهُم، مَفَاخِرُهُم) - (الحِلْم، الحِكَم).

١٣- (الرَّصَاص، القِصَاص) - (يُبَاح، يُتَاح) - (كَلَامُ، مَلَامُ).

١٤- (مِيدِي، زِيدِي) - (اصْعَقِي، ادْفَقِي) - (سَمَا، دِمَا).

١٥- (النَّسْرِ، السِّحْرِ) - (آفَاقِ، أَعْمَاقِ).

١٦- (جَزْلا، سَهْلا) - (زَاخِرا، سَاحِرا).

١٧- (الأَيَادِي، الأعَادِي) - (مُنْصِف، مُسْعِف).

١٨- (يُبَاهِيك، يُبَارِيك) - (العَلْيَاء، الهَيْجَاء) - (مُفْتَخِرا، مُنْتَصِرا).





تمرين

حدّد التَّرْصِيع في النماذج البلاغية الآتية:

قال عائض القرني في صفة طالب العلم: «إنْ أَعْجَبَكَ عِلْمُكَ فتكَبَّرْت، وأطْرَبَكَ فَتَجَبَّرْت، وأغْضَبَكَ فتهَوَّرْت، فَاعْلَمْ أَنَّهُ عِلْمٌ ضَار، وبِنَاءٌ مُنْهَار».

قال محمد المويلحي في وصف إحدىٰ رحلاته: «فَسِرْنَا إلَىٰ حَيْثُ الهُمُومُ تَفْرِسُنَا، والغُمُومُ تُخْرِسُنَا، والأكْدَارُ لا تُفَارِقُنَا، والأقْدَارُ لا تُوَافِقُنَا».

قال أحمد شوقي في كتاب أسواق الذهب: «الفَضَائِلُ حَلائِل، والرَّذَائِلُ خَلائِل».

وقال شوقي: «لا أَعْلَمُ لكَ مُنْصِفًا إلا عَمَلَك، إذا أَحْسَنْتَهُ جَمَّلَك، وإذا أَتْقَنْتَهُ كَمَّلَك».

قال مصطفىٰ لطفي المنفلوطي: «لَوْلا السُّرُورُ فِي سَاعَةِ المِيلاد، مَا كَانَ البُكَاءُ فِي سَاعَةِ المَوْت، ولَوْلا فَرْحَةُ التَّلاق، مَا كَانَتْ تَرْحَةُ الفِرَاق».

قال محمد البشير الإبراهيمي: «إنَّكُمْ يا أَبْنَائِي رِجَالُ حَرَكَة، فَلا تَشِينُوهَا بالسُّكُون، وأَبْطَالُ مَعْرَكَة، فَلا يَكُنْ مِنْكُم رُكُون».

وقال الأديب الجزائري محمد البشير الإبراهيمي في صفة الشباب: «أتَمَثَّلُهُ مُصَاوِلًا لِخُصُومِهِ بِالحِجَاجِ والإقْنَاع، لا بِاللِّجَاجِ والإقْذَاع».

وقال البشير الإبراهيمي مخاطبا العيد: «أَصْبَحْنَا فِيكَ كَالضَّمِيرِ المُعَذَّبِ فِي النَّفْسِ النَّافِرَة، وأَصْبَحْتَ فِينَا كَالنَّبِيِّ المُكَذَّبِ فِي الأُمَّةِ الكَافِرَة».

وقال الإبراهيمي: «الحَضَارَةُ حَقَّقَهَا مَنْ سَادَ بِالعَدْل، وقَادَ بِالعَقْل».

قال شاعر سوريا سليمان الصولة مادحًا:

سُبْحَانَ خَالِقِهِ كَالزَّهْرِ فِي شِيَمٍ وَالقَطْرِ فِي كَرَمٍ وَالدَّهْرِ فِي عِظَمِ

قال أبو القاسم الشابي:

قَوِيٌّ، غَلُوبٌ، كَسِحْرِ الجُفُونِ شَجِيٌّ، لَعُوبٌ، كَزَهْرٍ حَزِينْ

قال الشاعر السوري أمين الجندي متغزلًا:

مَنْ مُجِيرِي مِنْ قَدِّهِ الخَطَّارِ؟ أَوْ عَزِيرِي فِي طَرْفِهِ السَّحَّارِ؟

وقال أمين الجندي مادحًا:

هُمْ بُدُورُ الهُدَى إِذَا جَنَّ لَيْلٌ هُمْ بُحُورُ النَّدَى إِذَا عَمَّ جَدْبُ

قال الشاعر القروي في وصف الحرب:

فَالبِرُّ مِنْ عَصْفِهَا أَطْوَادُهُ قَصَبُ والبَحْرُ مِنْ قَصْفِهَا أَغْوَارُهُ قِمَمُ

وقال القروي:

الفَجْرُ مِنْ أَبْوَابِهِ والدَّهْرُ مِنْ حُجَّابِهِ والزُّهْرُ مِنْ حُجَّاجِهِ

قال إيليا أبو ماضي في وصف الطبيعة:

فَالنُّورُ سِحْرٌ دَافِقٌ، والمَاءُ شِعْرٌ رَائِقٌ، وَالعِطْرُ أَنْفَاسُ الثَّرَى

وقال أبو ماضي في وصف إنسان استبد به اليأس:

كَثِيرُ الهُمُومِ بِلَا نَاصِرِ كَسِيرُ الفُؤَادِ بِلَا جَابِرِ

قال خليل مطران:

فَأَنَارَ أَهْلَ الحَزْمِ كُلُّ حَقِيقَةٍ وأَثَارَ أَهْلَ العَزْمِ كُلُّ خَيَالِ

قال أحمد شوقي:

فَآبَ مِنْ كُرَةِ الأَيَّامِ لَاعِبُنَا وَثَابَ مِنْ سِنَةِ الأَحْلَامِ لَاهِينَا

وقال أحمد شوقي:

هُمْ بَنُو مِصْرَ لَا الجَمِيلُ لَدَيْهُمْ ... بِمُضَاعٍ، وَلَا الصَّنِيعُ بِمَنْسِي

مِنْ لِسَانٍ عَلَى ثَنَائِكَ وَقْفٌ ... وَجَنَانٍ عَلَى وَلَائِكَ حَبْسِ

قال مفدي زكريا:

جَزَائِرُ، يَا بِدْعَةَ الفَاطِرِ ... وَيَا رَوْعَةَ الصَّانِعِ القَادِرِ

قال الدكتور زكي مبارك:

وجَنَّ عَلَيَّ اللَّيْلُ حَتَّى حَسِبْتُهُ ... جَفَاءَ كَرِيمٍ أَوْ رَجَاءَ لَئِيمِ

قال الشاعر الجزائري أحمد سحنون في نصرة الشعب الفلسطيني:

وَنُنْصِفَ شَعْبًا هَدَى وَاهْتَدَى ... وَنَنْسُفَ شَعْبًا بَغَى وَاعْتَدَى

قال الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة:

فَإِذَا أَنْصَفُوا قَضَوْا فِيهِ دَهْرًا ... وَإِذَا أَسْرَفُوا مَضَوْا لِلْفَنَاءِ



الاقتبـاس

تعريفُ الاقتباس: هُوَ أنْ يُضَمِّنَ الأدِيبُ كَلَامَهُ مِنْ مَنْظُوم، أوْ مَنْثُورٍ شَيْئًا مِنَ القُرْآنِ الكَرِيم، أو الحَدِيثِ الشَّرِيفِ بِلَفْظِهِ، أوْ مَعْنَاه، دُونَ أنْ يَعْزُوَ المُقْتَبِسُ القَوْلَ إلىٰ قَائِلِه، «عَلَىٰ أنَّهُ يَجِبُ الإشَارَةُ إلَىٰ مَصْدَرِ الاقْتِبَاسِ، بإبْرَازِه، وذَلِكَ بِوَضْعِهِ بَيْنَ عَلامَاتِ التَّنْصِيص: («....»)، أوْ بِأيَّةِ وَسِيلَةٍ أُخْرَىٰ»[1].

أنواع الاقتباس:

١- **الاقْتِبَاسُ النَّصِّي:** وفِيهِ يَلْتَزِمُ الأدِيبُ بِلَفْظِ النَّصِّ الشَّرْعِيّ، وتَرْكِيبِه.

٢- **الاقْتِبَاسُ الإشَارِيّ:** وهُوَ أنْ يَأْخُذَ الأدِيبُ مِنَ القُرْآنِ الكَرِيم، أوِ الحَدِيثِ الشَّرِيفِ مَا يُشِيرُ بِهِ إلَىٰ آيَةٍ، أوْ آيَاتٍ مِنْه، مِنْ غَيْرِ الالْتِزَامِ بِلَفْظِهَا، وتَرْكِيبِهَا»[2].

شواهد الاقتباس:

الاقتباس من القرآن الكريم:

قال ناصيف اليازجي في بديعيته:

يَـا رَاحِلِـينَ انْظُرُونَـا نَقْتَـبِسْ طَرَفًـا ... مِنْ نُورِكُمْ فَهْوَ يَهْدِي العَيْنَ فِي الظُّلَمِ

فالشاعر قد اقتبس جزءًا من الآية ١٣ من سورة الحديد، التي جاء فيها قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾.

(١) علوم البلاغة مرجع سابق (ص ١٢٧).
(٢) الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي. عبد الهادي الفكيكي (ص ١٣).

وقال ناصيف اليازجي:

يَا مَعْشَرَ الشُّعَرَاءِ تِلْكَ صِفَاتُهُ ... مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ بِهِنَّ وَمَا غَوَى

إِنِّي نَطَقْتُ بِمَا رَأَيْتُ وَبَعْضُهُ ... مِمَّا سَمِعْتُ، فَمَا نَطَقْتُ عَنِ الهَوَى

الشاعر قد اقتبس الآية الثانية والثالثة من سورة النجم، التي جاء فيها قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾﴾.

قال مصطفىٰ صادق الرافعي متحسرًا علىٰ مجد العرب:

فَإِنْ كَانَ هَذَا بِحُكْمِ الزَّمَانِ ... فَتَبَّتْ يَدَا ذَا الزَّمَانِ وَتَبْ

فالشاعر قد اقتبس الآية الأولىٰ من سورة المسد، حيث قال الله تعالىٰ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾﴾.

قال عبد الحميد الرافعي في زكاة الفقير وحقه من مال الغني:

يَسْأَلُ اللهُ عَنْهُ يَوْمَ التَّجَازِي ... يَسْأَلُ اللهُ عَنْهُ يَوْمَ التَّجَازِي

يَوْمَ لَا يَنْفَعُ البَنُونَ وَلَا المَا ... لُ سِوَى مَنْ أَتَى بِقَلْبٍ صَافِ

اقتبس الشاعر الآيتين ٨٨، ٨٩ من سورة الشعراء، (وذلك من غير الالتزام بلفظ الآية وتركيبها كما جاء ذلك في أنواع الاقتباس). حيث قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾.

قال الشاعر المصري الكبير محمد توفيق علي:

قُلْتُ لَمَّا بَدَا لِعَيْنِي جَمَالٌ ... سَاحِرٌ يَفْتِنُ التَّقِيَّ العَفِيفَا

لَا أُطِيعُ الشَّيْطَانَ فِيمَا دَعَانِي ... «إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفَا»

فالشاعر قد اقتبس جزءا من الآية ٧٦ من سورة النساء، التي جاء فيها قوله تعالىٰ: ﴿... فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾.

قال الشاعر العراقي حيدر الحلي:

قُلْتُ لِلْبَحْرِ هَلْ تُسَاوِيهِ يَوْمًا؟ قَالَ كَلَّا: مَا يَسْتَوِي البَحْرَانِ

اقتبس الشاعر الآية ١٢ من سورة فاطر، والتي ورد فيها قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾.

قال الشاعر العراقي جعفر الحلي مادحًا:

بَحْرٌ وَفِي لُجِّهِ سُفْنُ الرَّجَا عَبَرَتْ وَقَالَتِ النَّاسُ: «بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا»

حيث اقتبس الشاعر جزءًا من الآية ٤١ من سورة هود، التي جاء فيها قوله تعالى: ﴿۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾.

قال الشاعر السوري أمين الجندي:

يَا مَنْ قَدِ «اشْتَرَوِا الضَّلَالَةَ بِالهُدَى» وَاسْتَبْدَلُوا الإِصْلَاحَ بِالإِفْسَادِ

اقتبس الشاعر جزءا من الآية ١٦ من سورة البقرة، حيث قال الله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾.

قال الشاعر اللبناني مصطفى الغلاييني:

فَإِنْ يَجْنَحُوا لِلسَّلْمِ نَجْنَحْ لَهَا وَإِنْ أَبَوْا غَيْرَ هَضْمِ الحَقِّ فَالسَّيْفُ أَنْفَعُ

اقتبس الشاعر جزءًا من الآية ٦١ من سورة الأنفال، حيث يقول المولى عزّوجلّ: ﴿۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾.

قال الشاعر الجزائري الشيخ أحمد سحنون:

«كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» مُوتُوا مِنْ أَجْلِهَا اسْتِشْهَادَا

حيث اقتبس الشاعر جزءًا من الآية ١١٠ من سورة آل عمران، التي جاء فيها: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾.

قال أحمد شوقي:

وَثَــارُوا فَجُــنَّ جُنُــونُ الرِّيَــاحِ ... وَ«زُلْزِلَــتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَــا»

الشاعر قد اقتبس جزءًا من الآية ١ من سورة الزلزلة، التي جاء فيها قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾.

قال بطرس كرامة يمدح صديقه الشاعر (موسىٰ بن الفضل):

مِـنَ البَـدِيعِ وَمِـنْ سِـحْرِ البَيَـانِ لَقَـدْ ... أُوتِيـتَ سُـؤْلَكَ يَـا مُـوسَى عَلَـى قَـدَرِ

اقتبس الشاعر جزءًا من الآية ٣٦ من سورة طه، التي جاء فيها قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٣٦﴾.

قال حافظ إبراهيم مخاطبًا البارودي، وهو في منفاه:

تَذَكَّرْتَ عَذْبَ النِّيلِ وَالنَّفْسُ صَبَّةٌ ... إِلَى نَهْلَةٍ مِنْ كُوبِ مَاءٍ مُشَعْشَعِ

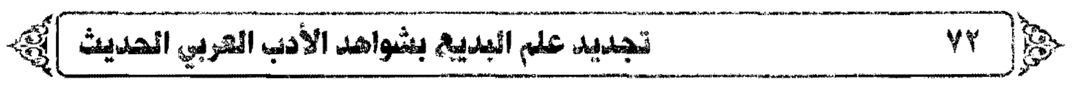
وَأَرْسَلْتَ تَسْتَسْقِي بَنِي مِصْرَ شَرْبَةً ... فَقَطَّعْتَ أَحْشَائِي وَأَضْرَمْتَ أَضْلُعِي

وَإِنْ شِئْتِ عَنَّا يَا سَمَاءُ فَأَقْلِعِي ... وَيَا مَاءَهَا فَاكْفُفْ وَيَا أَرْضُ فَابْلَعِي

فالشاعر قد اقتبس - مع تغيير بسيط - جزءًا من الآية ٤٤ من سورة هود، التي جاء فيها: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٤﴾.

ومن نماذج الاقتباس في النثر قول أحمد أمين في وصف الشمس: «... بِكِ يَجْرِي الدَّمُ في عُرُوقِنَا، فَدَمُنَا مِنْ غِذَائِنَا، وغِذَاؤُنَا مِنْ حَرَارَتِك، تُسَلِّطِينَهَا عَلَىٰ الأَرْض، فَتُخْرِجِينَ مِنْهَا «حَبًّا وَعِنَبًا وقَضْبًا وزَيْتُونًا ونَخْلًا وحَدَائِقَ غُلْبًا وفَاكِهَةً وأَبًّا»».

فالأديب كما ترىٰ قد اقتبس الآيات ٢٧- ٢٨- ٢٩- ٣٠- ٣١ من سورة



عبس» التي جاء فيها: ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾.

ومنه قول مصطفى لطفي المنفلوطي: «فاسْتَيْقَظْتُ فَلَمْ أَرَ حِسَابًا ولا عِقَابًا، ولا مَوْقِفًا ولا مَحْشَرًا، فَعَلِمْتُ أَنَّهَا خَيَالَاتٌ وأَوْهَام، أو «أَضْغَاثُ أَحْلَام، ومَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلَامِ بِعَالِمِين».

فالكاتب قد اقتبس جزءا من الآية ٤٤ من سورة يوسف، التي جاء فيها: ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

ومنه قول المنفلوطي في الموت: «والنَّبَاتُ يَكُونُ أخْضَرَ يَانِعًا، ثُمَّ أصْفَرَ يَابِسًا، ثُمَّ «هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاح»، والإنْسَانُ يَبْدَأُ طِفْلا يَحْبُو، ثُمَّ شَابًّا مُكْتَمِلًا، ثُمَّ شَيْخًا هَرِمًا، ثُمَّ يُدْرِكُهُ المَوْت، «وكُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إلَّا وَجْهَهُ».

فالكاتب اقتبس جزءًا من الآية ٤٥ من سورة الكهف، التي جاء فيها: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾، كما اقتبس جزءًا آخر من الآية ٨٨ من سورة القصص، التي جاء فيها: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۘ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

الاقتباس من الحديث النبوي الشريف:

ومثاله قول مصطفى صادق الرافعي:

وَامْـلَأْ فُـؤَادَكَ رَحْمَـةً لِـذَوِي الأَسَى ... لَا يَـرْحَمُ الرَّحْمَـانُ مَـنْ لَا يَـرْحَمُ

فالرافعي قد اقتبس - من غير الالتزام باللفظ - حديثًا للنبي ﷺ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ» متفق عليه.

ومنه قول الرافعي كذلك:

وَدَارَتْ بِيَ الأَلْحَاظُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَمِنْهُنَّ فِي سَلْبِي وَمِنْهُنَّ فِي نَهْبِي
فَقُلْتُ خُدِعْنَا إِنَّهَا «الحَرْبُ خُدْعَةٌ» وَهَوَّنَ خَطْبِي أَنْ أَسَرَ الهَوَى خَطْبِي

فالرافعي اقتبس حديثًا شريفًا للرسول ﷺ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الحَرْبُ خُدْعَةٌ». رواه الإمام مسلم.

ومنه قول الشاعر السوري بطرس كرامة في وصف الخيل:

وَالخَيْرُ فِي نَاصِيَاتِ الخَيْلِ مُنْعَقِدُ وَكُلُّ شَهْمٍ بِهَذَا الخَيْرِ يَعْتَرِفُ

حيث اقتبس الشاعر - مع تغييرٍ في اللفظ - جزءًا من حديثٍ لرسول الله ﷺ، فَعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الجَعْدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ: الأَجْرُ وَالمَغْنَمُ». رواه الإمام البخاري والإمام مسلم.

ومنه قول الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة:

وَإِنَّ مِنَ البَيَانِ لَنَا لَسِحْرًا وَإِنَّ مِنَ القَرِيضِ لَنَا لَحِكْمَهْ

فالشاعر قد اقتبس حديثًا شريفًا للنبي ﷺ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا» رواه الإمام البخاري.

ومنه قول محمد العيد آل خليفة في قصيدة (إلىٰ التلميذ):

«خَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ» فَجَمَالُ الخُلُقِ عُنْوَانُ الرَّشَادْ

فالشاعر قد اقتبس جزءًا من حديثٍ لرسول الله ﷺ، فَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ». رواه الإمام الترمذي.

بلاغة الاقتباس:

الأُدباء يقتبسون من القرآن الكريم، أو من الحديث الشريف من أجل تقوية

معانيهم، وتوكيد أفكارهم، وتزيين كلامهم وتَحْلِيَتِه، وبالاقتباس هم يكشفون عن مهارتهم في إحكام الصلة بين كلامهم والكلام الذي اقتبسوه. وما من ريب في أنّ الألفاظ المقتبسة من القرآن، أو الحديث تزيد الكلام قوة، وبلاغة، كما تضفي عليه حسنًا وجمالًا، «ويبدو لنا أن سبب حماسة الشعراء في استخدام الاقتباس من القرآن والحديث رغبتهم في تنوير كلامهم، فكلام الله نور، وكلام رسول الله نور، واقتباس الإنسان من هذين النورين أو من أحدهما يرفع من مقام كلامه ومستوى أدائه الفني»(١). قال أحمد أمين: «فِي النَّاسِ مَنْ إِذَا جَالَسْتَهُ أَشَعَّ عَلَيْكَ نُورًا أَضَاءَ لَكَ مَا بَيْنَ جَوَانِبَك، فَأَدْرَكْتَ نَفْسَك، وَأَشَعَّ نُورًا عَلَىٰ العَالَمِ الَّذِي حَوْلَك، فَتَبَيَّنْتَهُ وَعَرَفْتَ مَحَاسِنَهُ وَمَسَاوِيه، وَرَأَيْتَ كُلَّ شَيْءٍ حَوْلَكَ صَافِيًا بَيِّنًا، كَأَنَّكَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مِصْبَاح، ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾.



(١) البلاغة العربية في ثوبها الجديد. علم البديع. د. بكري شيخ أمين (ص ١١١).

التطبيق

حدِّدِ الاقتباس في النماذج البلاغية الآتية:

١- قال ناصيف اليازجي مادحًا:

رَسُـــولٌ رَدَّ قَوْمًـــا عَـــنْ ضَـــلَالٍ فَقَـــادَهُمُ إِلَى سُـــبُلِ الرَّشَـــادِ

وَنَـــادَى بَيْـــنَهُمْ: يَـــا قَـــوْمُ إِنِّي أَخَـــافُ عَلَـــيْكُمُ يَـــوْمَ التَّنَـــادِ

٢- وقال ناصيف اليازجي في وصف قصيدةٍ بعث بها أحد إخوانه:

دَنَـــتْ فَتَـــدَلَّتْ دَانِيَـــاتُ قُطُوفِهَـــا عَلَـــيَّ فَكَانَـــتْ قَـــابَ قَوْسَـــيْنِ أَوْ أَدْنَى

٣- قال علي الجارم في مدح الخديوي إسماعيل:

هَبَطَـــتْ حِكْمَـــةُ البَيَـــانِ عَلَيْـــهِ هَبَطَـــتْ حِكْمَـــةُ البَيَـــانِ عَلَيْـــهِ

٤- قال حافظ إبراهيم:

قُتِـــلَ الإِنْسَـــانُ مَـــا أَكْفَـــرَهُ! طَـــاوَلَ الخَـــالِقَ فِي الكَـــوْنِ وَسَـــامَى

٥- وقال حافظ إبراهيم:

وَيَـــدُ اللهِ مَـــعَ الجَمَاعَـــةِ فَاضْـــرِبُوا بِعَصَـــا الجَمَاعَـــةِ تَظْفَـــرُوا بِنَجَـــاحِ

٦- وقال حافظ إبراهيم:

كُلَّمَـــا نِلْـــتَ غَايَـــةً لَـــمْ تَنَلْهَـــا هِمَّـــةُ الـدَّهْرِ قُلْـتَ: هَـلْ مِـنْ مَزِيـدِ؟

٧- قال مفدي زكريا:

وَفِي قُـــدْسِ جَنَّاتِنَـــا النَّاضِـــرَهْ وُجُـــوهٌ إِلَى رَبِّهَـــا نَـــاظِرَهْ

٨- وقال مفدي زكريا:

وَالــزَّرْعُ أخْــرَجَ فِي الجَزَائِــرِ شَــطْأَهُ فَمَضَــى وَهَــبَّ إلَى الحَصَــادِ كِــرَامُ

٩- قال خليل مطران في مدح عبد الله البستاني:

عِلْــمٌ وَأَخْــلَاقٌ وَحُسْــنُ شَــمَائِلٍ مِــنْ كُــلِّ فَاكِهَــةٍ بِهَــا زَوْجَــانِ

١٠- قال الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة:

كُتِــبَ المَــوْتُ عَلَــى كُــلِّ نَفْــسٍ وَإلَى اللهِ تَصِــــيرُ الأُمُـــــورُ

١١- قال الشاعر العراقي جعفر الحلي مادحًا:

أَقُــولُ لِمَنْ يَبْغِــي مَسَاعِيكَ جَاهِــدًا: أَلَا أَيُّهَــا الإِنْسَــانُ إِنَّــكَ كَــادِحُ

١٢- وقال مادحًا:

فَــلَا إِنْ مَسَّـــهُ شَـــرٌّ جَزُوعًـــا وَلَا إِنْ مَسَّـــهُ خَـــيْرٌ مَنُوعَـــا

١٣- وقال أيضًا:

يَــرْمِي بِأَسْــهَامِ فِكْــرٍ غَــيْرِ طَائِشَــةٍ وَمَــا رَمَاهَــا وَلَكِــنَّ الإِلَــهَ رَمَى

١٤- قال أحمد شوقي:

وحَمَاهَــا غُــرٌّ، كِــرَامٌ، أشِــدَّا ءُ عَلَــى الخَصْــمِ، بَيْــنَهُمْ رُحَمَــاءُ

١٥- قال محمود غنيم في وصف زلزال أغادير:

أَغَــادِيرُ هَــلْ حَــانَ يَــوْمُ النُّشُــورِ وَزُلْزِلَــــتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَـــا؟

وَهَــلْ بَعَــثَ اللهُ مَــنْ فِي القُبُــورِ وَأَخْرَجَـــتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَـــا؟

١٦- قال مصطفىٰ صادق الرافعي:

إذَا صِــحْتَ فِي شَــرْقِنَا صَــيْحَةً وَقُلْــتَ: أَرَى الغَــرْبَ مِنَّــا اقْــتَرَبْ

فَمَــا أَنْــتَ مُسْــمِعُ مَــنْ فِي القُبُــورِ وَلَا أَنْــتَ مُفْــزِعُ مَــنْ فِي السُّــحُبْ

١٧- قال الشاعر الجزائري أحمد سحنون:

فَـالنَّفْسُ أَمَّــارَةٌ بِالسُّــوءِ مُغْرِيَــةٌ فَاحْـذَرْ هَوَاهَـا وَعِـشْ بِـالخَيْرِ أَمَّـارَا

١٨- قال شاعر معاصر:

سَـأَلْتُ قَلْبِي عَـنْ ذَوِي العِشْـقِ وعَـنْ مَـا أوْتِيَتْـه مِـنْ فُنُـونِ الحُسْـنِ (مَيْ)

فَقَـــالَ لِي «إِنِّي وَجَـــدْتُ امْـــرَأَةً تَمْلِكُهُــمْ وَأُوتِيَــتْ مِــنْ كُــلِّ شَيْ»





حل التطبيق

١- اقتبس ناصيف اليازجي الآية ٣٢ من سورة غافر، التي جاء فيها قوله تعالىٰ: ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾﴾.

٢- اقتبس ناصيف اليازجي الآيتين ٨ و٩ من سورة النجم التي جاء فيها قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾.

٣- اقتبس علي الجارم جزءًا من الآية ٥٤ من سورة مريم، التي جاء فيها قوله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾.

٤- اقتبس حافظ إبراهيم الآية ١٧ من سورة عبس، التي جاء فيها قوله تعالىٰ: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾.

٥- اقتبس حافظ إبراهيم جزءًا من الحديث النبوي الآتي: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يَدُ اللهِ مَعَ الجَمَاعَةِ». رواه الإمام البخاري.

٦- اقتبس حافظ إبراهيم جزءًا من الآية ٣٠ من سورة (ق)، التي جاء فيها قول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾.

٧- اقتبس مفدي زكريا جزءًا من الآيتين ٢٢ - ٢٣ من سورة القيامة، التي جاء فيها قوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾.

٨- اقتبس مفدي زكريا - مع تغيير يسير - جزءًا من الآية ٢٩ سورة الفتح، التي جاء فيها: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾.

٩- اقتبس خليل مطران الآية ٥٢ من سورة الرحمن، التي جاء فيها قوله تعالىٰ: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ ٥٢﴾.

١٠- اقتبس محمد العيد الآية ٥٣ من سورة الشورىٰ، التي جاء فيها قوله تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ٥٣﴾.

١١- اقتبس الحلِّي الآيةَ السادسة من سورة الانشقاق، التي جاء فيها قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ٦﴾.

١٢- اقتبس الحلي الآيتين ٢٠ و٢١ من سورة المعارج، حيث قال الله عَزَّوَجَلَّ في وصف الإنسان: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ٢١﴾.

١٣- اقتبس الشاعر جزءا من الآية ١٧ من سورة الأنفال، التي جاء فيها قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾.

١٤- اقتبس أحمد شوقي - دون أن يلتزم باللفظ أو التركيب - جزءًا من الآية ٢٩ من سورة الفتح، التي يقول فيها الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾.

١٥- اقتبس محمود غنيم الآيتين الأولىٰ والثانية من سورة الزلزلة، والتي جاء فيها قوله تعالىٰ: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ١ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ٢﴾.

١٦- اقتبس الرافعي جزءًا من الآية ٢٢ من سورة فاطر، التي جاء فيها قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ٢٢﴾.

١٧- اقتبس الشاعر جزءًا من الآية ٥٣ من سورة يوسف، والتي جاء فيها قوله تعالىٰ علىٰ لسان يوسف عليه وعلىٰ نبينا الصلاة والسلام: ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣﴾.

١٨- اقتبس الشاعر جزءًا من الآية ٢٣ من سورة النمل، والتي جاء فيها قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣﴾.



تمـرين

حدد الاقتباس، ونوعه في النماذج الآتية:

قال عائض القرني في (المقامة الكونية): «اقْرَأْ آيَاتِ القُدْرَةِ فِي صَفْحَةِ الكَوْن، وطَالِعْ مُعْجِزَةَ الخَلْقِ فِي الحَرَكَةِ والسُّكُون، فِي اللَّيْلِ إِذَا عَسْعَس، والصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّس، فِي النَّخْلِ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيد، فِي الجِبَالِ تُثَبِّتُ الأَرْضَ وقَدْ كَادَتْ تَمِيد، فِي اللَّبَنِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ ودَم، فِي كُلِّ مَخْلُوقٍ كَيْفَ وُجِدَ مِنَ العَدَم، فِي الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ، فِي السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ، فِي الجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ، فِي الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ، نُجُومٌ تَسْقُط، وكَوَاكِبُ تَهْبِط، ونَيَازِكُ تَلْتَهِب، تَرْمِي بِشَرَرٍ ولَهَب، مَجَرَّاتٌ سَمِيَّة، ومَنَازِلُ قَمَرِيَّة، حَدَائِقُ بِأَثْوَابِ الحُسْنِ تَسُرُّ النَّاظِرِين، ومَشَاهِدُ فِي الكَوْنِ تَأْخُذُ أَلْبَابَ المُبْصِرِين، رِيَاضٌ أَنِيقَةٌ تَسْرَحُ فِيهَا الغِزْلَان، بَاقَاتٌ مِنَ الوُرُودِ بَهِيجَةٌ يَلْعَبُ بِهَا الوِلْدَان، كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَح، وكُلٌّ فِي عَالَمٍ يَمْرَح، شَمْسٌ تَجْرِي كَأَنَّهَا تَبْحَثُ عَنْ مَفْقُود، قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ تَسْجُدُ لِلْمَعْبُود، آيَةٌ بَاهِرَة، وحِكْمَةٌ ظَاهِرَة».

وقال عائض القرني: «إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ مِسْكًا وعَنْبَرا، ولُؤْلُؤًا وجَوْهَرا، يُسَافِرُ إِلَىٰ سُوَيْدَاءِ قَلْبِكَ ويُبْحِر، ويُنَادِي: إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُر».

وقال القرني في (مقامة المرأة): «رِفْقًا بِالقَوَارِير، فَإِنَّهُنَّ مِثْلُ العَصَافِير، هُنَّ شَقَائِقُ الرِّجَال، وأُمَّهَاتُ الأَجْيَال، مِنْهُنَّ آمِنَةُ بِنْتُ وَهَبٍ الَّتِي أَهْدَتْ للإِنْسَانِيَّة، وقَدَّمَتْ لِلْبَشَرِيَّة، ابْنًا تَضَاءَلَتْ فِي عَظَمَتِهِ الشَّمْسُ فِي ضُحَاهَا، والقَمَرُ إِذَا تَلَاهَا، ويَكْفِي النِّسَاء، مَا أَطَلَّ صَبَاحٌ وكَرَّ مَسَاء، أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ مِنِ امْرَأَةٍ وُلِد، ومِنْ أُنْثَىٰ وُجِد».

وللقرني أيضا فيمن يدّعون قول الشعر: «إِذَا قَامَ أَحَدُهُمْ فِي النَّوَادِي، صَاحَ المُنَادِي: هَذَا شَاعِرُ الحَوَاضِرِ والبَوَادِي، وبُلْبُلُ النَّادِي، فَيَتَمَايَلُ طَرَبًا، ويَتِيهُ عُجُبًا، ويَقُولُ لِلْحُضُور: لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصبًا، فَإِذَا أَلْقَىٰ القَصِيدَة، فكَأَنَّهُ يَأْكُلُ عَصِيدَة، يُلَوِّي رَأسَه، ويَكْظِمُ أَنْفَاسُه، كَأَنَّمَا يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ المَسّ».

قال أحمد حسن الزيات في وصف بلاغة الرسول ﷺ: «كَلَّفَتْنِي الإِذَاعَةُ المِصْرِيَّةُ فِي احْتِفَالِهَا بِذِكْرَىٰ مَوْلِدِ الرَّسُولِ الكَرِيم أَنْ أَكْتُبَ كَلِمَةً فِي بَلَاغَتِهِ تُذَاعُ فِي عَشْرِ دَقَائِق، وَهَذَا تَكْلِيفٌ بِالمُحَال، وَلَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا».

وقال أحمد حسن الزيات: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَالفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي البَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ، وَإِنَّ فِي تَجْمِيعِ النَّهْرِ، وَتَكْوِينِ الجَبَل، وَتَصْرِيفِ الرِّيح، وَإِثَارَةِ البَحْر، لَجَمَالًا رَائِعًا يَجْرِي فِي كُلِّ شُعُور، وَيَسْتَوْلِي عَلَىٰ كُلِّ قَلْب».

قال محمد المويلحي: «أَقَمْنَا فِي ذَلِكَ الظِّلِّ الوَرِيف، مُدَّةً مِنْ أَيَّامِ الخَرِيف، ومَكَثنَا نَقْطِفُ القُطُوفَ الدَّانِيَة، بَيْنَ تِلْكَ الأَعْيُنِ الجَارِيَة، فِي عِيشَةٍ رَاضِيَة، لَا تُسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَة».

قال البشير الإبراهيمي: «فَلَوْ أَنَّكُمْ آمَنْتُمْ باللهِ حَقَّ الإيمَان، وعَمِلْتُمُ الصَّالِحَاتِ مِمَّا جَاءَ بِهِ القُرْآن، ومِنْهَا جَمْعُ الكَلِمَة، وإعْدَادُ القُوَّة، ومَحْوُ التَّنَازُعِ مِنْ بَيْنِكُم، لأَنْجَزَ اللهُ لَكُمْ وَعْدَه، وجَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْض، ولَكِنَّكُمْ تَنَازَعْتُمْ، فَفَشِلْتُمْ، وذَهَبَتْ رِيحُكُمْ، وَمَا ظَلَمَكُمُ الله، ولَكِنْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُم».

وللبشير الإبراهيميّ أيضًا: «وهَذَا الشَّمَالُ قَدْ أَصْبَحَ أَهْلُهُ كأَهْلِ الشِّمَال، في سَمُومٍ مِنَ الاسْتِعْمَارِ وحَمِيم، وظِلٍّ مِنْ يَحْمُوم، لا بَارِدٍ ولا كَرِيم».

قال أحمد أمين مخاطبا الليل: «شِعَارُ النَّهَارِ البَيَاض، وشِعَارُكَ السَّوَاد، وهُوَ مُبْصِرٌ وأَنْتَ أَعْمَىٰ، وطَبِيعَتُهُ الحَرَكَة، وطَبِيعَتُكَ السُّكُون، وهُوَ يَدْعُو إِلَىٰ النَّشَاط

والعَمَل، وأنْتَ تَدْعُو إِلَىٰ الخُمُولِ والكَسَل، ولَكِنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَمُنَّ عَلَىٰ الَّذِينَ اُسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ ويَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ويَجْعَلَهُمُ الوَارِثِين، فَجَعَلَ مِنْ قُوَّةِ النَّهَارِ ضَعْفًا، ومِنْ ضَعْفِكَ قُوَّة».

وقال أحمد أمين واصفًا الحب: «هُوَ هُدًىٰ بَعْدَ ضَلَال، وغِنًىٰ بَعْدَ فَقْر، ونُورٌ بَعْدَ ظَلَام، هُوَ مُعْجِزَةُ المُعْجِزَات، يُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ ويُحْيِي المَوْتَىٰ بِإذْنِ الله».

تقدَّمَ شَاكٍ إلىٰ قَاضٍ، فقال القاضِي: «سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أمْ كُنْتَ مِنَ الكَاذِبِين».

وسَأَلَ قَاضٍ رَجُلًا عن عدد عياله، فكذب، فقال القاضِي: «لا جَوَابَ لِكَذَّاب»، ثُمّ عَاوَدَ وصَدَقَ في عَدَدِهِم، فقال القَاضِي: «الآنَ جِئْتَ بالحَقّ».

وأهْدَىٰ رجل لِقَاضٍ هدايا كثيرة، فرَدَّهَا، وقال: «فَمَا آتَانِي اللهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ، بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُون».

والْتَمَسَ مَحْبُوسٌ من قَاضٍ إطْلَاقَه، فقال القاضِي: «لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَاب».



التَّضْمِيـن

تعريف التَّضْمِين لُغَةً: مِنْ ضَمَّن الشَّيْءُ الشَّيْءَ، أَيْ أَوْدَعَهُ إِيَّاه، ومِنْهُ مَضْمُونُ الكِتَاب كَذَا، وكَذَا.

التَّضْمِينُ اصْطِلاحًا: التَّضْمِينُ فِي البَدِيعِ العَرَبِيِّ أَنْ يُضَمِّنَ الشَّاعِرُ شَيْئًا مِنْ شِعْرِ غَيْرِه، مَعَ التَّنْبِيهِ عَلَيْهِ أَحْيَانًا، وأَحْيَانًا مِنْ دُونِ الحَاجَةِ إِلَىٰ التَّنْبِيهِ عَلَيْه. قال أبو هلال العسكري: «وقَدْ تُسَمِّي اسْتِعَارَتَكَ الأَنْصَافَ والأَبْيَاتَ مِنْ شِعْرِ غَيْرِك، وإِدْخَالَكَ إِيَّاهُ فِي أَثْنَاءِ أَبْيَاتِ قَصِيدَتِكَ (تَضْمِينًا)، وهَذَا حَسَن»[(١)].

ومثال التنبيه قول حافظ إبراهيم:

رَوَتْ قَوْلَ بَشَّارٍ فَثَارَتْ وأَقْسَمَتْ ... وَقَامَتْ إِلَى عَبْدِ الحَمِيدِ تحَاسِبُهْ

«إِذَا المَلِكُ الجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ ... مَشَيْنَا إِلَيْهِ بِالسُّيُوفِ نُعَاتِبُهْ»

فقد نبّه الشاعر علىٰ التضمين في قوله: (روتْ قول بشار)، أمّا التضمين فقد ورد في البيت الثاني.

ومنه قول حافظ أيضًا:

وأَرْبُو عَلَى ذَاكَ الفَخُورِ بِقَوْلِهِ: ... «إِذَا قُلْتُ شِعْرًا أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدَا»

فحافظ إبراهيم كما ترىٰ في صدر البيت قد نبه علىٰ تضمينه شعرَ غيره، وقد ضمَّن – كما هو معروف – شطرَ بيت للمتنبي، حيث قال الأخير:

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مِنْ رُوَاةِ قَصَائِدِي ... إِذَا قُلْتُ شِعْرًا أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدَا

---

(١) معجم البلاغة العربية الدكتور بدوي طبانة (ص ٣٥٥).

ومن التنبيه علىٰ التضمين قول الشاعر اللبناني بشارة الخوري:

حَسْبِي أَجَلْ حَسْبِي مَقَالَةُ شَاعِرٍ ... مِنْ كِنْدَةٍ هُوَ فِي البَيَانِ مُقَدَّمُ

«لَا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الأَذَى ... حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ»

فالملاحظ أن الخوري قد ضمن بيتا مشهورا للمتنبي (أحمد بن الحسين ابن الحسن بن عبد الصمد أبو الطيب الكندي الكوفي)، غير أنه نبه علىٰ ذلك بقوله: (مقالة شاعر من كندة).

ومن التنبيه علىٰ التضمين قول علي الجارم في وصف أشعار إسماعيل صبري:

عَبِثَتْ (بِالوَلِيدِ) ثُمَّ أَرَتْهُ ... مِنْهُ أَنْقَى مَعْنًى وَأَقْوَمُ قِيلَا

لَوْ وَعَاهَا مَا اهْتَزَّ يُنْشِدُ يَوْمًا: ... «ذَاكَ وَادِي الأَرَاكِ فَاحْبِسْ قَلِيلَا»

فعلي الجارم قد ضمن - منبهًا علىٰ التضمين - شطر بيت للبحتري، (وهو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي البحتري، أحد أشهر شعراء العرب في العصر العباسي)، القائل في لاميته الشهيرة:

ذَاكَ وَادِي الأَرَاكِ فَاحْبِسْ قَلِيلَا ... مُقْصِرًا مِنْ صَبَابَةٍ، أَوْ مُطِيلَا

شواهد التضمين:

من شواهد التضمين قول الشاعر علي الجارم مفتخرًا، ومخاطبًا (ساقيَ الحي):

وَاصْدَحْ بِنُونِيَّةٍ لَمَّا هَتَفْتُ بِهَا ... تَسَرَّقَ السَّمْعَ شَوْقِي وَابْنُ زَيْدُونَا

وأَحْكِمِ اللَّحْنَ يَا سَاقِي وَغَنِّ لَنَا ... «إِنَّا مُحَيُّوكِ يَا سَلْمَى فَحَيِّينَا»

يقصد الشاعرُ بالنونية قصيدته هذه، وشوقي له قصيدة نونية أيضا تسمىٰ بأندلسية شوقي، وهذا مطلعها:

يَا نَائِحَ الطَّلْحِ أَشْبَاهٌ عَوَادِينَا ... نَأْسَى لِوَادِيكَ أَمْ تَأْسَى لِوَادِينَا؟

وقد عارض بها شوقي الشاعرَ الأندلسي ابن زيدون في نونيته المشهورة التي مطلعها:

أَضْحَى التَّنَائِي بَدِيلًا عَنْ تَدَانِينَا وَنَابَ عَنْ طِيبِ لُقْيَانَا تَجَافِينَا

وأما التضمين - وهو موضوعنا - فقد وقع في البيت الثاني: (إِنَّا مُحَيُّوكِ يَا سَلْمَىٰ فَحَيِّينَا)، وهو مطلع نونية الشاعر الجاهلي عمرو بن سعد بن مالك، وكان يلقب بالمرقش الأكبر، وتكملة البيت: (وَإِنْ سَقَيْتِ كِرَامَ الحَيِّ فَاسْقِينَا).

وكتبَ علي الجارم حين أُرْسِلَ في بعثة إلىٰ (إنجلترا)، وهو يضع القبعة:

لَبِسْتُ الآنَ قُبَّعَةً بَعِيدًا عَنِ الأَوْطَانِ، مُعْتَادَ الشُّجُونِ

عَنِ الأَوْطَانِ، مُعْتَادَ الشُّجُونِ «مَتَى أَضَعِ العِمَامَةَ تَعْرِفُونِي»

لعلك لاحظت أن الشاعر ضمن شطر بيت من قصيدة سُحَيم الرِّياحي التي يقول فيها:

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَايَا مَتَى أَضَعِ العِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

وقال علي الجارم في في وصف موكب الملك فؤاد:

يُحِيطُ بِهِ نُورُ الإِلَهِ وَنَصْرُهُ وَتَحْرُسُهُ عَيْنُ الإِلَهِ وَتَمْنَعُ

سَمِعْتُ بِهِ حَتَّى إِذَا مَا رَأَيْتُهُ «رَأَيْتُ بِعَيْنِي فَوْقَ مَا كُنْتُ أَسْمَعُ»

فالشاعر قد ضمن شطر بيتٍ لابن هانئ الأندلسي في مدح جوهر الصقليّ، حيث قال:

رَأَيْتُ بِعَيْنِي فَوْقَ مَا كُنْتُ أَسْمَعُ وَقَدْ رَاعَنِي يَوْمٌ مِنَ الحَشْرِ أَرْوَعُ

قال الشاعر السوري أمين الجندي:

وَيْحَ الغَرَامِ فَإِنَّهُ إِنْ حَلَّ فِي قَلْبِ امْرِئٍ فَهْوَ الخَرَابُ البَلْقَعُ

وَمَتَى أُخَيَّ اسْتَحْكَمَتْ أَيْدِي الهَوَى «أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ»

فالجندي كما هو واضح قد ضمَّنَ شطر بيتٍ مشهور لأبي ذؤيب الهذلي القائل:

وَإِذَا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

وقال الجندي مادحًا:

لاَ تُمْسِكُ المَالَ عَنْ رَاجِيهِ رَاحَتُهُ «إِلَّا كَمَا يُمْسِكُ المَاءَ الغَرَابِيلُ»

حيث ضمّن الجندي شطر بيتٍ من بردة كعب بن زهير في مدح الرسول ﷺ، حيث قال:

وَلَا تَمَسَّكُ بِالعَهْدِ الَّذِي زَعَمَتْ إِلَّا كَمَا يُمْسِكُ المَاءَ الغَرَابِيلُ

ومن التضمين قول إيليا أبي ماضي:

ولا غَرْوَ إِنْ صُغْنَا لَهَا الشِّعْرَ حِلْيَةً «فَفِي عُنُقِ الحَسْنَاءِ يُسْتَحْسَنُ العِقْدُ»

الشاعر كما هو واضح قد ضمَّن شطر بيتٍ من قصيدة شهيرة لأبي الطيب المتنبي القائل:

وَأَصْبَحَ شِعْرِي مِنْهُمَا فِي مَكَانِهِ وَفِي عُنُقِ الحَسْنَاءِ يُسْتَحْسَنُ العِقْدُ

ومن التضمين قول إيليا أبي ماضي في وصف آلة (الكمنجة):

فَإِنْ تَجِدْنَا حَوْلَهَا عُكَّفًا فَالمَنْهَلُ العَذْبُ كَثِيرُ الزِّحَامْ

حيث ضمن الشاعر شطر بيت لبشار بن برد القائل:

يَزْدَحِمُ النَّاسُ حَوْلَ بَابِهِ وَالمَنْهَلُ العَذْبُ كَثِيرُ الزِّحَامِ

ومنه قول الشاعر اللبناني عبد الحميد الرافعي:

وَاتْرُكْ مُنَاجَاةَ الدِّيَارِ وَلَا تَقُلْ «يَا دَارَ عَبْلَةَ بِالجَوَاءِ تَكَلَّمِي»

فالشطر الثاني من معلقة عنترة بن شدّاد التي يقول في مطلعها:

يَـــا دَارَ عَبْلَـــةَ بِـــالجَوَاءِ تَكَلَّـــمِي وَعِــمِي صَـبَاحًا دَارَ عَبْلَـةَ واسْـلَمِي

ومن روائع الرافعي في التضمين قوله في (هوىٰ الأوطان):

وَمَـــا يَرْفَــعُ الأَوْطَـــانَ إِلَّا رِجَالُهَـــا وَهَـــلْ يَـــتَرَقَّى النَّـــاسُ إِلَّا بِسُـــلَّمِ؟

«وَمَـنْ يَـكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَـلْ بِفَضْـلِهِ عَلَـى قَوْمِـهِ يُسْـتَغْنَ عَنْـهُ وَيُـذْمَمِ»

فالبيت الثاني لزهير بن أبي سلمىٰ من معلقته المشهورة أخذه الرافعي تضمينًا.

ومن التضمين قول الرافعي أيضًا:

وَيْــلٌ لِمَــنْ عَــاشَ فِي لَهْــوٍ وَفِي لَعِــبٍ فَمِيتَــةُ المَجْــدِ بَــيْنَ اللَّهْــوِ وَاللَّعِــبِ

«أَلَـمْ تَـرَ الشَّـمْسَ فِي المِـيزَانِ هَابِطَـةً لَمَّـا غَـدَا بُـرْجُ نَجْـمِ اللَّهْـوِ وَالطَّـرَبِ؟»

فالبيت الثاني لأبي الفتح البُسْتي استخدمه مصطفىٰ صادق الرافعي من باب التضمين.

ومن التضمين قول الشاعر الأمير شكيب أرسلان:

«أولَئِـــكَ آبَـــائِي فَجِئْـــنِي بِمِـــثْلِهِمْ» وَإِلَّا فَهُـــمْ فِي الأَرْضِ خَـــيْرُ القَبَائِـــلِ

الشطر الأول من قصيدة مشهورة للفرزدق.

ومن التضمين أيضًا قول الشاعر المصري علي الجندي:

بَلَغْنَـــا بِـــكَ الـــنَّجْمَ الرَّفِيــعَ مَكَانَـــةً «وإِنَّـــا لَنَرْجُـــو فَـــوْقَ ذَلِـــكَ مَظْهَـــرَا»

فعجز البيت للنابغة الجعدي أخذهُ الشاعر تضمينا.

ومن بدائع التضمين قول الشاعر الجزائري مفدي زكريا:

«وَمَـنْ رَعَـى غَنَمًـا فِي أَرْضِ مَسْـبَعَة» مَــاتَ الرِّعَــاءُ، وَبَــادَ الكُــلُّ وَاُسْــتُلِبَا

فقد ضمن الشاعر شطر بيت من قصيدة أبي مسلم الخُرساني:

وَمَنْ رَعَى غَنَمًا فِي أَرْضِ مَسْبَعَةٍ وَنَامَ عَنْهَا تَوَلَّى رَعْيَهَا الأَسَدُ

ومنه قول مفدي زكريا:

وَقَفْتُ وَمَا فِي المَوْتِ شَكٌّ لِوَاقِفٍ وَلِلْبِيضِ فِي هَامِ الطُّغَاةِ صَلِيلُ

فالشاعر قد ضمن شطر بيت للمتنبي يقول فيه:

وَقَفْتَ وَمَا فِي المَوْتِ شَكٌّ لِوَاقِفٍ كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهْوَ نَائِمُ

ومن التضمين قول أبي القاسم الشابي:

أيُّ عَيْشٍ هَذَا، وَأَيُّ حَيَاةٍ؟ «رُبَّ عَيْشٍ أَخَفُّ مِنْهُ الحِمَامُ»

فالشابي قد ضمن شطر بيت للمتنبي القائل:

ذَلَّ مَنْ يَغْبِطُ الذَّلِيلَ بِعَيْشٍ رُبَّ عَيْشٍ أَخَفُّ مِنْهُ الحِمَامُ

ومن نماذج التضمين قول الشاعر العراقي جعفر الحلي:

جُزِيتَ الخَيْرَ يَا شَيْخَ البَوَادِي وَصَلْتَ وَإِنَّكَ البَرُّ الوَصُولُ

«قَلِيلٌ مِنْكَ يَكْفِينِي وَلَكِنْ قَلِيلُكَ لَا يُقَالُ لَهُ قَلِيلُ»

فالشاعر قد ضمن بيتًا للمتنبي قال فيه:

قَلِيلٌ مِنْكِ يَكْفِينِي وَلَكِنْ قَلِيلُكِ لَا يُقَالُ لَهُ قَلِيلُ

ومنه قوله مخاطبًا أحد خصوم الممدوح:

أَقُولُ لِمُبْتَغِيكَ وَأَنْتَ بَحْرٌ «فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرِ»

حيث ضمن الشاعر شطر بيت لجرير القائل في قصيدة يهجو فيها راعيًا نميريًّا:

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَعْبًا بَلَغْتَ وَلَا كِلَابَا

ومنه قوله مادحًا:

وَقَالَتْ لَكَ العَلْيَاءُ مُذْ ذُقْتَ كَأْسَهَا: «هَنِيئًا مَرِيئًا غَيْرَ دَاءٍ مُخَامِرِ»

فالشاعر قد ضمن شطر بيت لجرير قال فيه:

هَنِيئًا مَرِيئًا غَيْرَ دَاءٍ مُخَامِرِ لِعَزَّةَ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتِ

ومن التضمين ما يُعرف بالتشطير، وهو أن يعمد الشاعرُ إلىٰ أبيات مشهورة لغيره، فيقسّمها إلىٰ شطرين، يضيف إلىٰ كلّ منهما شطرًا من عنده.

ومن بديعه قول أمير الشعراء أحمد شوقي:

«يَقُولُ أُنَاسٌ: لَوْ وَصَفْتَ لَنَا الهَوَى» لَعَلَّ الَّذِي لَا يَعْرِفُ الحُبَّ يَعْرِفُ

فَقُلْتُ: لَقَدْ ذُقْتُ الهَوَى، ثُمَّ ذُقْتُهُ «فَواللهِ مَا أَدْرِي الهَوى كَيْفَ يُوصَفُ؟»

فشوقي - كما علمت - قد شطَّر بيتًا مشهورًا للبهاء زُهير القائل:

يَقُولُ أُنَاسٌ: لَوْ وَصَفْتَ لَنَا الهَوَى فَواللهِ مَا أَدْرِي الهَوى كَيْفَ يُوصَفُ؟

ومن بليغه أيضًا قول الشاعر السوري أمين الجندي مشطرًا بيتًا للمتنبي:

«وَاسْتَقْبَلَتْ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا» قَصْدًا، لِتُظْهِرَ أَيُّ نُورٍ أَبْدَعَا؟

وَغَدَتْ تُشِيرُ إِلَيَّ نَحْوَ جَبِينِهَا «فَأَرَتْنِي القَمَرَيْنِ فِي وَقْتٍ مَعَا»

فالشاعر كما هو ظاهر قد شطر بيتَ المتنبي القائل:

وَاسْتَقْبَلَتْ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا فَأَرَتْنِي القَمَرَيْنِ فِي وَقْتٍ مَعَا

ومن بديعه قول الشاعر المصري عبد الله فريج:

«أَحْسِنْ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدْ قُلُوبَهُمُ» وَهُمْ لَدَيْكَ أُخَيَّ الفَضْلِ غِلْمَانُ

وَاعْطِفْ عَلَيْهِمْ بِإِحْسَانٍ تَسُودُ بِهِ «فَلَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الإِنْسَانَ إِحْسَانُ»

فالشاعر قد شطر بيتًا لأبي الفتح البُستي من نونيته المشهورة، يقول فيه:

أَحْسِنْ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدْ قُلُوبَهُمُ ... فَلَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الإِنْسَانَ إِحْسَانُ

ومنه قوله:

أَقُولُ وَقَدْ عَايَنْتُ حُسْنَكَ زَائِلًا ... «أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلُ»

عَزِيزٌ عَلَيْنَا أَنْ تَزُولَ فَقَالَ لِي: ... «وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلُ»

شطَّر الشاعر بيتًا مشهورًا للشاعر لبيد بن ربيعة العامري بعد إسلامه، حيث قال:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلُ ... وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلُ

ومنه قول الشاعر الفلسطيني عمر اليافي:

«يَا ضَعِيفَ الجُفُونِ أَضْعَفْتَ قَلْبًا» ... لَمْ يَبِتْ قَطُّ مِنْ هَوَاكَ خَلِيًّا

فَتَلَطَّفْ بِجِسْمِ صَبٍّ نَحِيلٍ ... «كَانَ قَبْلَ الهَوَى قَوِيًّا مَلِيًّا»

«لَا تُحَارِبْ بِنَاظِرَيْكَ فُؤَادِي» ... فَلَقَدْ مَاتَ بَعْدَ أَنْ كَانَ حَيًّا

وَانْهَ عَيْنَيْكَ عَنْ تَغَالُبِ صَبْرِي ... «فَضَعِيفَانِ يَغْلِبَانِ قَوِيًّا»

فالشاعر قد شطر بيتين مشهورين لشاعر عصر المماليك الشاعر الكبير صفي الدين الحلي، القائل:

يَا ضَعِيفَ الجُفُونِ أَضْعَفْتَ قَلْبًا ... كَانَ قَبْلَ الهَوَى قَوِيًّا مَلِيًّا

لَا تُحَارِبْ بِنَاظِرَيْكَ فُؤَادِي ... فَضَعِيفَانِ يَغْلِبَانِ قَوِيًّا

ومنه قول عمر اليافي:

«وَإِذَا العِنَايَةُ لَاحَظَتْكَ عُيُونُهَا» ... لَا تَخْشَ مِنْ بَأْسٍ فَأَنْتَ تُصَانُ

وَبِكُلِّ أَرْضٍ قَدْ نَزَلْتَ قِفَارَهَا ... «نَمْ فَالمَخَاوِفُ كُلُّهُنَّ أَمَانُ»

فالشاعر كما رأيت قد شطَّرَ بيتًا مشهورًا للقاضي الفاضل، القائل:

وَإِذَا العِنَايَةُ لَاحَظَتْكَ عُيُونُهَا ... نَمْ فَالمَخَاوِفُ كُلُّهُنَّ أَمَانُ

ومنه قول الشاعر محمد العيد آل خليفة مشطِّرًا بيتين منسوبين إلىٰ الإمام الشافعي:

«دَعِ المَقَادِيرَ تَجْرِي فِي أَعِنَّتِهَا» ... فَلِلْمَقَادِيرِ سِرٌّ غَامِضٌ عَالِ

فَوِّضْ إِلَى اللهِ مَا يَعْرُوكَ مِنْ نُوَبٍ ... «ولا تَبِيتَنَّ إِلَّا خَالِيَ البَالِ»

«مَا بَيْنَ غَمْضَةِ عَيْنٍ وانْتِبَاهَتِهَا» ... يَسْلُو الحَزِينُ كَمَا قَدْ يَحْزَنُ السَّالِي

إِنْ سَاءَتِ الحَالُ فَارْقَبْ أَنْ تَطِيبَ فَقَدْ ... «يُغَيِّرُ اللهُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالِ»

بلاغة التضمين:

«أسلوب التضمين يكشف عن مهارة الأديب الفائقة في إحكام الصلة بين كلامه، وما أخذه من شعر غيره، كما أنه يزداد به حُسنًا، ويستعير من قوّته قوة»[(١)]، والتضمين يكشف عن سعة خزينة الشاعر الأدبية، ويرىٰ الدكتور بدوي طبانة التضمينَ دليلًا علىٰ مهارة الأديب، وسعة ثقافته، وتلك الثقافة من لوازم الأديب، لكنّ بعض الدارسين المحدثين يرون غير ذلك. «أما الدكتور السامرائي فإنه يرىٰ في التضمين ضربا من التقليد والمحاكاة، ونحن لا نتفق معه علىٰ ذلك، ذلك أن كثيرًا من الشعراء الفحول قد ضمنوا بعض قصائدهم بآثار غيرهم، وما ذلك إلا لأن التضمين يزيد معانيهم قوة وتأكيدًا، أو يضيف لجمالها لمحة بيانية رائعة»[(٢)].

والجدير بالذكر أن بعض الشعراء أُغرموا به، وجَرَوا فيه شوطًا بعيدًا، حتىٰ

(١) لباب البديع (ص ١٩٦).

(٢) التضمين في العربية. الدكتور أحمد حسن حامد (ص ٩٢، ٩٣).

استخدموا معاني الشعر المضمَّن في غير معانيها التي قيلت فيها، وتسابقوا في ميدانه، حتىٰ اعتبروه غاية الفخر، وقد جاء في كتاب (الصبغ البديعي): «التضمين عموما إذا جاء محكما مُتْقَنًا ساغ، وعذُب، وأنبأ عن تفوّق الشاعر، وإلمامه بالشعر، وإلّا كان ضربا من السرقة المعيبة، دالّا علىٰ إفلاس الشاعر، وسوء صنيعه».



التطبيق

حدد التضمين في النماذج البلاغية الآتية:

١- قال الشاعر السوري سليمان الصولة:

تَمُـرُّ بِـكَ الأبْطَـالُ كَلْـمَى هَزِيمَـةً   مُـرُورَ كِبَـاشٍ طَارَدَتْهَـا ضَـرَاغِمُ

وَعِرْضُـكَ مَوْفُـورٌ وَجَأشُـكَ ثَابِـتٌ   وَوَجْهُـكَ وَضَّـاحٌ وَثَغْـرُكَ بَاسِـمُ

٢- وقال سليمان الصولة:

أُكَابِـدُ هَـذَا، وَالعَـذُولُ يَقُـولُ لِي: أَرَاكَ عَصِيَّ الـدَّمْعِ شِيمَتُكَ الصَّبْرُ

نَهَـاكَ الهَـوَى عَـنْ سَـلْوَةٍ فَعَصَيْتَهُ   أَمَـا لِلْهَـوى نَهْـيٌ عَلَيْـكَ وَلَا أَمْـرُ؟

بَلَـى أَنَـا مُشْـتَاقٌ وَعِنْـدِيَ لَوْعَـةٌ   وَلَكِـنَّ مِثْلِـي لَا يُـذَاعُ لَـهُ سِـرٌّ

٣- قال الشاعر بطرس كرامة:

أيَـا فَاضِـلاً حَاكَـتْ مَعَـانِي صِـفَاتِهِ   عُيُونَ المَهَا بَيْنَ الرُّصَافَةِ والجِسْرِ

قَصَـائِدُكَ الغَـرَّاءُ لَمَّـا قَرَأْتُهَـا   جَلَبْنَ الهَوَى مِنْ حَيْثُ أدْرِي ولا أَدْرِي

٤- وقال بطرس كرامة مخاطبا ظبيتين كانتا تسرحان معا:

أَيَا ظَبْيَتَيْ دَارِ الصَّفَا هِجْتُمَا الهَوَى   وَذَكَّرْتُمَـانِي عَهْـدَ ذَاتِ التَّـدَلُّلِ

إِذَا شِـئْتُمَا أَنْ تَرْحَمَـانِي وَتُسْـعِفَا   قِفَـا نَبْـكِ مِـنْ ذِكْـرَى حَبِيـبٍ وَمَنْـزِلِ

٥- قال مصطفى صادق الرافعي:

وَلَـنْ تَجِـدِي غَـيْرِي يَقُـولُ إِذَا بَكَـى: لِعَيْنَيْـكِ مَـا يَلْقَـى الفُـؤَادُ وَمَـا لَقِـي

٦- وقال الرافعي:

وَلا أَنْسَــى بُكَــائِي يَــوْمَ غَــنًّى إذَا غَضِــبَتْ عَلَيْــكَ بَنُــو تَمِــيمِ

٧- قال ناصيف اليازجي:

زُرْ تُرْبَــةً فِي الحِــمَى يَــا أَيُّهَــا المَطَــرُ وَقُــلْ: عَلَيْــكَ سَــلَامُ اللهِ يَــا عُمَــرُ

٨- قال معروف الرصافي في الرثاء:

حَمَلُــوا عَلَــى الأَعْــوَادِ خَــيْرَ وَدِيعَــةٍ أَعَلِمْــتَ مَــنْ حَمَلُــوا عَلَــى الأَعْــوَادِ؟

٩- قال علي الجارم:

إذا المَــرْءُ لَــمْ يُخْلِــدْهُ فَضْــلُ جِهَــادِهِ فَكُــلُّ الَّــذِي فَــوْقَ الــتُّرَابِ تُــرَابُ

١٠- قال الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة:

دَقَّــاتُ قَلْــبِ المَــرْءِ قَائِلَــةٌ لَــهُ: عَجِّــلْ بِمَــا يَبْقَــى فَإِنَّــكَ فَــانِي

مَــا فِي حَيَاتِــكَ لِلْمَلَاهِــي فُسْــحَةٌ إنَّ الحَيَــــاةَ دَقَــــائِقٌ وَثَــــوَانِي

١١- قال الشاعر الجزائري الشيخ أحمد سحنون:

فَمَــا الشِّــعْرُ إلَّا ثَــوْرَةٌ غَــيْرَ أَنَّهَــا تَصُولُ بِلَا كَفٍّ وَتَسْعَى بِلَا رِجْلِ

١٢- قال الشاعر اللبناني مصطفى الغلاييني:

قَدْ بِعْتُ نَفْسِي لأُخْتِي صِبْيَةٍ هَلَكُوا وَاحَــرَّ قَلْبَــاهُ مِمَّــنْ قَلْبُــهُ شَــبِمُ

١٣- قال الشاعر إبراهيم ناجي في الرثاء:

إنَّــا افْتَقَــدْنَاكَ والأفْهَــامُ حَــائِرَةٌ وَالبَــدْرُ فِي اللَّيْلَــةِ الظَّلْمَــاءِ يُفْتَقَــدُ

١٤- قال الشاعر المصري حسن كامل الصيرفي:

إنَّ العُيُــونَ الَّــتِي فِي طَرْفِهَــا حَــوَرٌ وَتِلْــكَ أَعْــيُنُ مَــنْ نَهْــوَى وَتَهْوَانَــا

سُيُوفُ أَلْحَاظِهَا فِي الجَفْنِ مُغْمَدَةٌ قَتَلْنَنَــا ثُــمَّ لَــمْ يُحْيِــينَ قَتْلَانَــا

١٥- وقال أيضًا:

وَلَمَّا شَرِبْنَاهَا وَدَبَّ دَبِيبُهَا   وَأَطْمَعَنِي السَّاقِي بِوَعْدٍ بِهِ يَفِي
لَهَوْتُ بِحَسْوِ الرَّاحِ حَتَّى إِذَا انْتَهَتْ   إِلَى مَوْطِنِ الأَسْرَارِ قُلْتُ لَهَا قِفِي

١٦- قال إلياس فرحات:

أَرَى الشَّيْطَانَ يَرْمِينَا بِحَرْبٍ   تُشِيبُ الطِّفْلَ مِنْ قَبْلِ المَشِيبِ

١٧- قال الشاعر اللبناني عمر الأنسي:

فَثِقْ بِرَبِّكَ واصْبِرْ لِلأُمُورِ فَقَدْ   تَجْرِي الرِّيَاحُ عَلَى مَا تَشْتَهِي السُّفُنُ

١٨- قال الشاعر الفلسطيني عمر اليافي:

عَنِ المَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ   فَفِيهِ دَلِيلٌ عَنْهُ بِالطَّبْعِ تَهْتَدِي

١٩- قال الشاعر الجزائري مفدي زكريا:

وَبُكَاءُ الفَخَارِ مِنْ غَيْرِ كَدٍّ   غَيْرُ مُجْدٍ فِي مِلَّتِي وَاعْتِقَادِي

٢٠- قال الشاعر محمد صالح الجزائري:

ويُرْخِصُ فِي العَلْيَاءِ نَفْسًا نَفِيسَةً   ومَنْ خَطَبَ الحَسْنَاءَ لَمْ يَغْلُهُ المَهْرُ



حل التطبيق

١- شطر سليمان الصولة بيتًا للمتنبي يقول فيه:

تَمُــرُّ بِـكَ الأبْطَـالُ كَلْـمَى هَزِيمَــةً وَوَجْهُــكَ وَضَّــاحٌ وَثَغْــرُكَ بَاسِــمُ

٢- ضمَّنَ سليمان الصولة أبياتًا لأبي فراس القائل:

أَرَاكَ عَصِـيَّ الـدَّمْعِ شِـيمَتُكَ الصَّـبْرُ أَمَـا لِلْهَـوى نَهْـيٌ عَلَيْـكَ وَلَا أَمْـرُ؟

بَلَـى أَنَـا مُشْــتَاقٌ وَعِنْــدِيَ لَوْعَــةٌ وَلَكِــنَّ مِثْلِــي لَا يُــذَاعُ لَــهُ سِــرٌّ

٣- شطر كرامة بيتًا لعلي بن الجهم في قصيدته الشهيرة التي يقول في مطلعها:

عُيُـونُ المَهَـا بَـيْنَ الرُّصَـافَةِ والجِسْـرِ جَلَـبْنَ الهَـوَى مِـنْ حَيْـثُ أدْرِي ولا

٤- ضمّنَ بطرس كرامة شطر بيت لمعلقة امرئ القيس القائل:

قِفَـا نَبْـكِ مِـنْ ذِكْـرَى حَبِيـبٍ وَمَـنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بَـيْنَ الـدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

٥- ضمن الرافعي شطر بيت للمتنبي ينشد فيه:

لِعَيْنَيْـكِ مَـا يَلْقَـى الفُـؤَادُ وَمَـا لَقِـي وَلِلْحُـبِّ مَـا لَـمْ يَبْـقَ مِـنِّي وَمَـا بَقِـي

٦- ضمن الرافعي شطر بيت لجرير القائل:

إذَا غَضِــبَتْ عَلَيْــكَ بَنُــو تَمِــيمٍ حَسِــبْتَ النَّــاسَ كُلَّهُــمْ غِضَــابَا

٧- ضمن اليازجي شطر بيت للحطيئة، مع تغيير يسير، حيث قال الحطيئة مخاطبًا عمر بن الخطاب، ومناشدًا إياه العفو:

أَلْقَيْــتَ كَاسِــبَهُمْ فِي قَعْــرِ مُظْلِمَــةٍ فَــاغْفِرْ عَلَيْــكَ سَــلَامُ اللهِ يَــا عُمَــرُ

٨- ضمّن الرصافي شطر بيت للشريف الرضي، القائلُ في قصيدةٍ مطلعُها:

أَعَلِمْتَ مَنْ حَمَلُوا عَلَى الأَعْوَادِ؟ أَرَأَيْتَ كَيْفَ خَبَا ضِيَاءُ النَّادِي؟

٩- ضمّن الجارم عجز بيت من قصيدة مشهورة للمتنبي، يقول فيها:

إذا نِلْتُ مِنْكَ الوُدَّ فالمَالُ هيِّنٌ وكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابُ

١٠- شطر محمد العيد بيتًا لأحمد شوقي يقول فيه:

دَقَّاتُ قَلْبِ المَرْءِ قَائِلَةٌ لَهُ: إنَّ الحَيَاةَ دَقَائِقٌ وَثَوَانِي

١١- ضمن أحمد سحنون شطر بيت للمتنبي يقول فيه:

وَمَا المَوْتُ إلَّا سَارِقٌ دَقَّ شَخْصُهُ يَصُولُ بِلَا كَفٍّ وَيَسْعَى بِلَا رِجْلِ

١٢- ضمن الغلاييني شطر بيت للمتنبي قال فيه:

وَاحَرَّ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبِمُ وَمَنْ بِجِسْمِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمُ

١٣- ضمّن إبراهيم ناجي شطر بيت لأبي فراس الحمداني، حيث قال:

سَيَذْكُرُنِي قَوْمِي إذَا جَدَّ جِدُّهُمْ وَفِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ يُفْتَقَدُ البَدْرُ

١٤- شطَّرَ كامل الصيرفي بيتًا لجرير في قصيدته المشهورة التي يقول فيها:

إنَّ العُيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوَرٌ قَتَلْنَنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيِينَ قَتْلَانَا

١٥- شطر حسن كامل بيتَ أبي نواس القائل:

وَلَمَّا شَرِبْنَاهَا وَدَبَّ دَبِيبُهَا إلَى مَوْطِنِ الأَسْرَارِ قُلْتَ لَهَا قِفِي

١٦- ضمَّن إلياس فرحات شطر بيت لحسان بن ثابت يقول فيه:

إذًا - وَاللهِ - نَرْمِيهِمْ بِحَرْبٍ تُشِيبُ الطِّفْلَ مِنْ قَبْلِ المَشِيبِ

١٧- ضمن عمر الأنسي مع تغيير في المعنىٰ بيتا للمتنبي يقول فيه:

مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى المَرْءُ يُدْرِكُهُ تَجْرِي الرِّيَاحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُنُ

١٨- ضمن عمر اليافي شطر بيت للشاعر الجاهلي عدي بن زيد العبادي القائل:

عَنِ المَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالمُقَارَنِ يَقْتَدِي

١٩- ضمَّن مفدي زكريا صدر بيت لأبي العلاء المعرّي، جاء فيه:

غَيْرُ مُجْدٍ فِي مِلَّتِي وَاعْتِقَادِي نَوْحُ بَاكٍ أَوْ تَرَنُّمُ شَادِ

٢٠- ضمن الشاعر شطر بيت لأبي فراس الحمداني، يقول فيه:

تَهُونُ عَلَيْنَا فِي المَعَالِي نُفُوسُنَا وَمَنْ خَطَبَ الحَسْنَاءَ لَمْ يَغْلُهُ المَهْرُ





المحسّنات المعنوية



الطِّبَـاق

تعريف الطّباق لغة: الطِّبَاقُ فِي اللُّغَة وَضْعُ طَبَقٍ عَلَىٰ طَبَق، كَوَضْعِ غِطَاءِ القِدْرِ عَلَىٰ القِدْر، حَتَّىٰ تَحْصُلَ التَّغْطِيَةُ بِإِحْكَام، ونَقُولُ: طَابَقَ الشَّيْءَ عَلَىٰ الشَّيْءِ مُطَابَقَةً، وطِبَاقًا، أيْ أطْبَقَهُ عَلَيْه.

الطباق اصطلاحًا: «يُعَرَّفُ الطِّبَاقُ عِنْدَ جُمْهُورِ البَلَاغِيِّينَ بِأَنَّهُ الجَمْعُ بَيْنَ مُتَقَابِلَيْنِ فِي الجُمْلَةِ فِي كَلَامٍ وَاحِد»[1].

قال الشاعر عمر الأنسي في هذا المعنىٰ:

تَوَاضَعَ وَاعْتَلَى شَرَفًا وَحِلْمًا ... فَأَبْدَعَ فِي الكَرَامَةِ وَالطِّبَاقِ

صُوَر الطباق:

١/ أنْ يُجْمَعَ بَيْنَ اسْمَيْن:

ومثاله قول الشاعر اللبناني عبد الحميد الرافعي في وصف دموعه وحرقة قلبه:

مَا كَانَ أَعْجَبَ مَزْجَ المَاءِ فِي لَهَبٍ ... ضِدَّانِ مَا اجْتَمَعَا إلَّا لِإِعْدَامِي!

فالجمع بين (الماء) و(اللهب) في العبارة الواحدة طباق.

وقريب منه قوله:

رَأَتْ شَرَارَ الأَسَى فِي مَدْمَعِي الجَارِي ... فَهَالَهَا الجَمْعُ بَيْنَ المَاءِ وَالنَّارِ

ومنه قول الرافعي في وصف الشعر العربي:

سِحْرُ البَيَانِ تَجَلَّى فِيهِ فَانْقَلَبَتْ ... بِسِرِّهِ وَحْشَةُ الأَقْوَامِ إينَاسَا

---

(١) بلاغة الطباق والمقابلة الدكتور محمد علي أبو زيد (ص ١٧).

فالجمع بين (الوحشة) و(الإيناس) في العبارة الواحدة طباق، لأن الوحشة ضدُّ الإيناس.

ومنه قول حفني ناصف في الغزل:

فِي حُسْنِ صُورَتِهَا الأَضْدَادُ قَدْ جُمِعَتْ فَالثَّغْرُ مُحْيٍ وَغُنْجُ الطَّرْفِ قَتَّالُ

فالجمع بين (مُحْيٍ)، و(قتَّال) في العبارة الواحدة طباق، لأنَّ الإحياءَ ضدُّ القتل.

ومنه قول محمود غنيم في قصيدة (المحراث):

مَا قَلْقَلَ الأَرْضَ إِلَّا زَادَ غَلَّتَهَا ضِعْفَيْن، فَاعْجَبْ لِهَذَا الهَادِمِ

فالجمع بين (الهادم)، و(الباني) في العبارة الواحدة طباق، لأنّ الهدم ضد البناء.

ومنه قول الشاعر السوري أمين الجندي:

فَتَكَ الخَالُ بِي، وَعَجِيبٌ فَتْكُ بَعْضِ العَبِيدِ بِالأَحْرَارِ

فالجمع بين (العبيد)، و(الأحرار) في العبارة الواحدة طباق، لأنَّ العبودية ضدُّ الحرية.

٢/ أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَ فِعْلَيْن:

كقول الشاعر المصري محمد توفيق علي واصفًا (بلبلا):

وَسَمِعْتُ مِنْ أَعْلَى الخَمِيلَةِ صَائِحًا غَرِدًا يُفَصِّلُ فِي الغَرَامِ وَيُجْمِلُ

يَبْكِي وَيَضْحَكُ فِي بُكَاهُ تَوَجُّعًا وَيَجِدُّ فِي شَكْوَى جَوَاهُ وَيَهْزِلُ

فالجمع بين (يفصّل)، و(يجمل)، وبين (يبكي)، و(يضحك)، وبين (يجدُّ)، و(يهزل) في عبارة واحدة طباق، لأن التفصيلَ ضدُّ الإجمال، والبكاءَ ضدُّ الضحك، والجِدَّ ضدُّ الهزل.

ومنه قول خليل مطران:

مِصْـرُ العَزِيـزَةُ إنْ جَـارَتْ وَإنْ عَـدَلَـتْ   مِصْـرُ الحَبِيبَـةُ إنْ نَرْحَـلْ وَإنْ نُقِـمِ

فالجمع بين (جارتْ)، و(عدلتْ)، وبين (نرحل)، و(نُقم) في عبارة واحدة طباق، لأن الجَوْرَ ضدُّ العدل، والرَّحيلَ ضدُّ الإقامة.

قال محمود غنيم مخاطبًا الملك فاروق:

فَعَجِبْـتُ كَيْـفَ أَسَـرْتَ مِصْـرًا بَعْـدَمَا   حَرَّرْتَهَـــا مِـــنْ رِقِّ الاسْـــتِعْبَادِ؟

يقصد بالأسْر هنا أسْر القلوب، نقول: إن الجمع بين (أَسَرْتَ)، و(حَرَّرْتَهَا) في عبارة واحدة طباق، لأنَّ الأسرَ ضدُّ التحرير.

ومنه قول محمد العيد آل خليفة:

أخْلَصْتَ لِلنَّاسِ فَاحْتَـالُوا، وَصُـنْتَهُمْ   فَضَيَّعُوا، وَصَدَقْتَ القَوْلَ فَـاخْتَلَقُوا

فالجمع بين (أخلصتَ)، و(احتالوا)، وبين (صنتهم)، و(ضيعوا)، وبين (صدقت)، و(اختلقوا) في عبارة واحدة طباق، لأن الإخلاصَ ضدُّ الاحتيال، والصيانةَ ضدُّ التضييع، والصدقَ ضدُّ الاختلاق.

ومنه قول الشاعر اللبناني عبد الحميد الرافعي يشكو ألم الفراق:

قَسَـــا عَلَـــيَّ بِالتَّجَـــافِي فَمَـــا   أَلْـــيَنَ عِطْفَيْـــهِ وَأقْسَـــاهُ!

فالجمع بين (ألين)، و(أقساه) في عبارة واحدة طباق، لأن اللينَ ضدُّ القسوة.

٣/ أنْ يُجْمَعَ بَيْنَ حَرْفَيْن:

كقول معروف الرصافي:

لَقَـدْ عِشْـتُ فِي الـدُّنْيَا أَسِـيفًا وَلَيْتَـنِي   تَرَحَّلْـــتُ عَنْهَـــا لَا عَلَـــيَّ وَلَا لِيَـــا

فالجمع بين (علىٰ)، و(اللام في لِيا) طباق، لأنّ في (اللام) معنىٰ المنفعة، وفي (علىٰ) معنىٰ المضرّة.

٤/ أنْ يُجْمَعَ بَيْنَ مُخْتَلِفَيْن:

كقول معروف الرصافي في القصيدة نفسها:

لَعَلَّ الَّذِي أَشْجَاكَ يُعْقَبُ رَاحَةً فَقَدْ يَشْكُرِ الإنْسَانُ مَا كَانَ شَاكِيَا

فالجمع بين (يشكر)، و(شاكيا) طباق، لأن الشُّكر ضدُّ الشكوى.

ومنه قول عبد الحميد الرافعي في الحكمة:

كَمْ ذَلَّلَ الحَزْمُ صَعْبًا كَانَ أَمْنَعَ مِنْ صَيْدٍ أَقَرَّ عَلَيْهِ اللَّيْثُ أَضْرَاسَا

فالجمع بين (ذلّلَ)، و(صعْبًا) في العبارة الواحدة طباق، لأن التذليل ضد الصعوبة.

وقول الرافعي في الحكمة:

هُوَ العُمْرُ مَا تَصْفُو لَيَالِيهِ كُلُّهَا إِذَا مَا حَلَتْ يَوْمًا تَلَاهُ مَرِيرُهَا

فالجمع بين (حلتْ)، و(مريرها) في العبارة الواحدة طباق، لأن الحلو ضد المَرير.

ومنه قول مفدي زكريا:

جَدَّ الهَوَى بَعْدَمَا كَانَ الهَوَى لَعِبَا وَاهْتَزَّتِ الرُّوحُ مِنْ بَعْدِ العَنَا طَرَبَا

فالجمع بين (جَدَّ)، و(لَعِبًا) في العبارة الواحدة طباق، لأن الجد ضد اللعب.

أقسام الطباق:

طباق الإيجاب: وهُوَ أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَ لَفْظَيْنِ مُتَضَادَّيْن، وكُلٌّ مِنْهُمَا مُثْبَت، كالأمثلة السابقة. ومنه قول الشاعر العراقي جعفر الحلي في الرثاء:

أَتَعْقِدُ مَأْتَمًا حُزْنًا عَلَيْهِ وَحُورُ العِينِ قَدْ عَقَدَتْ زِفَافَا؟

طباق السَّلب: وهُوَ أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَ فِعْلَيْنِ مِنْ مَصْدَرٍ وَاحِد، أَحَدُهُمَا مُثْبَتٌ، والآخرُ مَنْفِيّ[1]، وعرّفه العسكرِيّ بقوله: «هُوَ بِنَاءُ الكَلَامِ عَلَىٰ نَفْي الشَّيْءِ مِنْ جِهَة، وإثْبَاتِهِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَىٰ»[2]. مثل قول محمود غنيم في وصف «الرُّوبُوت» (الإنسان الآلي):

لا يُشْبِهُ النَّاسَ إحْسَاسًا وعَاطِفَةً ويُشْبِهُ النَّاسَ تَرْكِيبًا وأَعْضَاءَ

ومنه قول علي الجارم:

لَمْ يُشْبِهُوا الإنْسَانَ فِي خَلَّةٍ وَأَشْبَهُوا الحَيَّاتِ وَالأَسْبُعَا

ومنه قول إيليا أبي ماضي:

بَنَيْتُ فِرْدَوْسِي وزَخْرَفْتُهُ حَتَّى إذَا مَا تَمَّ ضَيَّعْتُهُ

أَجْرَيْتُ فِي أَنْهَارِهِ كَوْثَرًا فَذَاقَهُ النَّاسُ ومَا ذُقْتُهُ

وقَدْ يَكُونُ طِبَاقُ السَّلْبِ جَمْعًا بَيْنَ اسْمَيْن، أَحَدُهُمَا مُثْبَتٌ، والآخَرُ مَنْفِيّ، ومثاله قول أحمد شوقي:

كَأَنَّ وَجْهَكَ تَحْتَ النَّقْعِ بَدْرُدُجًى يُضِيءُ مُلْتَثِمًا أَوْ غَيْرَ مُلْتَثِمِ

وقد اجتمع طباق الإيجاب، وطباق السلب في قول إيليا أبي ماضي:

لا تَقْلَقِي يَوْمَ النَّوَى أوْ فَاقْلَقِي يَا نَفْسُ كُلُّ تَجَمُّعٍ لِتَفَرُّقِ

كما اجتمعا في قول ميخائيل نُعيمة: «أَنَقُولُ إنَّ الإنْسَانَ مَقْضِيٌّ عَلَيْهِ بِحَيَاةٍ نِصْفُهَا تَفَاهُمٌ ونِصْفُهَا سُوءُ تَفَاهُم، ثُمَّ نَسْتَسْلِمُ لِذَلِكَ القَضَاءِ صَاغِرِين، ونَمْضِي نَنْحَرُ أَيَّامَنَا السِّمَانَ لأَيَّامِنَا العِجَافِ؟».

---

(١) بلاغة الطباق والمقابلة الدكتور محمد علي أبو زيد (ص ٤٠).

(٢) كتاب الصناعتين (ص ٤٢١).

بلاغة الطباق:

الطباق من الأمور الفطرية المركوزة في الطباع، والتي لها علاقة وثيقة ببلاغة الكلام، فهو يثبت المعنىٰ في النفس، إذ الضدُّ أقرب خُطُورًا بالبال إذا ذُكر ضدُّه، وقد قيل: «والضدُّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضّدُّ»(١).

و«من هنا فإن تعاملنا مع التقابل والتطابق لا يكون فقط بوصفها محسنات بديعية معنوية، لا عمل لها سوىٰ تقوية المعنىٰ، وإنما أيضا من منطلق ما تحدثه من موسيقىٰ خفية، وحركة نفسية في قارئ الشعر أو سامعه»(٢).

أمّا في الأدب الحديث والمعاصر، فالطباق ينمّ في أغلب الحالات عن الصراع النفسي، والغليان الداخلي وصفة الأسىٰ، والألم، والحزن، ورفض الأمر الواقع.

فهذا الشاعر الجزائري أبو القاسم خمّار يعبر عن صراعه، وحزنه علىٰ وطنه:

فَاسْتَوْغَلَتْ بَيْنَنَا الأَضْدَادُ، وانْقَلَبَتْ كُلُّ المَفَاهِيمِ بِالقَاصِي والدَّانِي

أَفْرَاحُنَا أَصْبَحَتْ بِالدَّمْعِ مُمْطِرَةً وحُلْمُنَا صَارَ أَشْبَاحًا لِحِرْمَانِ

وهذا نزار قباني يشحن لغته الشعرية بجماليّة بنية التَّضاد، حيث يقول:

قَدْ صَغُرْنَا أَمَامَكُمْ أَلْفَ قَرْنٍ وكَبِرْتُمْ خِلَالَ شَهْرٍ قُرُونَا

ويقول محمود غنيم:

حَيَاةٌ بِهَا جِدٌّ وَلَهْوٌ، بِهَا رِضًا وَسُخْطٌ، لَهَا طَعْمَانِ: شَهْدٌ وَعَلْقَمُ

ولك أن تتخيل حجم المعاناة النفسية التي جسدها الشاعر في هذا البيت.

وعمومًا يمكن القول إنّ في فطرة الإنسان حُبًّا لرؤية الأشياء المتباعدة في الحياة متجاورةً في رحاب اللغة.

---

(١) دراسات في علم البديع (ص ٣٥).

(٢) موسيقىٰ الشعر العربي الجزء الأول دكتور حسني عبد الجليل يوسف (ص ١٥، ١٦).

التطبيق

حدد الطباق، وصورته، ونوعه في النماذج البلاغية الآتية:

١- قال شاعر لبنان إلياس عبد الله طعمة يصف خمر الجنة:

فَمَا أَعْذَبَ الكَأْسَ الَّتِي قَدْ شَرِبْتُهَا! فَكَانَ بِهَا سُكْرِي الَّذِي مِنْهُ صَحْوَتِي

٢- وقال إلياس عبد الله طعمة في وصف مُغَنٍّ عازفٍ على العود:

أَلْحَانُ عُودِكَ تُبْكِينِي وَتُطْرِبُنِي وَالقَلْبُ فِي فَرَحٍ طَوْرًا وَفِي حُزْنِ

٣- قال محمود غنيم وقد أُهديت إليه صورةٌ حبيبةٌ إلىٰ نفسه:

أَوَحَشْتَنِي يَا رَسْمُ أَمْ آنَسْتَنِي؟ وَأَقَمْتَ عُرْسًا فِي الحَشَا أَمْ مَأْتَمًا؟

٤- وقال محمود غنيم:

لَقَدْ جَهِلَ الغِرُّ فَنَّ الحَيَاةِ وَأَدْرَكْتُهُ، فَابْتَسَمْتُ وَنَاحَا

٥- قال الشاعر اللبناني عبد الحميد الرافعي في الحكمة:

وَلَا تَعِشْ يَائِسًا فِي الدَّهْرِ مِنْ أَمَلٍ قَدْ يَبْسِمُ الدَّهْرُ مَهْمَا كَانَ عَبَّاسَا

٦- قال خليل مطران في وصف جبال لبنان:

جِبَالٌ تَرَامَتْ فِي الفَضَاءِ خُطُوطُهَا يُرَقِّقُهَا رَسَّامُهَا وَيُضَخِّمُ

أَحَبُّ طِبَاقٍ فِي البَدِيعِ طِبَاقُهَا يَرُوعُ النُّهَى مُنْآدُهَا وَالمُقَوَّمُ[1]

٧- وقال خليل مطران في الرثاء:

مَاتَ النَّقِيُّ خَفَاؤُهُ وَظُهُورُهُ مَاتَ الوَفِيُّ مَغِيبُهُ وَالمَشْهَدُ

(١) انآدَ: انثنىٰ واعوجَّ.

٨- وقال خليل مطران

إنَّ هَــذِي الحَيَــاةَ سُــخْرِيَّةٌ تُــقْ ضَى بِجِـدٍّ، بِـئْسَ الطِّبَـاقُ الأَلِـيمُ

أَقَــوِيٌّ وَبَعْــدَ آنٍ ضَــعِيفٌ؟ أَصَــحِيحٌ وَفِي ثَــوَانٍ سَــقِيمُ؟

٩- وقال مطران في الحكمة:

وَفِي النَّاسِ مَنْ يُحْلِي لَكَ المُرَّ خِدْعَةً وَتَرْجِــعُ مِــنْ جَنَّاتِــهِ بِعَــذَابِ

١٠- وقال خليل مطران:

فَتَبَــدَّلَتْ أَفْــرَاحُهُمْ فِي لَحْظَــةٍ بِمَنَاحَــةٍ، وَسُــرُورُهُمْ بِبُكَــاءِ

١١- قال معروف الرصافي:

لَقَدْ هِجْتَنِي يَا أَحْمَدُ اليَوْمَ بِالأَسَى وَذَكَّرْتَنِي مَا كُنْتُ بِالأَمْسِ نَاسِيَا

١٢- وقال الرصافي:

وَإِنِّي جَبَــانٌ فِي فِــرَاقِ أَحِبَّــتِي وَإِنْ كُنْتُ فِي غَيْرِ الفِرَاقِ شُجَاعَا

١٣- وللرصافي في حب (لبنان):

فَيَــا لَائِمِي فِي حُــبِّ لُبْنَــانَ إِنَّــنِي أُحِــسُّ لَعَمْرِي مِنْــهُ مَـا لَا تُحِسُّــهُ

١٤- قال علي الجارم:

وَالشُّــكْرُ فِي السَّــرَّاءِ يَعْظُــمُ كُلَّمَــا ذَكَــرَ الفَــتَى مَــا مَــرَّ مِــنْ ضَــرَّائِهِ

١٥- وقال علي الجارم:

أَغْرَقْــتُ هَــمِّي بِالــدُّمُوعِ فَخَــانَنِي وَطَفَــا، فَــوَيْلِي مِــنْ غَرِيــقٍ طَــافِ

١٦- قال علي الجندي:

وَيَــا حَنِيــنِي إِلَى المُخْتَــارِ تَغْمُــرُنِي أَضْــوَاءُ رَوْضَــتِهِ فِي الصُّــبْحِ وَالعَــتَمِ

١٧- قال الشاعر القروي:

عَـدْلُ الطَّبِيعَـةِ رَحْمَـةٌ وَالظُّلْـمُ إِنْ جَـادَتْ عَلَـى كَـفٍّ بِسِـتِّ أَصَـابِعِ

١٨- قال نزار قباني:

اعْتِيَـادِي عَلَـى غِيَابِـكِ صَـعْبٌ واعْتِيَـادِي عَلَـى حُضُـورِكِ أَصْـعَبْ

أتَمَـنَّى لَـوْ كُنْـتِ بُؤْبُـؤَ عَيْـنِي أتُـرَانِي طَلَبْـتُ مَـا لَـيْسَ يُطْلَـبْ؟

١٩- قال (شاعر الخضراء) أبو القاسم الشابي:

فَوَجَـدْتُ أَعْـرَاسَ الوُجُـودِ مَآتِمًـا وَوَجَـدْتُ فِـرْدَوْسَ الزَّمَـانِ جَحِيمَـا

٢٠- قال إيليا أبو ماضي مخاطبا (البلبل):

يَـا أَيُّهَـا الشَّـادِي المُغَـرِّدُ فِي الضُّحَى أَهْـوَاكَ إِنْ تُنْشِـدْ وإِنْ لَـمْ تُنْشِـدِ



حل التطبيق

١- جمع الشاعر بين (سكري وصحوتي)، صورته: بين اسمين، نوعه: طباق إيجاب.

٢- جمع الشاعر بين (تبكيني وتطربني)، صورته: بين فعلين، نوعه: طباق إيجاب. وجمع بين (فرح وحزن)، صورته: بين اسمين، نوعه: طباق إيجاب.

٣- جمع الشاعر بين (أوحشتني، وآلمتني)، صورته: بين فعلين، نوعه: طباق إيجاب.

كما جمع بين (عرس، ومأتم)، صورته: بين اسمين، نوعه: طباق إيجاب.

٤- جمع الشاعر بين (جهلَ، وأدركتُه)، صورته: بين فعلين، نوعه: طباق إيجاب، كما جمع بين (ابتسمتُ، وناح)، صورته: بين فعلين، نوعه: طباق إيجاب.

٥- جمع الشاعر بين (يائسا وأمل)، صورته: بين اسمين، نوعه: طباق إيجاب.

وجمع بين (يبسم وعبّاسا)، صورته: بين مختلفين، نوعه: طباق إيجاب.

٦- جمع الشاعر بين (يرقّقُها، ويضخِّم)، صورته: بين فعلين، نوعه: طباق إيجاب.

كما جمع بين (منآد، والمقوَّمُ)، صورته: بين اسمين، نوعه: طباق إيجاب.

٧- جمع الشاعر بين (خفاؤه، وظهوره)، صورته: بين اسمين، نوعه: طباق إيجاب.

كما جمع بين (مغيبه، والمشهد)، صورته: بين اسمين، نوعه: طباق إيجاب.

٨- جمع الشاعر بين (سخرية، وجدّ)، صورته: بين اسمين، نوعه: طباق إيجاب.

وجمع بين (قوي، وضعيف)، صورته: بين اسمين، نوعه: طباق إيجاب.

كما جمع بين (صحيح، وسقيم)، صورته: بين اسمين، نوعه: طباق إيجاب.

٩- جمع الشاعر بين (يُحلي، والمرّ)، صورته: بين مختلفين، نوعه: طباق إيجاب.

كما جمع بين (جناته، وعذاب)، صورته: بين اسمين، نوعه: طباق إيجاب.

١٠- جمع الشاعر بين (أفراحهم، ومناحة)، صورته: بين اسمين، نوعه: طباق إيجاب. كما جمع بين (سرورهم، وبكاء)، صورته: بين اسمين، نوعه: طباق إيجاب.

١١- جمع الشاعر بين (ذكّرتني، وناسيا)، صورته: بين مختلفين، نوعه: طباق إيجاب.

١٢- جمع الشاعر بين (جبان، وشجاع)، صورته: بين اسمين، نوعه: طباق إيجاب.

١٣- جمع الشاعر بين (أحس، ولا تحسُّهُ)، صورته: بين فعلين، نوعه: طباق سلب.

١٤- جمع الشاعر بين (السراء، وضرائه)، صورته: بين اسمين، نوعه: طباق إيجاب.

١٥- جمع الشاعر بين (غريق، وطافٍ)، صورته: بين اسمين، نوعه: طباق إيجاب.

١٦- جمع الشاعر بين (الصبح، والعَتَم)، صورته: بين اسمين، نوعه: طباق إيجاب.

١٧- جمع الشاعر بين (عدل، والظلم)، صورته: بين اسمين، نوعه: طباق إيجاب.

١٨- جمع الشاعر بين (غيابك وحضوك)، صورته: بين اسمين، نوعه: طباق إيجاب. وجمع بين (طلبت وليس يُطلب)، صورته: بين فعلين، نوعه: طباق سلب.

١٩- جمع الشاعر بين (أعراس، ومآتم)، صورته: بين اسمين، نوعه: طباق إيجاب،

كما جمع بين (فردوس، وجحيما)، صورته: بين اسمين، نوعه: طباق إيجاب.

٢٠- جمع الشاعر بين (تنشد ولم تنشد)، صورته: بين فعلين، نوعه: طباق سلب.



تمـرين

دُلَّ على الطباق، وبيّن نوعه، وبلاغته في النماذج الآتية:

قال الشاعر القروي:

وتَطْلُبُ نَفْسِي مِنْ زَمَانِي صَدَاقَةً ... وهَيْهَاتَ أَنْ تَلْقَاهُ إِلَّا مُعَادِيَا

أذَلِكَ ذَنْبِي يَا زَمَانُ بِأَنَّنِي ... قَضَيْتُ مَشِيِي فِي الوَفَا وشَبَابِيَا؟

ولِي حَسَنَاتٌ يَا زَمَانُ كَثِيرَةٌ ... فَمَا لَكَ تَرْوِيهَا عَلَيَّ مَسَاوِيَا؟

قال محمود غنيم:

إنْ تَرْتَقِ اللُّغَةُ ارْتَقَى أَبْنَاؤُهَا ... وَإِذَا هَوَتْ فَأَقِمْ عَلَيْهِمْ مَأْتَمَا

وقال محمود غنيم:

إنْ كُنْتَ يَا بَحْرُ عِمْلَاقًا فَأَنْتَ ومَا ... تَحْوِيهِ فِي مَلَكُوتِ اللهِ كَالقَزَمِ

وقال غنيم:

قَالُوا الحَضَارَةَ قُلْتُ أَسْفَرَ وَجْهُهَا ... وَبَدَتْ مَحَاسِنُهَا فَكُنَّ عُيُوبَا

قال الشاعر العراقي حيدر الحلي مادحًا:

مُحَيَّاكَ صَاحٍ يُمْطِرُ البِشْرَ دَائِمًا ... وَكَفُّكَ بِالجَدْوَى لِرَاجِيكَ غَائِمُ

قال إيليا أبو ماضي في وصف مدينة (باريس) الفرنسية:

وحُزْنُهُ أَنْ تَرَى عَيْنَاهُ جَذْلَانَا ... وَرَبَّةُ الحُسْنِ مَطْرُوقًا ومُبْتَكَرَا

قال إيليا أبو ماضي في وصف الإنسان:

خِفْـهُ قَـدِيرًا، وخِفْـهُ لا اقْتِـدَارَ لَـهُ   فَـالظُّلْمُ والغَـدْرُ إمَّـا عَـزَّ أوْ هَانَـا

سُـرُورُهُ فِي بُكَـاءِ الأكْثَـرِينَ لَـهُ   وحُزْنُـهُ أَنْ تَـرَى عَيْنَـاهُ جَـذْلانَا

وقال إيليا أبو ماضي:

وكَـذَا الحَيَـاةُ قَـدِيمُهَا وحَـدِيثُهَا   ذِكْـرَى نُسَـرُّ بِهَـا وذِكْـرَى تُـؤلِمُ

قال الشاعر المصري الكبير محمد توفيق علي:

فَوَقَفْـتُ تَلْعَـبُ بِي مَنَـاظِرُ حُسْـنِهَا   وَتَجِـدُّ فِي تَحْرِيـكِ دَاءٍ سَـاكِنِ

قال بشارة الخوري:

يَبْكِـي ويَضْـحَكُ لا حُزْنًـا ولا فَرَحًـا   كَعَاشِقٍ خَطَّ سَطْرًا فِي الهَوَى ومَحَا

قال جبران خليل جبران:

سُـكُوتِي إنْشَـادٌ وَجُـوعِي تُخْمَـةٌ وَفِي   عَطَشِـي مَـاءٌ وَفِي صَـحْوَتِي سُـكْرُ

وَفِي لَـوْعَتِي عُـرْسٌ وَفِي غُـرْبَتِي لِقًـا   وَفِي بَـاطِنِي كَشْـفٌ وَفِي مَظْهَـرِي سِـتْرُ

قال إسماعيل صبري:

إنَّ الحَيَـاةَ سُـرُورَهَا وبُكَاءَهَـا   وَنَعِيمَهَـا وَشَـقَاءَهَا سِـيَّانِ

وقال إسماعيل صبري:

فَلَيْسَ يَقِيسُ العَاقِلُ البُخْلَ بِالنَّدَى   ولَيْسَ يَقِيسُ العَاقِلُ الهَزْلَ بِالجِدِّ

قال الشاعر العراقي جعفر الحلّي:

وَمَـنْ يَصْـبِرْ فَلَـمْ يُحْـرَمْ ثَوَابًـا   وَمَـنْ يَجْـزَعْ فَلَـمْ يَـدْفَعْ حِمَامَـا

قال خليل مطران مخاطبًا (النجم):

فَيَـا لَـكَ مِـنْ صَـامِتٍ نَـاطِقٍ   وَيَـا لَـكَ مِـنْ مُعْجِـمٍ مُعْـرِبِ

قال عبد القادر المازني:

فأنْـتَ جَحِـيمِي فِي الحَيَـاةِ وَجَنَّـتِي وَأنْـتَ عَـدُوِّي وَالحَبِيـبُ المُـؤازَرُ

قال مفدي زكريا:

الصَّدْرُ ضَاقَ وَمَا اسْتَطَعْتُ فَصَاحَةً وَلَـرُبَّ صَـمْتِ الحُـرِّ أَقْـوَمُ قِـيلا

قال ناصيف اليازجي:

وَأَسْـتَبِقُ الرِّيَـاحَ إِلَيْـهِ حَـتَّى أَسِـيرَ أَمَامَهَـا وَتَسِـيرَ خَلْفِـي

قال إلياس فرحات:

وَمَـا أَنَـا إِلَّا كَالزَّمَـانِ وَأَهْلِـهِ أَعَـافُ وأَسْتَحْلِي وأَرْضَى وأَغْضَـبُ

قال محمد العيد آل خليفة واصفًا الدنيا:

بِـيضٌ وسُـودٌ وأَخْيَـارٌ وأَشْـرَارُ كَـمْ تَحْتَـوِينَ عَلَـى الأَضْـدَادِ يَـا دَارُ

قال الشاعر الجزائري محمد الأخضر السائحي:

فَشَـدْوِي نُـوَاحٌ وَنُـورِي ظَـلَامٌ وَنَـوْمِي سُـهَادٌ وَعَقْلِـي أَسِـيرُ

وقال محمد الأخضر السائحي في رثاء البشير الإبراهيمي:

أَيُّهَـا الرَّاحِـلُ المُقِـيمُ سَـلامَا طِبْـتَ فِي الأَرْضِ والسَّـمَاءِ مُقَامَـا

قال إلياس فيّاض في شأن الشَّهيد:

لا تَبْكِـهِ فَـالْيَوْمَ بَـدْءُ حَيَاتِـهِ إِنَّ الشَّـهِيدَ يَعِـيشُ يَـوْمَ مَمَاتِـهِ

قال معروف الرصافي:

قَـوْمٌ أَضَـاعُوا مَجْـدَهُمْ وتَفَرَّقُـوا فَـتَرَاهُمُ جَمْعًـا وَهُـمْ أَشْـتَاتُ

وقال الرصافي:

فَـأَرِشْ جَنَـاحِي كَـيْ أَطِـيرَ بِرِيشَـةٍ فَيَكُـونَ ظَـنِّي فِي نَـدَاكَ يَقِيـنِي

قال حافظ إبراهيم في وصف الشمس:

هِـيَ مَـوْتٌ وحَيَـاةٌ لِلْـوَرَى وَضَـلَالٌ وَهُـدًى لِلْغَـابِرِين

قال محمود سامي البارودي مفتخرًا:

وَمَـا ذَاكَ إلَّا أَنَّنِي بِـتُّ سَـاهِرًا وَنَـامُوا وَمَـا عُقْبَى التَّيَقُّظِ كَالغَفْوِ

وقال البارودي في الوصف:

فَالضَّـوْءُ مُحْتَـبِسٌ والمَـاءُ مُنْطَلِـقٌ والجَـوُّ مُنْقَـبِضٌ والظِّـلُّ مُنْبَسِـطُ

وقال البارودي مادحًا:

مُهَـذَّبُ الطَّبْـعِ مَـأْمُونُ الضَّـمِيرِإِذَا بَلَوْتَـهُ كَـانَ بَادِيـهِ كَخَافِيـهِ

وقال البارودي متغزلًا:

ولَمْ تَدْرِ ذَاتُ الخَالِ والحُبُّ فَاضِحٌ بِـأَنَّ الَّـذِي أُخْفِيـهِ غَـيْرُ الَّـذِي أُبْـدِي

قال الشاعر العراقي عبد المحسن الكاظمي في مدح البارودي، وهي من غرر الشعر:

لَـوْ كَـانَ لِلأَيَّـامِ بَعْـضُ صِـفَاتِهِ عَـاشَ الشَّـقِيُّ بِهِـنَّ وَهْـوَ سَـعِيدُ

وقال في رثاء المحامي محمد بك أبي شادي:

فَـرَاحَ طَـرْفِي طَلِيقًـا فِي مَنَابِعِـهِ وَرَاحَ قَلْـبِي أَسِـيرًا بَـيْنَ أَصْـفَادِ

قال نزار قباني: «للمَرَّةِ الأولىٰ أدْخُلُ الزَّمَنَ الشِّعْرِيَّ الجَزَائِرِيّ، أَكْتَشِفُهُ ويَكْتَشِفُنِي، أَخْتَرِقُهُ ويَخْتَرِقُنِي. عَرَفْتُ الأَزْمِنَةَ العَرَبِيَّةَ كُلَّهَا، بِضِيقِهَا واتِّسَاعِهَا، بِذَكَائِهَا وسُخْفِهَا، بارْتِفَاعِهَا وانْحِدَارِهَا، بِعَافِيَتِهَا ومَرَضِهَا، بِحَنَانِهَا وهَمَجِيَّتِهَا، بجَاهِلِيَّتِهَا وإِسْلَامِهَا، بمَآثِرِهَا وصَغَائِرِهَا، بِنِظَامِهَا وفَوْضَاهَا، بِجَدْوَاهَا وقِلَّةِ جَدْوَاهَا. إِنَّنِي أَدْخُلُ الزَّمَنَ الشِّعْرِيَّ الجَزَائِرِيَّ، عَلَّهُ يُعَوِّضُنِي عَنِ الزَّمَنِ العَرَبِيِّ الآخَرِ، الَّذِي تَرَكْتُهُ وَرَائِي في المَشْرِق، وهو يَتَرَنَّحُ ويَتَكَسَّر».

قال الدكتور طه حسين: «النَّاسُ كُلُّهُمْ يَعْلَمُونَ أنَّ حَيَاتَهُمْ مِزَاجٌ مِنَ الخَيْرِ والشَّر، ومِنَ السُّرُورِ والحُزْن، ومِنَ الرَّجَاءِ واليَأْس، ومِنَ الابْتِهَاج والابْتِئَاس، وإنَّ أدُبَاءَهُم يَخْتَلِفُونَ حِينَ يُرِيدُونَ أنْ يُصَوِّرُوا لَهُمْ هَذِهِ الحَيَاةَ فِيمَا يُنْشِئُونَ مِنْ أَدَب، فَبَعْضُهُمْ لا يُصَوِّرُ مِنَ الحَيَاةِ إلا صَفْوَهَا وعَفْوَهَا، ومَا يَشِيعُ فِيهَا مِنْ نَقَاءٍ وجَمَال، وبَعْضُهُمْ لا يُصَوِّرُ مِنَ الحَيَاةِ إلّا شَرَّهَا ونُكْرَهَا، ومَا يَجْثُمُ عَلَيْهَا مِنْ فَسَادٍ وضَلَال، وبَعْضُهُمْ يَتَوَسَّطُ بَيْنَ ذَلِك، فَيُصَوِّرُهَا شَائِقَةً رَائِقَةً حِينًا، ويُصَوِّرُهَا قَاتِمَةً بَغِيضَةً حِينًا آخَر، ولَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذَا كُلِّهِ جَدِيد، فَمِنَ الكُتَّابِ مَنْ يَتَفَاءَلُ دَائِمًا، ومِنْهُمْ مَنْ يَتَشَاءَمُ دَائِمًا، ومِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُ مِنَ التَّفَاؤُلِ والتَّشَاؤُمِ بِطَرَف».

قال ميخائيل نعيمة: «عَلَيْنَا أنْ نَقْهَرَ الغَضَبَ بالتَّسَامُح، والطَّمَعَ بالقَنَاعَة، والكِبْرِيَاءَ بالوَدَاعَة، والشَّهْوَةَ بالعِفَّة، وحُبَّ الثَّأرِ بالصَّفْح، والخُشُونَةَ باللِّين، والظُّلْمَ بالعَدْل، والرِّيَاءَ بالصِّدْق، وسُوءَ الظَّنِّ بِحُسْنِ الظَّن، والخَوْفَ بالشَّجَاعَة، والشَّكَّ بالإيمَان، والكُرْهَ بالمَحَبَّة...إلىٰ آخِرِ مَا في القَلْبِ البَشَرِيِّ مِنْ سُودِ الشَّهَوَاتِ وبِيضِهَا».

قال الولد لأبيه: «صَاحِبُ القُمَامَةِ عِنْدَ البَاب»، فقال الأب: «يَا بُنَيَّ نَحْنُ أصْحَابُ القُمَامَة، وهو صَاحِبُ النَّظَافَة».

قال عمر المختار رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَئِنْ كَسَرَ المِدْفَعُ سَيْفِي، فَلَنْ يَكْسِرَ البَاطِلُ حَقِّي».

وقال أحدهم: «لَوْ أمْطَرَتِ السَّمَاءُ حُرِّيَةً لَرَأَيْتَ بَعْضَ العَبِيدِ يَحْمِلُونَ المِظَلَّات».

قال أحد الحكماء: «لا تُعَاشِرْ نَفْسًا شَبِعَتْ بَعْدَ جُوع، فإنَّ الخَيْرَ فِيهَا دَخِيل، بَلْ عَاشِرْ نَفْسًا جَاعَتْ بَعْدَ شَبَع، فإنَّ الخَيْرَ فِيهَا أَصِيل».

وقال حكيم: «لَئِنْ تُدْخِلَ يَدَكَ في فَمِ التِّنِينِ خَيْرٌ مِنْ أنْ تَبْسِطَهَا إلىٰ غَنِيٍّ نَشَأَ في الفَقْر».

الـمُقَـابَلَة

تعريفُ المُقَابَلَة: هِيَ أنْ يَأتِيَ الأدِيبُ بلَفْظَيْنِ فأكْثَر، ثُمَّ يَأْتِيَ بِأضْدَادِهَا عَلَىٰ التَّرْتِيب، «ويُمْكِنُ أنْ يُقَالَ تَعْرِيفًا لَهَا: أنْ يَأْتِيَ المُتَكَلِّمُ بِمَعْنَيَيْن، أوْ مَعَانٍ، ثُمَّ يَأْتِيَ بَعْدَ ذَلِكَ بِمَا يُقَابِلُ مَا ذَكَرَهُ أَوَّلًا عَلَىٰ التَّرْتِيب»[١].

صُوَرُ المقابلة:

مقابلة اثنين باثنين:

ومثالها قول محمود سامي البارودي:

فَـالخَيْرُ مُنْقَـبِضٌ وَالشَّـرُّ مُنْبَسِـطٌ ... وَالجَهْـلُ مُنْتَشِـرٌ وَالعِلْـمُ مُنْـدَفِنُ

في البيت مقابلتان: حيث قابل البارودي في الشطر الأول (الخير) بـ (الشر)، وقابل (منقض) بـ (منبسط) علىٰ الترتيب، وفي الشطر الثاني قابل (الجهل) بـ (العلم)، وقابل (منتشر) بـ (مندفِن) علىٰ الترتيب.

ومنها قول إيليا أبي ماضي:

فَالجَهْـلُ أنَّى كَـانَ فَهُـوَ عُقُوبَـةٌ ... والعِلْـمُ أنَّى كَـانَ كَـانَ ثَوَابَـا

حيث قابل أبو ماضي (الجهل) بـ (العلم)، وقابل (عقوبة) بـ (ثواب) علىٰ الترتيب.

ومنها في النثر قول المنفلوطي: «كَانَتْ ابْتِسَامَتُهُ كَبَارِقَةِ السَّيْف، يَرْتَاعُ لَهَا الأَعْدَاء، ويَرْتَاحُ لَهَا الأَوْلِيَاء».

---

(١) بلاغة الطباق والمقابلة (ص ٥٧).

فقد قابل الكاتبُ (يَرْتَاع) بـ (يَرْتَاح)، وقابل (الأعْدَاء) بـ (الأوْلِيَاء) على الترتيب.

مقابلة ثلاثة بثلاثة:

ومثالها قول الشاعر الفلسطيني الشهيد عبد الرحيم محمود في قصيدته الخالدة (الشهيد):

فَإمَّا حَيَاةٌ تَسُرُّ الصَّدِيقَ وَإمَّا مَمَاتٌ يُغِيضُ العِدَى

فالشاعر قد قابل (حياة) بـ (ممات)، وقابل (تسرُّ) بـ (يغيض)، وقابل (الصديق) بـ (العدىٰ) علىٰ الترتيب.

ومنها قول الشاعر القروي:

وِصَالُكِ حُلْوٌ بَيْدَ أَنِّي أَعَافُهُ وَهَجْرُكِ مُرٌّ غَيْرَ أَنِّي أُحَاوِلُهْ

حيث قابل القروي (وصالك) بـ (هجرك)، وقابل (حلو) بـ (مرّ)، وقابل (أعافهُ) بـ (أحاوله) علىٰ الترتيب.

ومنها قول محمود سامي البارودي:

قَدْ سَرَّنِي حِينَ أَتَى مُقْبِلًا وَسَاءَنِي حِينَ مَضَى مُعْرِضَا

فقد قابل البارودي السرور بالإساءة، وقابل الإتيان بالمُضي، وقابل الإقبال بالإعراض علىٰ الترتيب.

ومنها قول الشاعر السوري أمين الجندي:

إنَّ الجَبَانَ تَعَافُهُ أَحْبَابُهُ وَأَخَا الشَّجَاعَةِ تَصْطَفِيهِ عُدَاتُهُ

قابل الجندي (الجبان) بـ (أخِي الشجاعة)، وقابل (تعافهُ) بـ (تصطفيه)، وقابل (أحبابهُ) بـ (عُداته) علىٰ الترتيب.

ومنها في النثر قول البشير الإبراهيمي عن الشباب: «أتَمَثَّلُهُ مِقْدَامًا عَلَىٰ العَظَائِمِ فِي غَيْرِ تَهَوُّر، مِحجَامًا عَنِ الصَّغَائِرِ فِي غَيْرِ جُبْن».

فقد قابل الأديب الإقدام بالإحجام، وقابل العظائم بالصغائر، وقابل التهوّر بالجبن.

مقابلة أربعة بأربعة:

ومثالها قول محمود سامي البارودي:

نَهَارُ مَشِيبٍ سَاءَنِي وَهْوَ أَبْيَضُ وَلَيْلُ شَبَابٍ سَرَّنِي وَهْوَ أَسْوَدُ

وقد كانت المقابلة بين أربعة معانٍ (النهار، والمشيب، والإساءة، والبياض)، وما يقابلها من معانٍ أربعة وهي (الليل، والشباب، والسرور، والسواد) علىٰ الترتيب.

ومنها قول ناصيف اليازجي:

كَمْ ماتَ مَنْ كانَ يُرْجَى عَيْشُهُ فقَضَى وَعَاشَ مَنْ كانَ يُخْشَى مَوْتُهُ فبَقِي

حيث قابل اليازجي (مات) بـ (عاش)، وقابل (يُرجَىٰ) بـ (يُخشَىٰ)، وقابل (عيشه)، بـ (موته)، وقابل (قَضىٰ) بـ (بقي) علىٰ الترتيب.

مقابلة خمسة بخمسة:

ومثالها قول الشاعر:

فالصُّبْحُ يَشْمَتُ بِي فَيُقْبِلُ ضَاحِكًا وَاللَّيْلُ يَرْثِي لِي فَيُدْبِرُ عَابِسَا

فقد قابل الشاعرُ (الصُّبح) بـ (اللَّيل)، وقابل (يَشْمَت) أيْ يفرح بـ (يرثي)، وقابل (بِي) بـ (لِي)، وقابل (يُقْبِل) بـ (يُدْبِر)، وقابل (ضاحكًا) بـ (عابسًا) علىٰ الترتيب.

مقابلة ستة بستة:

ومثالها قول الشاعر:

علىٰ رَأْسِ عَبْدٍ تَاجُ عِزٍّ يُزِينُهُ وَفِي رِجْلِ حُرٍّ قَيْدُ ذُلٍّ يُشِينُهُ

فقد جيء أولا بـ (علىٰ)، و(رأس)، و(عبد)، و(تاج)، و(عزّ)، و(يزينه)، ثم جيء بما يقابلها: (فِي)، و(رِجل)، و(حرّ)، و(قيد)، و(ذلّ)، و(يشينه) علىٰ الترتيب.

بلاغة المقابلة:

المقابلة تضفي علىٰ المعنىٰ حُسْنًا وبهاءً، لِمَا لها من أثر جليل في تثبيت المعنىٰ، وتقويته، فهي ترفع من قدر الكلام، وتكسبه رونقا، ورقيّا، وتقوّي الوشائج بين الألفاظ، والمعاني، وتجلو الأفكار، وتوضّحها، شريطة أنْ تجريَ مجرىٰ الطبع، أمّا إذا تكلّفها الأديب، واستكره قريحته لأجلها، فإنها تكون سببا في غموض المعنىٰ، والتباسه، واضطراب الأسلوب، وتعقيده. «ومن صفات الأدب الجيد تلاحم أجزائه، وائتلاف ألفاظه، حتّىٰ كأنّ الكلام بأسره مِنْ حسن الجوار، وشدة التلاحم كلمة واحدة، وحتّىٰ كأنّ الكلمة بأسرها حرف واحد، وكما يتمُّ هذا التلاحم عن طريق التشابه، يتمُّ كذلك عن طريق التّضاد، لأنّ المعاني يستدعي بعضها بعضا، فمنها ما يستدعي شبيهَه، ومنها ما يستدعي مُقَابِلَه، بل إنَّ الضدَّ أكثرُ خُطُورًا علىٰ البال من الشبيه، وأوضح في الدلالة علىٰ المعنىٰ منه»(١).

وعلىٰ هذا، فكلما أتت المقابلة في الكلام بِدَعْوَةٍ من المعنىٰ، لا تطفّلا عليه، كانت أنجح في أداء وظيفتها في تحسين المعنىٰ. «وتضاف إلىٰ المقابلة جمالية أخرىٰ، وهي تحقيق التوقّع، فالمتلقّي حين يدرك التقابلَ بين المعنيين الأوّلَيْن في المقابلة، يُعِدُّ نفسه لتلقّي التّقابلات الأخرىٰ، فإذا تحقَّقَ له ذلك التنبّؤ أحسَّ بشيء من المُتعة، هي المتعة التي نحسُّها حين تتحقق تنبُّؤاتُنا»(٢).

(١) علم البديع عبد العزيز عتيق (ص ٩٠، ٩١).
(٢) المفصل في علوم البلاغة العربية (ص ٥٦٣).



التطبيق

دُلَّ علىٰ المقابلة، وبين صورتها في النماذج البلاغية الآتية:

١- قال الشاعر القروي:

وَلَكَــمْ عَــاشَ فِي الكَرَامَــةِ نَــذْلٌ ... وَلَكَــمْ مَــاتَ فِي الهَــوَانِ كِــرَامُ

٢- وقال القروي:

قَدْ يُحْسَبُ المَرْءُ نَذْلًا وَهُوَ مُنْتَصِرٌ ... وَقَــدْ يُعَــدُّ شَــرِيفًا وَهُــوَ مُنْهَــزِمُ

٣- وللشاعر القروي أيضًا:

فلَــمْ أَرَ كالعَــادَاتِ شَــيْئًا بِنَــاؤُهُ ... يَسِــيرٌ وَأَمَّــا هَدْمُــهُ فَعَسِــيرُ

٤- قال معروف الرصافي متغزلًا:

فِهَــيَ إنْ أَقْبَلَــتْ رَأَيْــتَ ابْتِسَــامًا ... وَهِــيَ إنْ أَدْبَــرَتْ رَأَيْــتَ قُطُوبَــا

تُضْحِكُ الجَــوَّ فِي الصَّبَاحِ طُلُوعًــا ... ثُــمَّ تُبْكِيــهِ فِي المَسَــاءِ غُرُوبَــا

٥- وقال معروف الرصافي:

قَــدْ أَنْهَضَــتْهُمْ إلَى العَلْيَــاءِ وَحْــدَتُهُمْ ... وَاليَــوْمَ أَقْعَــدَهُمْ عَنْهَــا أَن انْقَسَــمُوا

قَــدْ زَالَ رُوحُ التَّفَــادِي مِــنْهُمُ وَنَمَــا ... رُوحُ التَّعَــادِي إلَى أَنْ مَاتَــتِ الهِمَــمُ

٦- قال الشاعر السوري بطرس كرامة مادحًا:

سَــــهْلٌ عَلَــــى أَصْــــحَابِهِ لَــــيِّنٌ ... صَــعْبٌ عَلَــى أَعْدَائِــهِ لَا يَلِــينْ

٧- قال خليل مطران في تحية مصر:

عَاشَــتْ، وَهَــلْ لِلشَّــعْبِ إلَّا حَالَــةٌ ... يَحْيَــا عَزِيــزًا أَوْ يَمُــوتُ ذَلِــيلَا؟

٨- وقال خليل مطران في وصف أخلاق سعد زغلول:

قَدْ نَاصَرَ العَدْلَ فِيهِ فَهْوَ مُنْتَصِرٌ وَهَاجَمَ البَغْيَ فِيهِ فَهْوَ مُنْهَزِمُ

٩- وقال خليل مطران:

مَنْسُوجَةٌ أَيَّامُهُ مِنْ خَيْرِ مَا يُبْدِي النَّهَارُ وَيَكْتُمُ الإظْلَامُ

١٠- قال ناصيف اليازجي:

يُعِيدُ سَلَامَةً وَيَكُفُّ حَرْبًا وَيَهْدِمُ بَاطِلًا وَيُقِيمُ حَقًّا

١١- قال الشاعر اللبناني نعمة الله الحاج في (سلاح البكاء):

سِلَاحُ ضَعِيفُ العَزْمِ لَيْسَ بِنَافِعٍ لِيَدْفَعَ غُرْمًا أَوْ لِيَجْلِبَ مَغْنَمَا

١٢- قال محمود سامي البارودي:

يَفِرُّ مِنَ السُّلْوَانِ وَهْوَ يُرِيحُهُ وَيَأْوِي إِلَى الأَشْجَانِ وَهْيَ تَكُدُّهُ

١٣- وللبارودي:

فَمَا أَسِفْتُ لِبُؤْسٍ بَعْدَ مَقْدِرَةٍ وَلَا فَرِحْتُ بِوَفْرٍ بَعْدَ إِقْلَالِ

١٤- قال مصطفى صادق الرافعي:

وَضِيَاءُ النَّهَارِ فِيهَا ابْتِسَامٌ وَظَلَامُ المَسَاءِ فِيهَا بُكَاءُ

١٥- قال حافظ إبراهيم:

العِلْمُ فِي البَأْسَاءِ مُزْنَةُ رَحْمَةٍ وَالجَهْلُ فِي النَّعْمَاءِ سَوْطُ عَذَابِ

١٦- قال إيليا أبو ماضي:

أَحْبِبْ فَيَغْدُو الكَوْنُ كُوخًا نَيِّرًا أَبْغِضْ فَيُمْسِي الكَوْنُ سِجْنًا مُظْلِمَا

١٧- قال محمود غنيم:

عَرَفَ اللهَ فِطْرَةً لَا اكْتِسَابَا فَرَجَا عَفْوَهُ وَخَافَ عِقَابَهْ

١٨- قال محمد العيد آل خليفة بعد إلقاء القنبلة النووية في الحرب العالمية الثانية:

نَشَأَ العِلْمُ مَلَاكًا طَاهِرًا وَاسْتَحَالَ اليَوْمَ شَيْطَانًا رَجِيمَا

أَصْبَحَ اليَوْمَ جَحِيمًا بَعْدَمَا كَانَ بِالأَمْسِ عَلَى الأَرْضِ نَعِيمَا



حل التطبيق

١- قابل القروي (عاشَ) بـ (ماتَ)، وقابل (الكرامة) بـ (الهوان)، وقابل (نذل) بـ (كرام) علىٰ الترتيب. صورتها: مقابلة ثلاثة بثلاثة.

٢- قابل القروي (نذلا) بـ (شريفا)، وقابل (منتصر) بـ (منهزم) علىٰ الترتيب. صورتها: مقابلة اثنين باثنين.

٣- قابل القروي (بناؤه) بـ (هدمه)، وقابل (يسير) بـ (عسير) علىٰ الترتيب. صورتها: مقابلة اثنين باثنين.

٤- قابل الرصافي في البيت الأول (أقبلتْ) بـ (أدبرتْ)، وقابل (ابتساما) بـ (قطوبا) علىٰ الترتيب. صورتها: مقابلة اثنين باثنين.

وفي البيت الثاني قابل (تضحك) بـ (تبكيه)، وقابل (الصباح) بـ (المساء)، وقابل (طلوعًا) بـ (غروبًا) علىٰ الترتيب. صورتها: مقابلة ثلاثة بثلاثة.

٥- قابل الرصافي في البيت الأول (أنهضتهم) بـ (أقعدهم)، وقابل (وحدتهم) بـ (انقسموا) علىٰ الترتيب. صورتها: مقابلة اثنين باثنين.

وفي البيت الثاني قابل (زال) بـ (نما)، وقابل (التفادي) بـ (التعادي) علىٰ الترتيب. صورتها: مقابلة اثنين باثنين.

٦- قابل كرامة (سهل) بـ (صعب)، وقابل (أصحابه) بـ (أعدائه)، وقابل (ليِّن) بـ (لا يلين) علىٰ الترتيب. صورتها: مقابلة ثلاثة بثلاثة.

٧- قابل مطران (يحيا) بـ (يموت)، وقابل (عزيزا) بـ (ذليلا) علىٰ الترتيب. صورتها: مقابلة اثنين باثنين.



٨- قابل مطران (ناصر) بـ (هاجم)، وقابل (العدل) بـ (البغي)، وقابل (منتصر) بـ (منهزم) علىٰ الترتيب. صورتها: مقابلة ثلاثة بثلاثة.

٩- قابل مطران (يبدي) بـ (يكتم)، وقابل (النهار) بـ (الإظلام) علىٰ الترتيب. صورتها: مقابلة اثنين باثنين.

١٠- قابل اليازجي (يعيد) بـ (يكفُّ)، وقابل (سلامة) بـ (حربا) علىٰ الترتيب. صورتها: مقابلة اثنين باثنين، كما قابل (يهدم) بـ (يقيم)، وقابل (باطلا) بـ (حقًّا) علىٰ الترتيب. صورتها: مقابلة اثنين باثنين.

١١- قابل نعمة الله الحاج (يدفع) بـ (يجلب)، وقابل (غُرما) بـ (مغنما) علىٰ الترتيب. صورتها: مقابلة اثنين باثنين.

١٢- قابل البارودي (يفرُّ) بـ (يأوي)، وقابل (السلوان) بـ (الأشجان)، وقابل (يريحه)، بـ (تكدُّه) علىٰ الترتيب. صورتها: مقابلة ثلاثة بثلاثة.

١٣- قابل الشاعر (أسفتُ) بـ (فرحتُ)، وقابل (بوس) بـ (وفر)، وقابل (مقدرة) بـ (إقلال) علىٰ الترتيب. صورتها: مقابلة ثلاثة بثلاثة.

١٤- قابل الرافعي (ضياء) بـ (ظلام)، وقابل (النهار) بـ (المساء)، وقابل (ابتسام) بـ (بكاء) علىٰ الترتيب، صورتها: مقابلة ثلاثة بثلاثة.

١٥- قابل حافظ إبراهيم (العلم) بـ (الجهل)، وقابل (البأساء) بـ (النعماء)، وقابل (رحمة) بـ (عذاب) علىٰ الترتيب. صورتها: مقابلة ثلاثة بثلاثة.

١٦- قابل إيليا أبو ماضي (أحببْ) بـ (أبغض)، وقابل (يغدو) بـ (يمسي)، وقابل (نيّرا) بـ (مظلما) علىٰ الترتيب. صورتها: مقابلة ثلاثة بثلاثة.

١٧- قابل غنيم (رجا) بـ (خاف)، وقابل (عفوه) بـ (عقابه) علىٰ الترتيب. صورتها: مقابلة اثنين باثنين.

١٨- قابل محمد العيد في البيت الأول (ملاكا) بـ (شيطانا)، وقابل (طاهرا) بـ (رجيما) علىٰ الترتيب. صورتها: مقابلة اثنين باثنين. وفي البيت الثاني قابل (أصبح) بـ (كان)، وقابل (اليوم) بـ (الأمس)، وقابل (جحيما) بـ (نعيما) علىٰ الترتيب. وصورة المقابلة: مقابلة ثلاثة بثلاثة.





التمرين الأول

حدّد المقابلة، وبين صورتها، وبلاغتها في النماذج الآتية:

قال محمود سامي البارودي:

وَلَكِنَّنِي بَاقٍ عَلَى مَا يَسُرُّنِي ... وَيُغْضِبُ أعْدَائِي ويُرْضِي أَصَادِقِي

فَحَسْرَةُ بُعْدِي عَنْ حَبِيبٍ مُصَادِقٍ ... كَفَرْحَةِ بُعْدِي عَنْ عَدُوٍّ مُمَاذِقِ

وقال البارودي داعيًا ربَّهُ:

فَقَرِّبْ لِيَ الْخَيْرَ الَّذِي أَنَا رَاغِبٌ ... وَبَاعِدْنِيَ الشَّرَّ الَّذِي أَنَا حَاذِرُ

فَلَيْسَ لِمَنْ تُقْصِيهِ فِي النَّاسِ نَافِعٌ ... وَلَيْسَ لِمَنْ تُدْنِيهِ فِي النَّاسِ ضَائِرُ

وقال في الفخر:

نُغِيرُ علَىَ الأبْطَالِ والصُّبْحُ بَاسِمٌ ... ونَأْوِي إِلَى الأدْغَالِ واللَّيْلُ جَانِحُ

وقال البارودي:

فَالعَدْلُ مُنْبَسِطٌ وَالجَوْرُ مُنْقَبِضٌ ... وَالأَمْنُ مُنْسَدِلٌ وَالخَوْفُ مُنْشَمِرُ

قال محمود غنيم:

قَدْ يُلْحِقُ الخَيْرَ بِي غَيْرِي فَيُسْخِطُنِي ... وَتُلْحِقُ الشَّرَّ بِي نَفْسِي فَأَرْضَاهُ

قال بشارة الخوري:

يَعِيشُ اللَّئِيمُ الغِرُّ وَهْوَ مُعَزَّزٌ ... وَيَقْضِي الكَرِيمُ الحُرُّ مُنْخَفِضَ القَدْرِ

قال إلياس فرحات:

فَالخَيْرُ فِي البَعْضِ بِالتَّهْذِيبِ مُكْتَسَبٌ ... والشَّرُّ فِي الكُلِّ طَبْعٌ غَيْرُ مُكْتَسَبِ

قال خليل مطران:

وَمَا انْقَبَضَتْ إِلَّا عَنِ الشَّرِّ كَفُّهُ وَمَا انْبَسَطَتْ إِلَّا لِخَيْرٍ أَنَامِلُهْ

وقال خليل مطران في مساوئ المدينة:

حَيْثُ الرَّذَائِلُ فِي مَرَافِلِ عِزَّةٍ حَيْثُ الفَضَائِلُ فِي غَلَائِلِ هُونِ

وقال مطران:

وَارَحْمَتَاهُ لِقَوْمٍ فَارَقُوا النِّعَمَا مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ لَهُمْ واسْتَقْبَلُوا النِّقَمَا

قال إيليا أبو ماضي:

فَكَمْ شَقِيَتْ فِي ذِي الحَيَاةِ فَضَائِلُ وكَمْ نَعِمَتْ فِي ذِي الحَيَاةِ عُيُوبُ

وقال إيليا أبو ماضي:

وتَنَامُ فِي صَدْرِ الشَّجِيِّ هُمُومُهُ ويَفِيقُ فِي قَلْبِ الحَزِينِ سُرُورُهُ

قال الشاعر اللبناني عبد الحميد الرافعي في الحكمة:

وَمَا يَذْكُرِ المَعْرُوفَ إِلَّا أَخُو وَفَا وَلا يُنْكِرِ النَّعْمَاءَ إِلَّا كَفُورُهَا

قال حافظ إبراهيم:

يُحْسِنُ الظَّنَّ بِهِ أَعْدَاؤُهُ حِينَ لَا يُحْسَنُ ظَنٌّ بِقَرِيبْ

قال شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا:

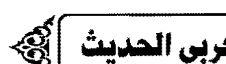
وَأَنَا الغَرِيبُ المُسْتَهَانُ بِأُمَّةٍ تَضَعُ الكِرَامَ وَتَرْفَعُ السُّفَهَاءَ

قال الشاعر الجزائري الشيخ أحمد سحنون:

فَخَابَ الطُّغَاةُ وَفَازَ الهُدَاةُ وَمَنْ رَبِحَ الحَقَّ لَمْ يَخْسَرِ

قال الشاعر القروي:

بِنْتَ العُرُوبَةِ هَيِّئِي كَفَنِي أَنَا عَائِدٌ لأَمُوتَ فِي وَطَنِي



أأجُودُ مِنْ خَلْفِ البِحَارِ لَهُ ... بِالرُّوحِ ثُمَّ أضِنُّ بِالبَدَنِ؟

وقال القروي:

فَجُنْحُ اللَّيْلِ مُبْيَضٌّ لَهِيبًا ... وَوَجْهُ الصُّبْحِ مُسْوَدٌّ عُجَاجَا

قال أحمد شوقي:

إذَا حَلُمْتَ فَالشَّرُّ وَسْنَانُ حَالِمٌ ... وإنْ غَضِبْتَ فَالشَّرُّ يَقْظَانُ مُغْضِبُ

وقال شوقي واصفا:

فَشُرُوقُهَا الأَمَلُ الحَبِيبُ لِمَنْ رَأَى ... وغُرُوبُهَا الأَجَلُ البَغِيضُ لِمَنْ دَرَى

قال مصطفىٰ صادق الرافعي:

فَوَاللهِ إنَّ الحُبَّ خَيْرُ مَحَاسِنِي ... وَوَاللهِ إنَّ الحُبَّ شَرُّ عُيُوبِي

قال معروف الرصافي:

رُبَّ لَيْلٍ بالوَصْلِ كَانَ ضِيَاءً ... ونَهَارٍ بِالهَجْرِ كَانَ ظَلَامَا





التمرين الثاني

حدّد المقابلة، وبين صورتها في النماذج النثرية الآتية:

قال أحمد أمين مخاطبًا «شجرة الورد»: «خَرَجْتِ مِنْ ظَلَامِ الأَرْضِ إِلَىٰ نُورِ السَّمَاء، ومِنْ مَقْبَرَةِ البَاطِنِ إِلَىٰ مَسْرَحِ الظَّاهِر، ومِنْ سُكُونِ الجُذُورِ إِلَىٰ لَعِبِ الغُصُون، ومِنْ عُبُوسِ المَنْبَتِ إِلَىٰ ضَحِكِ الثَّمْرَة، وهَكَذَا كَانَ أَخُوكِ الإنْسَان، خَضَعَ لِلْقَدَرِ كَمَا تَخْضَعِين، وثَارَ كَمَا تُثُورِين، فَاجْتَمَعَ لَهُ جَبْرُ الطَّبِيعَةِ واخْتِيَارُ الإِرَادَة، وعَمِلَ عَلَىٰ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ ظُلُمَاتِ الاسْتِعْبَادِ إِلَىٰ نُورِ الحُرِيَّة، وبَلَغَ مِنْ تَطَوُّرِهِ أَنْ كَادَ يَكُونُ مَلَكًا كَرِيمًا، أَوْ شَيْطَانًا رَجِيمًا، وكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلُقَ لَه».

وقال أحمد أمين: «أَيُّهَا اللَّيْل.. كَمْ لَفَفْتَ ثَوْبَكَ عَلَىٰ مُتَنَاقِضَات: حُزْنٍ عَلَىٰ مَيِّت، وسُرُورٍ لِمِيلَاد، ومُحِبٍّ مَهْجُورٍ يَشْكُو طُولَك، ومُحِبٍّ وَاصِلٍ يَشْكُو قِصَرَك، وعَابِدٍ مُتَهَجِّدٍ يُنَاجِي رَبَّه، وفَاسِقٍ فَاجِرٍ يَبْغِي حَظَّه، ودَمْعَةٍ حَرَّىٰ تَسْبلُهَا أُمٌّ وَلْهَىٰ بِجَانِبِ سَرِيرِ مَرِيض، وضِحْكَةٍ صَارِخَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ سِكِّيرٍ عِرْبِيد، ومَجْلِسِ أُنْسٍ تَتَجَاوَبُ فِيهِ الأَقْدَاحُ والأَوْتَار، ويَلْبَسُ فِيهِ اللَّيْلُ ثَوْبَ النَّهَار، بَيْنَ بُدُورٍ وكَاسَاتٍ تَدُور، ومَجْلِسِ بُؤسٍ تَتَجَاوَبُ فِيهِ الزَّفَرَاتُ والحَسَرَات، وتَتَسَاقَطُ فِيهِ النُّفُوس، قَدْ تَلَظَّىٰ الهَمُّ فِي ضُلُوعِهِم، فَهُمْ بَيْنَ كَاسِفِ بَال، ومُنْقَبِضِ صَدْر، ولَهِيفِ قَلْب».

وقال أحمد أمين ناقدًا: «كَانَ البَارُودِي أَوْ شَوْقِي يَقُولُ القَصِيدَة، فَيَقُومُ نَاقِدٌ مُعْتَرِضٌ يَفْضَحُ مَعَايِبَهَا، ومَادِحٌ مُسَانِدٌ يُبَيِّنُ مَحَاسِنَهَا، ومِنْ هَذَا وذَاكَ يَسْتَفِيدُ الأَدِيب، ويَرْقَىٰ الأَدَب».

قال العلّامة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي: «العِيدُ في نَظْرَةِ الإسْلامِ مُلْتَقىٰ عَوَاطِفَ تتقَارَب، بَيْنَ طَوَائِفَ كَانَتْ في أمْسِهِ تتحَارَب، فَفِيهِ يَتنَزَّلُ الغَنِيُّ المُتْرَف، ويَصْعَدُ الفَقِيرُ المُعْدَم، فَيَلْتقِيَانِ في عَالَمٍ مِنَ العَوَالِمِ المُثْلَىٰ، يَتجَلَّىٰ العِيدُ بِجَلالِهِ عَلَىٰ الغَنِيّ، فَيَنْسَىٰ تَأَلُّهَهُ بالمَال، ويَذْكُرُ أنَّ كُلَّ مَنْ حَوْلِهِ إخْوَانُهُ أوّلا، وأعْوَانُهُ ثَانِيا، فَيَمْحُو إسَاءَةَ عَامٍ بإحْسَانِ يَوْم، ويَتجَلَّىٰ عَلَىٰ الفَقِيرِ بِجَمَالِه، فَيَنْسَىٰ مَتَاعِبَ العَام، ومَكَارِهَ العَام، وتَمْحُو بَشَاشَةُ العِيدِ مِنْ نَفْسِهِ آثَارَ التَّبَرُّمِ والضِّيق، وتَنْهَزِمُ في نَفْسِهِ دَوَاعِي اليَأْسِ علىٰ حِينِ تَنْتَصِرُ بَوَاعِثُ الرَّجَاء».

وقال ناصحًا الشَّبَاب بالعمل: «خَبِّرُونِي أيُّهَا الفِتْيَان، مَاذَا يَكُونُ مَصِيرُ الرَّجُلِ الفَقِيرِ إذَا قَعَدَ عَنِ العَمَلِ انْتِظَارًا لِمِيرَاثٍ يَهْبِطُ عَلَيْهِ مِنَ السَّمَاء، أوْ كَنْزٍ يَقْفِزُ إلَيْهِ مِنْ جَوْفِ الأرْض؟».

وقال الإبراهيمي عن حال أمتنا العربية: «إنَّنَا يا أبْنَائِي كُنَّا أوَّلَ مَنْ نَام، وآخِرَ مَنِ اسْتَيْقَظ».

قال مصطفىٰ لطفي المنفلوطي: «لَوْلا السُّرُورُ في سَاعَةِ المِيلاد، مَا كَانَ البُكَاءُ في سَاعَةِ المَوْت، ولَوْلا الوُثُوقُ بِدَوَامِ الغِنَىٰ، مَا كَانَ الجَزَعُ مِنَ الفَقْرِ، ولَوْلا فَرْحَةُ التَّلَاق، ما كَانتْ تَرْحَةُ الفِرَاق».

قال ميخائيل نُعيمة: «النَّاسُ عَلَىٰ سَفَر، وإنْ تَسْأَلْنِي: مِنْ أَيْنَ وإِلَىٰ أَيْن؟ أُجِبْكَ: مِنْ غَيَاهِبِ الجَهْل، إِلَىٰ سَنَاءِ المَعْرِفَة، ومِنْ غَفْلَةَ الغَرِيزَةِ المُسْتَسْلِمَة، إِلَىٰ وَعْيِ الإرَادَةِ الخَلَّاقَة، ومِنْ عُبُودِيَّةِ المَوْت، إِلَىٰ حُرِيَّةِ الحَيَاة».

وقال نُعيمة: «عُدَّةُ السَّلْمِ الصِّدْق، وعُدَّةُ الحَرْبِ الكَذِب، عُدَّةُ السَّلْمِ الأمَانَة، وعُدَّةُ الحَرْبِ الخِيَانَة، عُدَّةُ السَّلْمِ الثِّقَة، وعُدَّةُ الحَرْبِ الشَّك، عُدَّةُ السَّلْمِ المَحَبَّة، وعُدَّةُ الحَرْبِ البُغْض، عُدَّةُ السَّلْمِ العَطَاء، وعُدَّةُ الحَرْبِ النَّهْب، عُدَّةُ السَّلْمِ التَّعْمِير، وعُدَّةُ الحَرْبِ التَّخْرِيب، عُدَّةُ السَّلْمِ الإيمَانُ بالإنْسَان، وعُدَّةُ

الحَرْبِ الكُفْرُ باللهِ وبالإنْسَانِ مَعًا، عُدَّةُ السَّلْمِ الحَيَاة، وعُدَّةُ الحَرْبِ المَوْت».

قال طه حسين: «مِنْ أَخَصِّ خَصَائِصِ الأَدَبِ أَنَّهُ عَصِيٌّ مُتَمَنِّعٌ مُتَشَدِّدٌ فِي التَّمَنُّعِ حِينَ يَدْعُوهُ الدَّاعِي، ثُمَّ هُوَ بَعْدَ ذَلِكَ رَضِيٌّ طَيِّعٌ سَمْحٌ حِينَ لا يَدْعُوهُ دَاعٍ».





حُسْنُ التَّعْلِيل

تعريفُ حُسْن التَّعْلِيل: هُوَ أنْ يَسْتَبْعِدَ الأدِيبُ صَرَاحَةً، أوْ ضِمْنًا عِلَّةَ الشَّيْءِ الحَقِيقِيَّةَ والمَعْرُوفَه، ويَأْتِيَ بِعِلَّةٍ أدَبِيَّةٍ طَرِيفَةٍ تُنَاسِبُ الغَرَضَ الَّذِي يَقْصِدُ إلَيْه، وذَلِكَ إمَّا عَنْ طَرِيقِ التَّشْبِيهِ أَوْ دُونَه. أو «هُوَ أنْ يَدَّعِيَ نَاثِرٌ أو شَاعِرٌ لِوَصْفٍ مِنَ الأَوْصَافِ عِلَّةً مُنَاسِبَةً غَيْرَ حَقِيقِيَّة، عَلَىٰ جِهَةِ التَّخْيِيلِ والتَّظَرُّف»[1].

شواهد حسن التعليل:

قال الشاعر المصري محمد توفيق علي في غرض الوصف:

عَلَى الشَّفَقِ النُّجُومُ تَلُوحُ لَمَّا ... تَبَدَّى البَدْرُ ذُو الحُسْنِ العَجِيبِ

كَنِسْوَةِ يُوسُفٍ لَمَّا تَجَلَّى ... فَقَطَّعْنَ الأَنَامِلَ مِنْ كُرُوبِ

يعلل الشاعر في هذين البيتين ظاهرتين طبيعيتين، وهما ظاهرة الشفق، وظاهرة رؤية النجوم في الليل، حيث أنكر الشاعر العلل الحقيقية أو العلمية لهاتين الظاهرتين، وادعىٰ علة أخرىٰ عن طريق التشبيه، مفادها أنَّ البدرَ يوسفُ عليه السلام، وأنَّ النجومَ نسوةُ العَزِيز لَمَّا تجلَّىٰ لهن يوسف بشطر جماله أكبرْنهُ، وقطَّعْن أناملهن بالسِّكين، وما تلك الحمرة التي تملأ الآفاق سوىٰ مشهد الدماء التي تُراق!

وقال محمد توفيق علي يصف جمال مصر وحَلاوة نِيلها:

كَمْ غَادَةٍ يَا نِيلُ فِيكَ دَفِينَةٍ؟ ... تِلْكَ الحَلَاوَةُ مِنْ ثَنَايَا الغِيدِ

---

(١) الفنون البديعية (ص ٩٨).

في هذا البيت يطلق الشاعرُ العنانَ لخياله، ويستبعد ضمنيا العلة الحقيقية لعذوبة نهر النيل، ويأتيك بعلة لا يمكنك أن تسمع، أو تقرأ عنها سوىٰ في الحكايات والأساطير القديمة، علىٰ غرار حكايات (ألف ليلة وليلة)، وهي قصة حوريات البحر، وجنيّات النهر، فالشاعر يزعم أن أعماق نهر النيل كانت تغصُّ بتلك الحوريات الفاتنة، لذلك فماؤه عذبٌ سلسبيل، معسولٌ برُضاب تلك العرائس الساحرة!

قال محمود غنيم في وصف جمال مدينة (طرابلس) في لبنان:

مَا لَاطَمَ البَحْرُ شَطًّا مِنْ شَوَاطِئِهَا ... لَكِنَّهُ أَوْسَعَ الشُّطْآنَ بِالقُبَلِ

نَهَارُهَا مِنْ وُجُوهِ الغِيدِ مُنْتَزَعٌ ... وَاللَّيْلُ مَا بِعُيُونِ الغِيدِ مِنْ كَحَلِ

ظاهرة المد والجزر ظاهرة طبيعية يومية، فالمدن الساحلية تتعرض لظاهرة المد في البحار مرتين في اليوم، (مرة كل اثنتي عشرة ساعة)، وذلك كنتيجة لسحب جاذبية القمر للمياه نحوه، هذا تفسير العلماء، ولكن للشعراء كذلك تفسيرهم، فشاعرنا ينكر صراحةً العلة الحقيقية لهذه الظاهرة، ويلتمس علة أخرىٰ تبدو أكثر إقناعا بالنسبة له: إنه يفسر ذلك بكون مدينة طرابلس (بجاذبيتها) قد شغفت البحر حبا، فجمالها المستمدُّ من وجوهِ الغيدِ الحسانِ وعيونِها قد فتن البحر، وملأ قلبه وجدًا، ولذلك أوسع شواطئها بالقبل!

وقريب منه قول علي الجارم في وصف رمل شاطئ (الإسكندرية):

تَرَامَى المَوْجُ فَوْقَ ثَرَاهُ صَبًّا ... وَكَمْ صَبٍّ تَمَنَّى لَوْ تَرَامَى

قال مصطفىٰ صادق الرافعي في غرض الغزل:

لا تَحْسَبِي أَنْجَمَ هَذَا الدُّجَى ... أَشْرَكَهَا فِي حُبِّنَا مُشْرِكُ

وَهَذِهِ أَسْنَانُهُ تَضْحَكُ ... وَهَذِهِ أَسْنَانُهُ تَضْحَكُ

الشاعر كما ترىٰ يُنكر العلة الحقيقية لرؤية النجوم في الليل، تلك العلة التي يؤكدها علماء النفس المعاصر من خلال قانون نفسي، يتعلق بقوانين الإدراك البصري، حيث يؤكد هذا القانون علىٰ أن النجوم البيضاء تبدو في الليل بشكل بارز، ومتميز عن خلفيّة السماء السوداء، نقول إن الشاعر قد تغاضىٰ عن تلك العلة العلمية، وادّعىٰ عن طريق التشبيه أنّ النجوم أسنان الليل مسرورًا بهواه، جذلًا بلقائه بمحبوبه، وهي علة قائمة علىٰ التخيّل، تناسب الغرض الذي يقصد إليه الشاعر.

وفي معنىٰ قريبٍ من هذا يقول محمود غنيم يصف ليلَ زفاف الملك فاروق:

لَـمْ تَبْـدُ أَنْجُمُـهُ لِتُرْسِـلَ ضَـوْءَهَا ... لَكِـنْ لِتَشْـهَدَهُ مِـنَ الشُّـهَّادِ

ولله در الرافعي حين أنشد متغزلًا:

فَتَـاةٌ أتَـتْ مِـنْ جَنَّـةِ الخُلْـدِ لِلْـوَرَى ... وَفِي ثَوْبِهَـا رِيـحُ المَلَائِـكِ طِيـبُ

أَلَـيْسَ بِخَـدَّيْهَا مِـنَ الحُـورِ قُبْلَـةُ الـ ... وَدَاعِ ودَمْـعٌ لِلْـوَدَاعِ رَطِيـبُ؟

أراد الشاعر تأكيد أمْرٍ وتقويته، وهو نَيْلُ المحبوبةِ كفايتَها من الجمال، فشبهها بالحور العين، لذلك استبعد العلة الحقيقية لتورّد الخدين، واخترع علة من تأليف خياله، فقد علل حمرة خدَّيْ محبوبته بأنها أثرٌ لقبلة فراق طويل من بنات جنسها في جنة الخلد، وعلل المسحة التي تكون علىٰ الوجنات بدموعها الرطيبة، حين فارقت الأهل والوطن!

ومن التعليلات العجيبة قول مصطفىٰ صادق الرافعي في مليحة رآها في محطة القطار:

كَيْـفَ هَـامَ القِطَـارُ حِـينَ رَآهَـا ... أَتُـرَى حُسْـنُهَا اسْـتَهَامَ القِطَـارَا؟

لَـيْسَ فِي قَلْبِـهِ سِـوَى الشَّـوْقِ لَكِـنْ ... كَـتَمَ الـدَّمْعَ فَاسْـتَحَالَ بُخَـارَا

وإذَا صَاحَ صَيْحَةَ البَيْنِ فِينَا تَرَكَ العَاشِقِينَ طُرًّا حَيَارَى
سَارَ يَطْوِي جَوَانِبَ الأَرْضِ طَيًّا وَلَوِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَطِيرَ لَطَارَا

انظر إلىٰ الشاعر كيف يتجاهل العلل الحقيقية، ويعلل البخار الذي يتطاير من القطار بدموعٍ تغلي تحت نار الشوق، حتىٰ تبلغ درجة الغليان والتبخّر، ثم انظر إليه كيف يعلل صيحة القطار المعهودة بصيحة المحبّين المكتوين بنار الفراق.

قال إيليا أبو ماضي في وصف الغوّاصات الحربيّة السوداء:

وَأَظُنُّهَا فَقَدَتْ حَبِيبًا أَوْ أَخًا وَلِذَلِكَ ارْتَدَتِ السَّوَادَ شِعَارَا
تَغْشَى المِيَاهَ لَعَلَّ مَا فِي قَلْبِهَا يُطْفَى، فَتَزْدَادُ الضُّلُوعُ أَوَارَا

فالشاعر قد علل اللون الأسود للغواصات، لا علىٰ أنه لون حقيقيّ، بل علىٰ أنه لون الحداد، فهي ترتدي لباس السواد، حزنًا علىٰ فَقْدِ الإخوة والأحباب، ثم علل مكانها الطبيعي في البحر تعليلًا لطيفًا: فهي تقصد البحار، لتخمد ما بقلبها من نار.

قال ناصيف اليازجي:

رَأَيْتُ دَمِي بِوَجْنَتِهَا فَأَرْخَتْ ذُؤَابَتَهَا تُشِيرُ إِلَى الحِدَادِ

يعترف الشاعر أن غادته قد أصابته في مقتل، لذا تراه يعلل حُمرة خديها بأنه دمه الذي أُريق بسيوف لحاظها، وبعد فِعلتها يقول الشاعر بأن المحبوبة أرخت شعرها الأسود الفاحم مشيرةً به إلىٰ إعلان الحداد.

قال الشاعر السوري بطرس كرامة في حسناء تلبس فستانا أحمر:

وَرْدِيَّةُ الخَدِّ بِالوَرْدِيِّ قَدْ خَطَرَتْ تَمِيسُ تِيهًا وَتُثْنِي القَدَّ إِعْجَابَا
لَمْ يَكْفِ قَامَتَهَا الهَيْفَاءَ مَا فَعَلَتْ حَتَّى اكْتَسَتْ مِنْ دَمِ العُشَّاقِ أَثْوَابَا

يدَّعي الشاعر أن هذا الفستان الأحمر ليس الثوب المفضل في خزانة هذه الحسناء، إن ذلك اللون ما هو إلا دم العشاق الأبرياء، سفكته رماح القامة الهيفاء، وأهدرتهُ سيوف الأعين النجلاء.

قال عبد الحميد الرافعي يصف ليلة أنس ويتحسر علىٰ سرعة انقضائها:

بَكَتْ سَاعَاتِهَا الأَقْمَارُ فَانْظُرْ   جَبِينَ البَدْرِ أَصْبَحَ كَاللَّطِيمِ

يتحسر الرافعي علىٰ ليلته التي مضتِ سريعا، فنراه يبالغ في وصف حزنه عليها، وليس هذا الحزن مقتصرا عليه فحسب، بل إنه قد شمل الكون بأفلاكه، وهو منظر البدر، فهو يدّعي أن كلفة البدر، أي الكدرة التي تظهر علىٰ وجهه إنما سببها كثرة اللطم من فراق تلك الليلة التي قضت نحبها سريعًا.

وقريب من هذا المعنىٰ قول الشاعر العراقي جعفر الحلي متغزلًا:

وَالبَدْرُ لَمَّا أَنْ رَأَى وَجْهَهُ   رَأَيْتُ فِيهِ كَلَفًا بَيِّنَا

قال الشاعر العراقي معروف الرصافي في قصيدة (غريق دجلة):

يَا مَنْ قَضَى بَيْنَ المِيَاهِ غَرِيقَا   أَذْكَى فِرَاقُكَ فِي القُلُوبِ حَرِيقَا

قَدْ كُنْتَ فِينَا دُرَّةً فَلِأَجْلِ ذَا   تَخِذَ الحِمَامُ لَكَ المِيَاهَ طَرِيقَا

الشاعر لم يعلل الغرق تعليلًا حقيقيًّا، بل اخترع علة بديعة من وحي خياله: فالغريق قصد مكانَه الطبيعي، لأنّه درّةٌ ثمينة، والبحرُ بالدُّرِّ أوْلىٰ من الثرىٰ.

قال الشاعر اللبناني عمر الأنسي في نادلة حسناء:

فَاحْمَرَّ كَأْسُ الطَّلَا مِنْ خَدِّهِ خَجَلًا   حَتَّى تَصَبَّبَ مِنْ رَاوُوقِهِ عَرَقَا[1]

علل الشاعر لونَ الخمر، والحَبَابَ - وهي تلك الفقاقيع التي تعلو الشراب - تعليلا أدبيا فيه شيء من الابتكار: فاللون الأحمر ليس اللون الطبيعي للخمر،

(١) الراووق: القدح.

بل إن الخمر لما رأت خدَّ الحسناء خجلت واحمر لونها، والدليل علىٰ الخجل هو ذلك العرق الذي يتصبب من جبينها!

وقريب منه قول إسماعيل صبري في الموضوع نفسه:

وَغَزَالٍ أحْلَى مِنَ الأمْنِ يَسْعَى بِكُؤوسِ الغَرَامِ والصَّهْبَاءِ
مُذْ رَأَتْ خَدَّهُ المُدَامُ عَلَاهَا عَرَقٌ مِنْ حَبَابِهَا لِلْحَيَاءِ

وأشرف من هذين القولين وأطهر قول محمد توفيق علي في تعليل لون (أم الخبائث):

إنْ قِيلَ حُمْرَةُ كَأْسِهَا فَلِأَنَّهَا مُلِئَتْ دَمًا مِنْ مُهْجَةِ السَّكْرَانِ

معللًا لونها الأحمر بدم قلوب المدمنين عليها. وأكدَّ ذلك بقوله فيها:

لَئِنْ شَبَّهُوا كَاسَاتِهَا بِكَوَاكِبٍ فَكَمْ طَالَعَتْنَا بِالنُّحُوسِ الكَوَاكِبُ
وَإِنْ عَصَرُوهَا مِنْ خُدُودِ كَوَاعِبٍ فَكَمْ مِنْ رَزَايَا جَرَّهُنَّ الكَوَاعِبُ

قال حافظ إبراهيم في مليحة رأىٰ خالًا علىٰ غرّتها:

سَأَلْتُهُ: مَا لِهَذَا الخَالِ مُنْفَرِدًا وَاخْتَارَ غُرَّتَكَ الغَرَّا لَهُ سَكَنَا؟
أجَابَنِي خَافَ مِنْ سَهْمِ الجُفُونِ ومِنْ نَارِ الخُدُودِ لِهَذَا هَاجَرَ الوَطَنَا

فموقع الخال في غُرَّة المحبوبة حسْب رواية الشاعر ليس إلّا خوفًا، وهروبًا من وقع السهام، وحرارة النيران التي تطلقها جيوش الجمال المحتشِدة في معسكر وجه الحسناء، تلك علة تخيلية ابتكرها حافظ إبراهيم، يريد من خلالها تأكيد صفة الجمال الذي يطغىٰ علىٰ وجه المحبوب.

قال بشارة الخوري:

قَتَلَ الوَرْدُ نَفْسَهُ حَسَدًا مِنْكِ وَأَلْقَى دِمَاهُ فِي وَجْنَتَيْكِ

الشاعر قد جحد العلة الحقيقية والمعروفة لتورّد الخد، والتمس لذلك علة أخرىٰ، وهي أن الورد غار من خد المحبوب، فاغتال نفسه، وطرح دماءه علىٰ وجنتي محبوبه.

وأبلغ منه قول الشاعر اللبناني عمر الأنسي مضمِّنًا:

وَلَقَدْ نَظَرْتُ دَمِي عَلَى خَدِّ الَّذِي أَجْرَى دَمِي مِنْ مُقْلَتَيْهِ بِأَسْهُمِ

فَسَأَلْتُ: لِمَ لَا يَسِيلُ فَقَالَ لِي: «مِنْ عَادَةِ الكَافُورِ إِمْسَاكُ الدَّمِ»

ومن أمثلة حسن التعليل في النثر قول جبران: «أَتَىٰ الخَرِيف، واصْفَرَّتْ أَوْرَاقُ الأَشْجَار، ونَثَرَهَا الهَوَاءُ كَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُكَفِّنَ بِهَا أَزْهَارًا قَضَتْ لَوْعَةً عِنْدَمَا وَدَّعَهَا الصَّيْف». لاحظ كيف تغاضىٰ جبران عن العلة الطبيعية لاصفرار أوراق الخريف وتساقطها، وعلّل الظاهرةَ تعليلًا رومانسيًا لطيفًا، وذلك بتشبيه تلك الأوراقِ بالكفن الذي أعدّته الطبيعةُ لجثامين الأزهار التي قَضَتْ نَحْبَهَا صبابةً وأسًىٰ علىٰ فراق حبيبها فصلِ الصيف!

بلاغة حسن التعليل:

في حسن التعليل خيالٌ لافت، وذكاءٌ خارق، فهو حلبة للابتكار والإبداع، وميدان للإنشاء والاختراع، «فهو نوع من التفنن في طرق التعبير - وبخاصة الشعري- يساق بطريقة فنية، فيها الحذق والمهارة في استخدام اللغة الشعرية حتىٰ يُعطَىٰ شبها من الحق، ورونقا من الصدق، ليكسبه نوعًا من الاستطراف والملاحة، وليمثل لك ما ليس بواقع كأنه واقع، كما تكمن وظيفتُه في إيقاظ خيال القارئ، وإثارة وجدان السامع، وإذكاء عاطفته، وإدخال السرور عليه، وغير ذلك من الوظائف النفسية»[١].

---

(١) من جماليات المعنىٰ: حسن التعليل الدكتور عيد محمد شبايك (ص ١١٤).

ويؤكد الجرجاني علىٰ سحر هذا الفن البديعي، ويرىٰ أن هذا السحر يتكثّف حين يأتي حسن التعليل في قالب التشبيه، ذلك «أن الشعر - حسبه - لا يتقيد بمنطق العقل، أو قوانين المادة، فربما جاء التعليل الشعري موافقا للحقيقة، وربما جاء مخالفا لها، ولا غضاضة في ذلك، فالشعر يكفي فيه التخييل، والذهاب بالنفس إلىٰ ما ترتاح إليه من التعليل»(١). لذلك فحسن التعليل عند الجرجاني «يشهد للشعر بما يُطيل لسانَه من الفخر، ويُبِينُ جملةَ ما للبيان من القُدرة والقَدْر»(٢).



(١) المرجع نفسه (ص ١٢١، ١٢٢).

(٢) المفصل في علوم البلاغة العربية (ص ٥٩٨).

تطبيق

حدد حسن التعليل، واشرحه في النماذج البلاغية الآتية:

١- قال محمد توفيق علي:

وَيَا شَفَقُ اسْتَبَحْتَ الحُسْنَ حَتَّى قَطَفْتَ الوَرْدَ مِنْ خَدَّيْ حَبِيبِي

٢- وقال محمد توفيق علي:

فَقُلْ لِلشَّمْسِ جَيْشُكِ قَدْ تَلَاشَى أَمَامَ كَتَائِبِ البَدْرِ النَّجِيبِ

وَهَذِي رَايَةُ التَّسْلِيمِ نَجْمٌ تَأَلَّقَ حِينَ مَالَتْ لِلْغُرُوبِ

٣- قال مصطفى صادق الرافعي مشبها وجه مَن يهوىٰ بالصباح:

عَذَرْتُ فُؤَادًا رَآكِ فَطَارَا كَذَا الطَّيْرُ إِمَّا لَمَحْنَ النَّهَارَا

٤- قال محمود غنيم حين بدأ العملُ في بناء السد العالي، وبدأت الصخور بالانفجار:

مَا أَعْوَلَ الصَّخْرُ لَكِنْ قَدْ شَدَا طَرَبًا كَمَا شَدَا الطَّيْرُ فَوْقَ الأَيْكِ وَالبَانِ

٥- وقال محمود غنيم في وصف النسيم:

فَكَمْ رِسَالَةِ حُبٍّ جَاءَ يَحْمِلُهَا كَالبَرْقِ وَهْوَ حَثِيثُ الخَطْوِ عَجْلَانُ

قَالُوا: عَلِيلٌ، فَقُلْنَا: هَلْ إِلَيْهِ سَرَى مِنَ المُحِبِّينَ أَنَّاتٌ وَأَشْجَانُ؟

٦- وقال محمود غنيم:

قُلْتُ يَوْمًا لِلدِّيكِ سَاعَةَ صَاحَا: هَلْ تُغَنِّي لَنَا نَشِيدَ الصَّبَاحِ؟

قَالَ: لَا، بَلْ نَعَيْتُ يَوْمًا رَاحَا وَمَحَاهُ مِنْ صَفْحَةِ العُمْرِ مَاحِ

٧- قال ناصيف اليازجي مادحًا:

لَوْ لَمْ يَكُنْ صَدْرُهُ بَحْرًا لَمَا بَرَزَتْ ... لِمَشْهَدِ النَّاسِ مِنْ أَلْفَاظِهِ الدُّرَرُ

٨- وقال راثيًا:

وَفَرِيدَةٌ فِي الرَّمْسِ قَدْ دُفِنَتْ وَكَمْ ... مِنْ مَعْدِنٍ تَحْتَ التُّرَابِ تَسَتَّرَا

٩- وقال اليازجي يتغزل:

رَأَيْتُ قَضِيبَ الخَيْزُرَانَةِ ذَابِلًا ... فَأَيْقَنْتُ أَنَّ الخَيْزُرَانَ حَسُودُهَا

١٠- وله في الغزل:

وَقَدْ أَدْرَكَتْهُ خَجْلَةُ الفَلِّ وَالكَلِّ ... خَطَرَتْ وَمَاسَتْ كَالنَّزِيفِ الشَّارِبِ

١١- وقال اليازجي:

لَقَدْ شَبَّهُوهَا بِالمُهَنَّدِ فَانْثَنَى ... وَقَدْ أَدْرَكَتْهُ خَجْلَةُ الفَلِّ وَالكَلِّ

١٢- قال إيليا أبو ماضي:

فَضَرَّجَ خَدَّيْهَا احْمِرَارٌ كَأَنَّمَا ... تَصَاعَدَ مِنْ قَلْبِي إِلَى خَدِّها الوَجْدُ

١٣- وقال إيليا أبو ماضي في وصف حبوب البُنّ:

كَأَنَّ الجِنَّ قَدْ نَفَثَتْ رُؤَاهَا ... عَلَى أَوْرَاقِهَا فِي ضَوْءِ فَجْرِ

أَلَسْتَ تَرى إِلَيْهَا كَيْفَ تَطْغَى ... وَكَيْفَ تَثُورُ إِنْ مُسَّتْ بِجَمْرِ؟

كَأَنَّ نَخِيلَ مِصْرٍ قَدْ حَسَاهَا ... وَإِلَّا مَا اهْتِزَازُ نَخِيلِ مِصْرِ؟

١٤- قال الشاعر القروي في قصيدة (حبة القمح):

وَكَأَنَّمَا الشَّقُّ الَّذِي فِي وَسْطِهَا ... لَكَ قَائِلٌ: نِصْفِي يَخُصُّ أَخَاكَ

١٥- قال علي الجندي في وصف (خَالٍ) انحرف عن الخدِّ إلىٰ الثغر:

عَجِبْتُ لِخَالٍ مَالَ عَنْ صَحْنِ خَدِّهَا ... إِلَى ثَغْرِهَا! وَالخَالُ أَوْلَى بِهِ الخَدُّ

فَقُلْتُ لَهُ: مَا كَانَ أَحْسَنَ أَنْ تُرَى ... بِوَجْنَتِهَا مِسْكًا يَحُفُّ بِكَ الوَرْدُ!

فَقَالَ: هَجَرْتُ الخَدَّ لَا عَنْ كَرَاهَةٍ ... وَلَكِنْ لِأَنَّ الثَّغْرَ يَجْرِي بِهِ الشَّهْدُ

١٦- قال حافظ إبراهيم مادحًا، ومعللًا قلة سقوط المطر بمصر:

عُنِيتَ بِحَالَةِ الفَلَّاحِ حَتَّى ... تَهَيَّبَ أَنْ يَزُورَ الأَرْضَ مَحْلُ

وكَيْفَ يَزُورُ أَرْضًا سِرْتَ فِيهَا ... وَأَنْتَ الغَيْثُ لَمْ يُمْسِكْهُ بُخْلُ

١٧- قال الشاعر السوري بطرس كرامة معللًا أثرًا ظاهرًا في حاجب حسناء:

لِفَرْطِ مَا رَشَقَتْ مِنْ قَوْسِ حَاجِبِهَا ... نَبْلًا، فَأَثَرُ وَضْعِ النَّبْلِ فِيهِ أَثَرُ

١٨- قال الشاعر الجزائري مفدي زكريا في رثاء ملك المغرب محمد الخامس:

أَفِي السَّمَاوَاتِ عَرْشٌ أَنْتَ تُنْشِدُهُ؟ ... فَرُحْتَ تَسْأَلُ فِي الفِرْدَوْسِ جِبْرِيلَا؟





حل التطبيق

١- يتجاهل الشاعر العلة الحقيقية لظاهرة الشفق عند الغروب، ويقدم تعليلا لا يخلو من ابتكار وابتداع، ذلك أن الشفق قد اختلس حُمرة لونه مِنْ (نُعْمَانِ) خدَّيْ الحبيب، مستبيحًا بذلك حسنهُ، ومنتحلًا جماله!

٢- يرىٰ الشاعر في هذين البيتين أن الشمس لم تجنح إلىٰ المغيب، وأن البدر والنجوم لم يظهرا للسبب الكوني المعروف عند العلماء، لكنَّ جيوش الشمس خاضت حربًا شرسة ضد كتائب البدر، فكان النصر حليف الأخير، وما النجوم سوىٰ رايات الاستسلام البيضاء تلوّح بها جنود الشمس وهي تجرُّ أذيال الهزيمة.

٣- إنّ العصافير لا أحد يلومها إنْ هي أبصرت ضوء النهار، فهجرت أعشاشها، ورفرفت بأجنحتها في السماء، وكذلك شاعرنا لم يلُمْ قلبه قطّ حين فرَّ من قفص صدره، ورفرف في سماء الوجه الصبوح.

٤- حين تشيّدُ مصرُ العظيمة سدًّا عظيما يروّض أعظم أنهار الدنيا، ويكبح جماح فيضانه، فمن حقِّ شعراء مصر أن يتغنوا، ويبدعوا، تمامًا مثلما فعل محمود غنيم في تعليل صوت انفجار صخور السد، فمن قال إنه عويلٌ ودويُّ انفجار فقد جانب الصواب، إن الصخر إنما كان يرتّل أعظم آيات الفخر والمجد، ويغني أخلد لحن في الوجود.

٥- اعتلَّ النسيم حسب رواية الشاعر لأنه كان رسولَ المحبِّين، ألمَّ به ما ألمَّ بهم من ألَمٍ وحنين!



٦- استبعد الشاعر العلة الحقيقية لصيحة الديك، وعللها بكونها بكاءً علىٰ قِسْمٍ من العُمر قضىٰ، ويومٍ من الحياة مضىٰ.

٧- علل الشاعر صدور الألفاظ من فم الممدوح بتشبيهها بالدرر المنثورة، وتشبيه الممدوح بالبحر الذي في أحشائه الدُّرُّ كامن.

٨- علل الشاعر دفن الفقيد في جوف الثرىٰ بتشبيهه بالمعادن والذخائر الثمينة المدفونة في مكانها الطبيعي تحت التراب.

٩- قضيب الخيزران لم يكن ليصيبه الذبول- الذي هو من طبيعته أصلًا - لولا رؤية قدّ المحبوبة الحسناء، ورشاقة قامتها الهيفاء، لذاك أدركه الحسد، فكان من الذابلين.

١٠- علل الشاعر مشية المتغزل بها في تمايلها وتبخترها بتشبيهها بمشية الثمل السكران، المنتشي بشرب الآثام، فهذه مشيةُ صريعِ الصهباء، وتلك خَطْرَةُ نَزِيفِ اللَّمياء.

١١- علل الشاعر شكل السيف تعليلًا لطيفًا، فالواصفون حين طمِعوا في شتم شقيقة البدر قاسُوا قامتها الهيفاء بالمهند ظلما، فأدركه الخجل من قسوة هذا الحكم الجائر، لذلك انثنىٰ معتذرا!

١٢- علل الشاعر احمرار خدَّي المحبوبة بكونه حُممَ غرامٍ يقذفُ بها بركانُ قلبه، لتصبَّ في خدي المحبوب.

١٣- اعترف إيليا أبو ماضي بعشقه للقهوة العربية، وسحرها البابليّ، فقال: إن سحرها مصدره الجنّ، فالجن هي التي نفثت سِحرها علىٰ أوراق أشجارها ساعة السَّحَر، فلذلك نراها تهتز وتثور إن مسها الجمر، وعلل اهتزاز نخيل مصر بكونه قد أصابه السِّحر لمّا احتسىٰ رشفة من (بنت القَفْر).

١٤- بدافع من نزعته الإنسانية في الشعر يعلل القروي الشق الذي يقسم حبة القمح إلىٰ نصفين بكون النصف الأول يخص الإنسان، والنصف الآخر يخص أخاه الإنسان.

١٥- علل الشاعر علي الجندي هجرة الخال من موطنه في الخدّ، واستيطانه في الثغر تعليلا ظريفا، فالخال لم يهجر الخدّ كراهة، أي لا خشية من سهام الجفون، ولا خوفا من نيران الخدود، مثلما علل ذلك حافظ إبراهيم، بل لأن الثغر يفيض منه الشهد، ولا عجب ممن رأىٰ عسلا فحامَ علىٰ العسل!

١٦- لاحظ أن حافظ إبراهيم قد أنكر ولو ضمنيا الأسباب الطبيعية لقلة المطر بمصر، والتمس سببا آخر، وهو أن الغيث يخجل أن ينزل بأرض وقع فيها جودُ الممدوح، فالمطر لا يستطيع أن يجاري الممدوح في البذل والسخاء والكرم.

١٧- تلمَّسَ الشاعر علة أدبية لذلك الأثر في الحاجب، فهو ليس أثرا طبيعيا، ولم يحدث مصادفة، إنما ذلك الحاجب قوس رماية، وتلك الأهداب نبال، فمن كثرة السهام التي رشقتها هذه النَّبالَةُ الحسناءُ من قوس حاجبها بدا هذا الأثر شاهدًا علىٰ كثرة الرمي.

١٨- تعليلٌ عجيب، لم يسبق إليه شاعرٌ في رثاء مَلِك: الفقيدُ قدْ أتمَّ مُلكه في الأرض، فسمَا إلىٰ الملكوت الأعلىٰ يطلب مُلكه هناك، فلذلك راح يسأل عنه جبريلَ في جنة الفردوس!



تمرين

حدّد حسن التعليل، واشرحه فيما يأتي:

قال الشاعر المصري الكبير محمد توفيق علي في غرض الوصف:

وَاشْهَدِ الشَّمْسَ مَزَّقَتْ حُجُبَ الغَيْـ ـمِ وَأَبْـدَتْ لَنَـا مُحَيًّـا جَمِيلَا

أَتُرَاهَـا وَقَـدْ تَهَـادَتْ إِلَى الغَـرْ بِ عَلَـى مَوْعِـدٍ تُـوَافِي خَلِيلَا؟

إِنَّهَـا فِي سَـمَائِهَا تَعْشَـقُ البَـدْ رَ وَتَبْغِـي إِلَى اللِّقَـاءِ سَبِيلَا

وقال محمد توفيق علي معلّلًا أيضًا غروب الشمس:

كَـأَنَّ الجَـوَّ يَهْـوَى الشَّـمْسَ لَكِـنْ نَـأَتْ عَنْـهُ وَسَـارَتْ لِلْمَغِيـبِ

فَجَـاءَ طُلُولَهَـا يَبْكِـي عَلَيْهَـا دَمًـا لَهَفًـا عَلَـى البَـاكِي الكَئِيـبِ

وَنَادَاهَـا فَلَـمْ تَرْجِـعْ وَلَكِـنْ أَرَتْـهُ إِشَـارَةَ الكَـفِّ الخَضِيـبِ

وقال معلِّلًا حديث المحبوبة:

مَـا عَـابَ ثَغْـرَكَ أَنْ تَـدَافَعَ لَفْظُـهُ مُتَسَـابِقًا كَالخَيْـلِ فِي مِضْـمَارِ

ثَغْـرٌ تَزَاحَمَـتِ الحُـرُوفُ لِرَشْـفِهِ كَالنَّحْـلِ هَـامَ عَلَـى جَـنَى النَّـوَّارِ

قال محمود غنيم واصفًا الربيع في الريف، ومعللًا ميلان الأشجار جهةَ الجداول:

مَالَتْ عَلَى المَاءِ الغُصُونُ كَمَا انْحَنَتْ أُمٌّ تُقَبِّـلُ طِفْلَهَـا المَحْبُوبَـا

وقال غنيم مداعبًا صديقه وقد سلبهُ بعض اللصوص سبعة جنيهات:

أَقْسَمْتُ مَا سَلَبَتْ تِلْكَ النُّقُودَ يَدٌ لَكِنَّهَـا هَرَبَـتْ مِـنْ جَيْبِـكَ الخَـالِي

قال بشارة الخوري مرحبًا بصديقه شاعر الكويت ووزير معارفها الشيخ عبد الله الجابر الصباح في أثناء زيارته للبنان:

يُرَحِّبُ لُبْنَانُ مَعِي بِحَبِيبِهِ ... أَلَمْ تَسْمَعِ الأَطْيَارَ فَوْقَ الأَرَائِكِ؟

قال الشاعر العراقي جعفر الحلي:

وَقُدُودُ الغُصُونِ إنْ هِيَ مَالَتْ ... فَهِيَ شَوْقًا إلَيْكَ مُنْعَطِفَاتُ

وقال في شأن صديقه وقد صعدت حَيَّةٌ إلىٰ حجره، وكانا يتدارسان القرآن الكريم:

لا تَحْسَبُوا حَيَّةَ الأَرْضِ الَّتِي الْتَصَقَتْ ... فِي حِجْرِ سَيِّدِنَا رَامَتْ بِهِ فَزَعَا

لَكِنَّهَا مِنْ صُنُوفِ الجِنِّ قَدْ سَمِعَتْ ... بِالوَحْيِ يُتْلَى فَجَاءَتْهُ لِتَسْتَمِعَا

وقال بعد أن نفض يديه من تراب مرثيه:

نَفَضْنَا يَدَيْنَا لَا لِتُرْبٍ أَصَابَهَا ... وَلَكِنَّهَا وَاللهِ صَفْقَةُ خَاسِرِ

وقال في وصف (الساعة) في أيامه:

فَكَمْ لَامَسْتُهَا مِنْ غَيْرِ عِشْقٍ ... فَتَسْتُرُ وَجْهَهَا لَا عَنْ حَيَاءْ

وقال معللًا رثاءه:

إنْ قِيلَ مُنْشِئُكُمْ أَجَادَ فَإنَّنِي ... لَمْ أَرْثِكُمْ حَتَّى يُقَالَ أَجَادَ

لَكِنَّ قَلْبِي أُوقِدَتْ نِيرَانُهُ ... فَجَرَى اللِّسَانُ لِيُطْفِيَ الإيقَادَ

وقال راثيًا:

كَأَنَّ لَحْدَكَ إذْ ضُمِّنْتَهُ صَدَفٌ ... حَوَاكَ يَا دُرَّةَ الغَوَّاصِ وَانْطَبَقَا

قال حيدر الحلي مشيرًا إلىٰ زيارة أحد أصدقائه في ليلة فيها عواصف ورياح:

سَعِدَتْ مِنْ عَشِيَّةٍ زَارَ فِيهَا ... قَمَرُ المَجْدِ رَبْعَنَا فَأَضَاءَ

وَأَظُنُّ الرِّيَاحَ قَدْ حَسَدَتْنَا   فَهْيَ وَجْدًا تَنَفَّسُ الصُّعَدَاءَ

وقال في مدح صديقٍ شاعر:

وَهُوَ بَحْرٌ وَلِهَذَا فَمُهُ   يَقْذِفُ اللُّؤْلُؤَ فِي النَّادِي رَطِيبَا

وقال متغزلًا:

هَلْ عَلِقَتْ فِي خَدِّهَا جَمْرَةٌ   فَاحْتَرَقَ العَنْبَرُ مِنْ خَالِهَا؟

وقال مادحًا:

وَلَيْسَ بِالسُّحْبِ مِنْ بُخْلٍ إِذَا انْقَشَعَتْ   لَكِنَّهَا لِحَيَاءٍ مِنْهُ تَسْتَتِرُ

قال الشاعر المصري عبد الله فريج في مدح الخديوي عباس:

رَأَى الغَيْثُ جَدْوَاهُ فَمِنْ غِيرَةٍ بَكَى   وَسَحَّ دُمُوعًا مِنْ عُيُونِ السَّحَائِبِ

قال الشاعر السوري أمين الجندي:

دَرَى حَاتِمٌ لَوْ أَنْ تَأَخَّرَ بَعْدَهُ   لَمَا ذَكَرَتْهُ النَّاسُ فَاسْتَعْجَلَ النَّدَى

قال بطرس كرامة عند ظهور مرض (الحصبة) في جسم ممدوحه:

قَالُوا حَبِيبُكَ مَحْصُوبٌ فَقُلْتُ لَهُمْ   لَا لَا، فَقَوْلُكُمْ زُورٌ وَبُهْتَانُ

وَإِنَّمَا جِسْمُهُ مُذْ رَاقَ جَوْهَرُهُ   الصَّافِي فَنَقَّطَهُ بِالحُسْنِ مَرْجَانُ

وقال بطرس كرامة:

إِنْ أَنْكَرَتْ عَيْنَاهُ سَفْكَ دَمِي فَلِي   مِنْهُ الشَّهَادَةُ بِالبَنَانِ المُنْخَضِبِ

وقال كرامة:

قَلْبِي بِوَجْنَتِهَا الحَمْرَاءِ مُنْغَمِزٌ   وَشَاهِدَيَّ أَثَرٌ فِي الخَدِّ مَغْمُوزُ

قال الشاعر اللبناني إلياس عبد الله طعمة:

أَمِنْ قَتْلِهِ العُشَّاقَ خَصْرُكَ نَاحِلُ   كَأَنَّ عَلَيْهِ دَمْعَ مَنْ هُوَ رَاحِلُ؟

وقال إلياس عبد الله طعمة في حسناء ترتدي عقدا من اللؤلؤ:

وَهَـذَا عِقْـدُكِ الغَـيْرَانُ مِثْلِـي يَـذُوبُ، فَحَبُّـهُ حَـبٌّ صَـغِيرُ

قال حافظ إبراهيم في حريقٍ رآهُ بمنزل صديقه عبد الله أباظة، وكان كريمًا جوادًا:

عَجِـبَ النَّـاسُ مِنْـكَ يَـابْنَ سُـلَيْمَا نَ وَقَـدْ أَبْصَـرُوا لَـدَيْكَ عَجِيبَـا

أَبْصَـرُوا فِي حِمَـاكَ غَيْثًـا ونَـارًا ذَاكَ يَهْـمِي وَتِلْـكَ تَـذْكُو لَهِيبَـا

وَنَسُـوا أَنَّ جُـودَ كَفِّـكَ غَيْـثٌ ظَـلَّ لِلْمُـرْتَجِي الـوُرُودَ قَرِيبَـا

وَهِـيَ ضَـيْفٌ أَصَـابَهُ عَنَـتُ الـدَّهْ رِوَأَلْفَـى هَـذَا الفِنَـاءَ رَحِيبَـا

فَـأَتَى يُـبْرِدُ الغَلِيـلَ بِقَطْـرٍ مِـنْ نَـدَى سَـيِّدٍ يُـوَاسِي الغَرِيبَـا

وقال حافظ في مدح أحمد شوقي:

لَئِنْ عَجِبُوا أَنْ شَابَ شَوْقِي ولَمْ يَزَلْ فَـتِيَّ الهَـوَى وَالقَلْـبِ جَـمَّ التَّمَتُّـعِ

لَقَدْ شَـابَ مِنْ هَـوْلِ القَـوَافِي ووَقْعِهَـا وَإِتْيَانِـهِ بِـالمُعْجِزِ المُتَمَنِّـعِ

قال حفني ناصف متغزلًا:

فَبَـانَ بِطَلْعَـةٍ كَالبَـدْرِ حُسْـنًا وَمَـاسَ بِقَامَـةٍ كَـالخَيْزُرَانِ

يَطِـيرُ فُـؤَادِيَ المُضْـنِي إِلَيْـهِ وَلَا عَجَـبٌ فَـذَلِكَ غُصْـنُ بَـانِ

وقال واصفًا جريدة (الجِنَان) التي أسسها بطرس البستاني ومخاطبًا مؤسسها:

إِلَيْـكَ صَـحِيفَةٌ نُشِـرَتْ حَـدِيثًا وَأَغْنَـتْ بِالسَّـمَاعِ عَـنِ العَيَـانِ

كَفِـرْدَوْسٍ حَـوَى ثَمْـرًا شَـهِيًّا لِـذَاكَ دَعَوْتَهَـا بِاسْـمِ الجِنَـانِ

وقال حفني ناصف متغزلًا:

نَأَيْـتَ عَـنِّي بِـلَا ذَنْـبٍ وَمِلْـتَ إِلَى الـ وَاشِينَ وَالغُصْنُ مِنْ عَادَاتِهِ المَيْلُ

قال محمود غنيم معللًا مرضًا ألـمَّ بساقه، وقصَّرَ خطواته:

وَإنْ تَقْصُرْ خُطَايَ فَرُبَّ خَطْوٍ قَصِيرٍ نَمَّ عَنْ خُلُقٍ كَرِيمِ
أَمَا يَمْشِي عِبَادُ اللهِ هَوْنًا كَمَا فِي آيَةِ الذِّكْرِ الحَكِيمِ؟
أَمَا تَعْدُو الأَرَانِبُ، والهُوَيْنَا تُمَثِّلُ مِشْيَةَ الأَسَدِ الشَّتِيمِ؟

وقال غنيم راثيًا:

قَالُوا: اسْتَحَالَ رَمَادًا، قُلْتُ: لَا عَجَبٌ أَلَمْ يَكُنْ ذِهْنُهُ كَالجَمْرِ مُتَّقِدَا؟

قال صبري مشيرًا إلىٰ فيضان ماء النيل وحُمرة مائه في عهد الخديوي إسماعيل:

فَهَلِ النِّيلُ كَانَ نَاذِرَ نَذْرٍ ثُمَّ وَفَّاهُ إذَا أَتَى فِي بَهَاءِ
وَدَرَى بِالتَّقْصِيرِ مِنْهُ فَأَضْحَى مِنْ حَيَاءٍ بِوَجْنَةٍ حَمْرَاءِ؟

قال أمين نخلة في رثاء شاعر:

إنْ تَرَ الرَّجْفَ حِينًا فِي أَنَامِلِهِ فَذَاكَ مِنْ طُولِ مَسِّ الوَحْيِ لِلْقَلَمِ

قال خليل مطران في حسناء لسعتْها نحلة:

أفْتَدِي مَنْ لَسَعَتْهَا نَحْلَةٌ تَطْلُبُ وِرْدَا
ظَنَّتِ الوَجْنَةَ وَرْدًا فَأَتَتْ تَرْشُفُ شَهْدَا

وقال مطران في امرأة حسناء تتقلد خاتمًا فصُّهُ ياقوتةٌ حمراءُ:

حَذَارِ لِقَلْبِكَ مِنْ لَحْظِهَا فَمَا فِيهِ مِنْ رَحْمَةٍ لِلْمُحِبِّ
أَلَمْ تَرَ فِي يَدِهَا خَاتَمًا بِهِ قَطْرَةُ الدَّمِ فِي شَكْلِ قَلْبِ؟

قال علي الجارم في الرثاء:

فَزِعَتْ لَكَ الأَقْلَامُ فَوْقَ طُرُوسِهَا وَمِنَ المِدَادِ لَبِسْنَ ثَوْبَ حِدَادِ

قال محمود سامي البارودي:

وَمَا زَادَ مَاءُ النِّيلِ إِلَّا لِأَنَّنِي وَقَفْتُ بِهِ أَبْكِي فِرَاقَ الحَبَائِبِ

قال ناصيف اليازجي مادحًا:

كَادَتْ مَنَازِلُنَا تَلْقَاهُ رَاقِصَةً لَكِنَّهَا حَفِظَتْ قُدَّامَهُ الأَدَبَا



اللَّفُّ والنَّشْر

تعريف اللَّفِّ والنَّشْر: يُسمَّىٰ كذلك الطَّيَّ والنَّشر. أَمَّا اللَّفُ فَيُشَارُ بِهِ إِلَىٰ مُتَعَدِّدٍ يَذْكُرُهُ البَلِيغ، حَيْثُ يَأْتِي بِهِ أَوَّلًا، وأمَّا النَّشْرُ فيُشَارُ بِهِ إِلَىٰ المُتَعَدِّدِ اللاّحِق، الَّذِي يَتَعَلَّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُ بِوَاحِدٍ مِنَ السَّابِقِ دُونَ تَعْيين. بعبارة أخرىٰ: «اللَّفُّ والنَّشْرُ هُوَ ذِكْرُ مُتَعَدِّدٍ عَلَىٰ جِهَةِ الإجْمَال، أو التَّفْصِيل، ثُمَّ ذِكْرُ أَشْيَاءَ عَلَىٰ عَدَدِ ذَلِك، كُلُّ وَاحِدٍ يَرْجِعُ إِلَىٰ وَاحِدٍ مِنَ المُتَقَدِّم، ويُفَوَّضُ إِلَىٰ عَقْلِ السَّامِعِ رَدُّ كُلِّ وَاحِدٍ إِلَىٰ مَا يَلِيقُ بِه»(١).

مثل قولنا: «ظَهَرَتْ نَتَائِجُ البَكَالُوريا، وبَدَتْ عَلَىٰ النَّاجِحِينَ وَالرَّاسِبين عَلامَاتُ السُّرُورِ والحُزْن». فنحن ذكرنا متعددًا، وهو: (الناجحين، والراسبين)، وهذا المتعدد هو ما ندعوه لفًّا، ثم ذكرنا: (السرور، والحزن)، وهو متعدد، نسميه نشرًا، وهذا المتعدد اللاحق، أي النشر، يتعلق كلُّ واحد منه بواحد من المتعدد السابق، فكلمة السرور تتعلق بالناجحين، وكلمة الحزن تتعلق بالراسبين.

شواهد اللف والنشر:

قال الشاعر اللبناني عبد الحميد الرافعي:

زَادَ الغَرَامُ وَقَلَّ الصَّبْرُ وَيْحَهُمَا ... كَمْ بَالَغَا فِيَّ إِطْنَابًا وَإِيجَازَا

ذكر الشاعر متعددًا، وهو: (الغرام، والصبر)، وهذا المتعدد هو ما ندعوه باللف، ثم ذكر: (إطنابًا، وإيجازًا)، وهو متعدد نسميه بالنشر، وهذا المتعدد

---

(١) وشي الربيع بألوان البديع (ص ٨١).

اللاحق، أي النشر، يتعلق كلُّ واحدٍ منه بواحد من المتعدد السابق، فكلمة (إطنابًا) تتعلق بالغرام، وكلمة (إيجازًا) تتعلق بالصبر.

وقال عبد الحميد الرافعي متغزلًا:

مَا يُخْجِلُ الغُصْنَ وَالبَدْرَ المُنِيرَ سِوَى ... قِوَامِهِ وَالجَبِينِ الزَّاهِرِ الزَّاهِي

حيث ذكر الشاعر متعددًا، وهو: (الغصن، والبدر)، وهذا المتعدد هو ما ندعوه لفًّا، ثم ذكر: (قوامه، والجبين)، وهو متعدد، نسميه نشرًا، وهذا المتعدد اللاحق يتعلقُ كلُّ واحدٍ منه بواحد من المتعدد السابق، فكلمة (قوامه) تتعلق بالغصن، وكلمة (الجبين) تتعلق بالبدر.

وقال الرافعي في وصف راقصة حسناء:

تَنْأَى وَتَدْنُو نَحْوَنَا عِنْدَ رَقْصِهَا ... فَتَقْسُو عَلَيْنَا تَارَةً وَتَلِينُ

لو تأملت البيت لوجدت أن الشاعر ذكر متعددًا، وهو: (تنأىٰ، وتدنُو)، وهذا المتعدد هو اللف، ثم ذكر متعددًا ثانيًا، وهو: (تقسُو، وتلين)، وهذا المتعدد هو النشر، وهذا المتعدد اللاحق، أي النشر، يتعلق كلُّ واحدٍ منه بواحد من المتعدد السابق، فكلمة (تقسو) تتعلق بكلمة (تنأىٰ)، وكلمة (تلين) تتعلق بكلمة (تدنو).

قال ناصيف اليازجي مادحًا:

أَوْفَى، وَأَبْلَغُ مَنْ تَبْغِي، وَأَشْجَعُ مَنْ ... تَلْقَى، وَأَرْفَعُ مَنْ رَامَ العُلَا وَرَجَا

مِنْ عَاقِدٍ ذِمَمًا، أوْ قَائِلٍ كَلِمًا، ... أوْ ضَارِبٍ لِمَمًا، أوْ مُرْتَقٍ دَرَجَا

فالشاعر قد ذكر في البيت الأول متعددًا، وهو: (أوفىٰ، وأبلغ، وأشجع، وأرفع)، وهذا ما ندعوه لفًّا، ثم ذكر في البيت الثاني متعددًا، وهو: (عاقد ذمما، وقائل كلما، وضارب لِمَمًا، ومرتقٍ درجا)، وهذا ما ندعوه نشرًا. وهذا المتعدد اللاحق، أي النشر، يتعلق كلُّ واحد منه بواحد من المتعدد السابق: فعاقد الذمم

تتعلق بالوفاء، وقائل الكَلِم تتعلق بالبلاغة، وضارب اللِّمَم تتعلق بالشجاعة، ومرتقي الدرج تتعلق بالرِّفعة.

ومن أبلغ أنواع اللف والنشر قول ناصيف اليازجي في بديعيته:

مَا الزَّهْرُ وَالزُّهْرُ فِي أفْقٍ وَفِي أُفُقٍ ... أَشْهَى وَأَشْهَرُ مِنْ تَفْرِيعِ ذِكْرِهِمِ

فاللف في كلمتي: (الزَّهر أي الأزهار، والزُّهر أي الكواكب)، والنشر في كلمتي (أفْقٍ، وأفُق)، بل إن اليازجي أتىٰ بكلمتي (أشهىٰ، وأشهر) لتكون نشرًا ثانيا للفِّ السابق.

وقد يأتي البليغ بنشرٍ ثالث، مثل قول ناصيف اليازجي:

وَأَنْتَ غَوْثٌ وَغَيْثٌ فِي رَدًى وَنَدًى ... لِخَائِفٍ وَلِرَاجٍ لَاذَ وَانْتَجَعَا

أتىٰ الشاعر باللف في كلمتي: (غوث، وغيث)، وبالنشر في كلمتي (ردىٰ وندىٰ)، ثم أتىٰ بكلمتي (خائف، وراجٍ) لتكون نشرًا ثانيا للفِّ السابق، ثم أتىٰ بكلمتي (لاذَ، وانتجعا) لتكون نشرًا ثالثًا، وتلك - لعمري - ذروة البلاغة.

قال الشاعر المصري الكبير حفني ناصف:

فِي وَجْهِهَا الأَزْهَرِ الزَّاهِيَ وطُرَّتِهَا ... شَمْسٌ وَلَيْلٌ وَإرْشَادٌ وَإضْلَالُ

فاللف في كلمتي: (وجهها، وطرتها)، والنشر في كلمتي (شمس وليل)، ثم إن الشاعر أتىٰ بكلمتي (إرشاد، وإضلال) لتكون نشرًا ثانيا للفِّ السابق.

وقل مثل ذلك فيما أنشده محمود سامي البارودي في شأن محبوبته:

يَمُوتُ قَلْبِي ويَحْيَا حَيْرَةً وهُدًى ... فِي عَالَمِ الوَجْدِ إنْ صَدَّتْ وإنْ جَنَحَتْ

فاللف في كلمتي (يموت، ويحيا)، والنشر في كلمتي (حيرة، وهدىٰ)، فالقلب يموت حيرة، ويحيا هُدًىٰ، ثم إنّ البارودي أتىٰ بكلمتي (صدّت، وجنحتْ) لتكون نشرًا ثانيًا للفّ السابق.

ومثله في قول الشاعر بطرس كرامة في الغزل:

كَبِدِي وَقَلْبِي مِنْ لِحَاظِكَ وَالهَوَى ... قَدْ عُذِّبَا بِالسَّيْفِ وَالنِّيرَانِ

حيث أتىٰ الشاعر باللف في كلمتي: (كبدي، وقلبي)، وبالنشر في كلمتي (لحاظك والهوىٰ)، ثم أتىٰ بكلمتي (السيف، والنيران) لتكون نشرًا ثانيًا للفِّ السابق.

ومنه كذلك قول بطرس كرامة في المدح:

بِبَنَانِهِ وَسِنَانِهِ لِلْمَالِ وَالأَعْدَا ... ءِ أَصْبَحَ قَاسِمًا وَمُقَسِّمَا

اللف في كلمتي: (بَنانه، وسِنانه أي رمحه)، والنشر في كلمتي (المال والأعداء)، ثم أتىٰ بكلمتي (قاسِمًا أيْ موزِّعًا، ومقسِّمًا أي مقَطِّعًا) لتكون نشرًا ثانيًا للفِّ السابق.

ومن نماذج اللف والنشر قول الشاعر القروي مخاطبًا قلبه:

نَأَتْ عَنْكَ الأَحِبَّةُ وَالدِّيَارُ ... فَدَمْعُكَ وَالأَسَى وَطَنٌ وَجَارُ

تَرُومُ بِمِهْنَةِ التَّجْوَالِ مَالًا ... وَحَظُّكَ وَالغِنَى مَاءٌ وَنَارُ

اللف في البيت الأول (دمعك، والأسىٰ)، والنشر (وطن، وجار). وفي البيت الثاني اللف في (حظك، والغنىٰ)، والنشر في (ماء، ونار).

قال حفني ناصف في المديح:

بِهَوَاكُمُ وَبِسُكَّرِيِّ حَدِيثِكُمْ ... مَا زَالَ قَلْبِي مُغْرَمًا وَلِسَانِيَه

ذكر الشاعر متعددًا، وهو (هواكم، حديثكم)، وهو كما علمت لفٌّ، ثم ذكر ما يتصل بكل منهما علىٰ الترتيب، وهما كلمتا (قلبي، ولساني)، وهو ما يسمىٰ بالنشر.

قال بشارة الخوري في رثاء حافظ إبراهيم:

أَنْتَ وَالنِّيلُ ضِفَّتَانِ لِمِصْرٍ ... تُنْبِتَانِ الأَذْوَاقَ وَالأَرْزَاقَا

ذكر الخوري متعددًا، وهو: (أنت، والنيل)، وهذا المتعدد هو ما ندعوه باللف، ثم ذكر: (الأذواق، والأرزاق)، وهو متعدد نسميه بالنشر، وهذا المتعدد اللاحق، أي النشر، يتعلق كلُّ واحدٍ منه بواحد من المتعدد السابق، فكلمة (الأذواق) تتعلق بالممدوح، وكلمة (الأرزاق) تتعلق بالنيل.

ومن اللف والنشر قول إيليا أبي ماضي:

وَصِرْتُ عِقْدًا لَكِ أوْ خَاتَمًا ... فِي جِيدِكِ النَّاصِعِ أوْ إصْبَعِكْ

حيث ذكر أبو ماضي في صدر البيت متعددًا مفصلًا، وهو (العقد، والخاتم)، ثم ذكر ما يتصل بهما على الترتيب: فالجيد مذكور للعقد، والإصبع مذكور للخاتم.

قال الشاعر العراقي جعفر الحلي متغزلًا:

وَبِسَاعِدَيَّ تَوَشَّحَتْ وَتَطَوَّقَتْ ... فَيَدَايَ حِلْيَةُ خَصْرِهَا وَالجِيدِ

فاللف في كلمتي: (توشحت، وتطوقت)، والنشر في كلمتي: (خصرها، والجيد)، ولعلك تلاحظ أن النّشرَ جاء على ترتيب اللّف، وهذا ما ندعوه اللفَّ والنشرَ المُرَتَّب. أمّا إذا أتى النَّشرُ على غير ترتيب اللّف، فيسمَّى معكوس الترتيب، مثل قول ناصيف اليازجي:

لَهَا مَا لِغُصْنِ البَانِ وَالرِّيمِ وَالطَّلَا ... رُضَابًا وَجِيدًا وَاعْتِدَالًا بِلَا عَدْلِ

لعلك لاحظتَ أن اللف في الكلمات الآتية: (غصن البان، والرِّيم، والطلا: الخمر)، والنشر في الكلمات الآتية: (رضابا، وجيدا واعتدالا)، والملاحظ أن النشر أتى على خلاف ترتيب اللف، إذ أن كلمة (رضابا) راجعة إلى (الطلا)، وكلمة (جيدا) راجعة إلى (الريم)، وكلمة (اعتدالا) راجعة إلى (غصن البان).

ومثاله قول الشاعر علي الجندي في مدح الملك فاروق:

مَلِكٌ لَنَا مِنْ رَاحَتَيْهِ ووَجْهِهِ ... بَدْرٌ يُضِيءُ ودِيمَةٌ مِدْرَارُ

لعلك أدركت أنّ اللف في كلمتي (راحتيه، ووجهه)، والنشر في كلمتي: (بدر، وديمة)، والملاحظ أن النشر أتىٰ علىٰ خلاف ترتيب اللف، إذ أنّ كلمة (بدر) راجعة إلىٰ (وجهه)، وكلمة (ديمة) راجعة إلىٰ (راحتيه).

ومن هذا النوع أيضا قول الشاعر العراقي عبد المحسن الكاظمي متغزلًا:

تَسْبِي الغَزَالَ وَأُخْتَهَا بِنْتَ السَّمَا ... بِسَنَا جَبِينٍ وَاضِحٍ وَبِجِيدِ

فاللف في كلمتي (الغزال، وبنت السماء: الشمس)، واللف في كلمتي (جبين، وجيد)، وهكذا جاء النشر علىٰ خلاف ترتيب اللف.

ومنه أيضا قول بطرس كرامة:

فَيَا نَبْلَ جَفْنَيْهَا وَأَسْمَرَ قَدِّهَا ... رُوَيْدَكُمَا أَكْثَرْتُمَا الطَّعْنَ وَالرَّشْقَا

بقي أن تعرف أن البليغ قد يقيم اللَّفَّ والنَّشْرَ علىٰ أساس التَّشبيه، وقد يقيمه دون ذلك. ومثالُ اللّف والنّشر القائم علىٰ التشبيه قول مصطفىٰ صادق الرافعي متغزلا:

هِيَ غُصْنُ الرِّيَاضِ وَالزَّهْرُ وَالوَرْ ... دُ، قَوَامًا وَنَفْحَةً وَخُدُودَا

وَهْيَ شَمْسُ السَّمَاءِ وَالظَّبْيَةُ الغَيْـ ... دَاءُ، وَجْهًا وَمُقْلَتَيْنِ وَجِيدَا

حيث ذكر الشاعر في البيت الأول المتعدد مفصلا، وهو: (الغصن، والزهر، والورد)، ثم ذكر ما يتّصل بكل منها علىٰ الترتيب: فالقوامُ للغصن، والنفحةُ للزهر، والخدودُ للورد، ثم ذكر في البيت الثاني المتعدد مفصلا، وهو: (شمس السماء، والظبية الغيداء)، ثم ذكر ما يتصل بكل منهما علىٰ الترتيب: فالوجهُ للشمس، والمقلتان والجيدُ للظبية الغيداء.

ومثال اللف والنشر المقام دون تشبيه قول معروف الرصافي في وصف روضة:

نَاحَ الحَمَامُ وغَرَّدَ الشُّحْرُورُ ... هَذَا بِهِ شَجَنٌ وَذَا مَسْرُورُ

فالشاعر ذكر اللف: (الحمام والشّحرور)، ثم ذكر النشر: (الشجن والسرور) دون أن يقيم لفه ونشره علىٰ أساس التشبيه.

ومنه قول محمود سامي البارودي في رثاء أبيه:

أَبِي ومَـــنْ كَـــأَبِي فِي الـــحَيِّ نَعْلَمُـــهُ أَوْفَى وَأَكْـــرَمُ فِي وَعْـــدٍ وَإِيعَـــادِ

اللّف في كلمتي: (أوفىٰ، وأكرم)، والنشر في لفظتي: (وعد، وإيعاد).

ومنه قول محمد العيد آل خليفة في خطابه للشعب الجزائري:

دَعَّمُـــوا الـــبَرَّ دَعَّمُـــوا البَحْـــرَ بِـــالأَعْـ ـلَامِ مِـــنْ مُنْشَـــآتِ مُـــدْنٍ وسُـــفْنِ

فاللف في كلمتي (البر، والبحر)، والنشر في كلمتي (مدن، وسفن): فلفظ (مدن) راجع إلىٰ البر، ولفظ (سفن) راجع إلىٰ البحر.

ومن اللف والنشر في النثر قول توفيق الحكيم: «مَاذَا يَكُونُ حَالُ الجِسْمِ لَوْ تَمَرَّدَ القَلْبُ، واللِّسَانُ والأُذْنُ والقَدَم، وقَالَتْ كُلُّهَا: لَنْ نَشْعُرَ ولَنْ نَنْطِقَ ولَنْ نَسْمَعَ ولَنْ نَسِير؟».

فالكاتب قد أتىٰ علىٰ ذكر أربعة أشياء متعددة جملة واحدة، وهي القلب واللسان والأذن والقدم، وهذا هو اللف، ثم ذكر ما يتصل بكل منها علىٰ الترتيب: فالشعور يتصل بالقلب، والنطق باللسان، والسمع بالأذن، والسير بالقدم، وذاك هو نشرُ اللّف.

بلاغة اللّف والنّشر:

أسلوبُ اللفّ والنّشر يهيّئ النفوس، ويثير الانتباه لتلقّي الفائدة، فاللف يهيئ النفوس لتلقي ما يذكر بعد ذلك من النشر، فإذا ما ذُكر النشر وقع في النفوس موقعه، وتمّت الفائدة.

وفي اللفّ والنشر يتقوّىٰ الارتباط بين أجزاء الكلام، وجمالية اللفّ والنشر

تتحقق إذا ما ورد هذا المحسن البديعي فيض البديهة، من دون تكلّف، أمّا إذا تكلّفه الأديب فإنه يثقل كاهل المعنىٰ، ويجعل المعنىٰ يضيع في سراديب الصنعة. و«من جماليات هذا الفن البديعي أنه يضاعف فعالية الذهن، إذ ينثر أمامه مجموعةَ أشياء، يتصل بكلٍّ منها شيء، لكنه يُبْهِمُ عليه أوّلَ الأمر نسبةَ الشيء إلىٰ أصله، فيدعه يجري خلف هذه المعرفة، حتىٰ إذا استطاع الذهن تحصيل العلاقة بين كل فردٍ من أفراد المتعدد، والشيء المتصل به، أدركتْه بهجةُ التعرّف، ولذة التوصّل»[1].



(١) المفصل في علوم البلاغة العربية (ص ٥٧٩).

التطبيق

حدد اللف والنشر في النماذج البلاغية الآتية:

١- قال محمود سامي البارودي:

إذَا نَظَرَتْ أَوْ أَقْبَلَتْ أَوْ تَهَلَّلَتْ فَوَيْلُ مَهَاةِ الرَّمْلِ وَالغُصْنِ وَالبَدْرِ

٢- وقال محمود سامي البارودي:

لَهُ نَظْرَتَا جُودٍ وَبَأْسٍ أَثَارَتَا غَمَامَيْنِ سَالَا بِالفَوَاضِلِ وَالدَّمِ

٣- وقال البارودي:

يَنْهَلُّ صَارِمُهُ حَتْفًا وَمَنْطِقُهُ سِحْرًا حَلَالًا إذَا مَا صَالَ أَوْ خَطَبَا

٤- قال حافظ إبراهيم:

قَدْ كُنْتُ تَحْتَ دُمُوعِهِمْ وَزَفِيرِهِمْ مَا بَيْنَ سَيْلٍ دَافِقٍ وَشَرَارِ

٥- قال إسماعيل صبري:

مَاسَ دَلَالًا وَرَنَا قَائِلًا: بِيضُ الظُّبَا وَالسُّمْرُ مِنْ جُنْدِي

٦- قال علي الجارم:

قَلْبِي وَفَيْضُ دُمُوعِي كُلَّمَا خَطَرَتْ ذِكْرَى فِلَسْطِينَ خَفَّاقٌ وَهَتَّانُ

٧- قال مصطفى صادق الرافعي:

مَا بَيْنَ سَلْمٍ وَحَرْبٍ أَنْتَ رَبُّهُمَا تَرَكْتَ هَذَا الوَرَى فِي مَأْمَنٍ حَذِرَا

٨- قال الشاعر الجزائري أبو القاسم خمّار مخاطبًا المستعمرين:

فَلَا حَيَاةٌ وَلَا نُورٌ وَلَا أَمَلٌ وَالجَهْلُ وَالفَقْرُ أَنْيَابٌ لَكُمْ وفَمُ

٩- قال عبد الباقي العمري في رسالة أخوية أرسلها إلىٰ ناصيف اليازجي:

لَمْ أَدْرِ قَبْلَ قِوَامِهَا وَلِحَاظِهَا أنَّ الرَّدَى بِمَعَاطِفٍ وَحَوَاجِبِ

١٠- قال ناصيف اليازجي:

قَلْبِي وَطَرْفِي أَصْبَحَا مِنْ بُعْدِهِ وَالبَيْنِ بَيْنَ مُقَرَّحٍ وَمَكْفُوف

١١- قال الشاعر السوري بطرس كرامة في غرض الغزل:

وَجَادَتْ بِوَرْدٍ فَوْقَ نِسْرِينِ وَجْنَةٍ فَيَا خَيْرَ مُحْمَرٍّ بِأَحْسَنِ مُبْيَضِّ

١٢- وقال بطرس كرامة:

فَلَوْلَا مُحَيَّاهَا وَبَارِقُ ثَغْرِهَا لَمَا بَاتَ طَرْفِي يَرْقُبُ النَّجْمَ وَالبَرْقَا

١٣- قال الشاعر السوري أمين الجندي:

فَتَّاكَةٌ مِنْ لَحْظِهَا وَقِوَامِهَا تَغْزُو النُّهَى بِمُثَقَّفٍ وَسِنَانِ

١٤- قال الشاعر اللبناني عمر الأنسي:

غَرَّاءُ مَا بَيْنَ الجَبِينِ وَشَعْرِهَا أُمْسِي عَلَى حُكْمِ الغَرَامِ وَأُصْبِحُ

١٥- قال الشاعر المصري علي الجندي:

دَعُونِي أَسْجَعْ فِي ذُرَا الأَيْكِ أَوْ أَنُحْ فَيَطْرُبَ مُشْتَاقٌ وَيَبْكِيَ أَسْيَانُ؟

١٦- وقال الجندي في قصيدة (عيد النحر وعيد النصر):

هُوَ العِيدُ: عِيدُ النَّحْرِ أَوْ مَوْسِمُ النَّصْرِ فَمَا شِئْتَ مِنْ بِشْرٍ وَمَا شِئْتَ مِنْ فَخْرِ

١٧- قال محمود غنيم يصف (دار العلوم) بمصر:

أَرُوحُ إِلَيْهَا كُلَّ يَوْمٍ وَأَغْتَدِي إِلَى العِلْمِ عَطْشَانًا، وَمِنَ العِلْمِ رَاوِيَا

١٨- قال الشاعر القروي يصف حال شاعر المهجر:

أَيْنَمَا حَطَّ رَحْلَهُ فَالأَمَانِي وَالمَنَايَا أَبَاعِدٌ وَأَقَارِبُ

١٩- قال إيليا أبو ماضي مخاطبًا فيلسوفه المجنح (البلبل):

إذَا ظَفِــرْتَ بِنَفْحَــةٍ وَبِقَطْــرَةٍ فَلَقَــدْ ظَفِــرْتَ بِرَوْضَــةٍ وَبِمَــوْرِدِ

٢٠- قال الشاعر الجزائري مفدي زكريا:

لَطمُــوا الــدِّينَ وَالكَرَامَــةَ وَالعِــلْـ ـمَ بِخِــزْيٍ وَقِحَــةٍ وَعِنَــادِ



حل التطبيق

١- اللف: (نظرتْ، أقبلتْ، تهللتْ)، النشر: (مهاة الرمل، الغصن، البدر).

٢- اللف: (جود، بأس)، النشر: (الفواضل، الدم).

٣- اللف: (صارمه، منطقه)، النشر: (صال، خطبا).

٤- اللف: (دموعهم، زفيرهم)، النشر: (سيل، شرار).

٥- اللف: (ماس، رنا)، النشر: (بيض الظبا، السمر).

٦- اللف: (قلبي، دموعي)، النشر: (خفاق، هتّان).

٧- اللف: (سلم، حرب)، النشر: (مأمن، حذرا).

٨- اللف: (الجهل، والفقر)، النشر: (أنياب، وفم).

٩- اللف: (قوامها، لحاظها)، النشر: (معاطف، حواجب).

١٠- اللف: (قلبي، طرفي)، النشر: (مقرّح، مكفوف).

١١- اللف: (ورد، نسرين وَجنة)، النشر: (محمرّ، مبيضّ).

١٢- اللف: (محياها، ثغرها)، النشر: (النجم، البرق).

١٣- اللف: (لحظها، قوامها)، النشر: (مثقف، سنان).

١٤- اللف: (الجبين، شعرها)، النشر: (أمسي، أصبح).

١٥- اللف: (أسجعْ، أنحْ)، النشر: (يطرب، يبكي).

١٦- اللف: (عيد النحر، موسم النصر)، النشر: (بشر، فخر).

١٧- اللف: (أروح، أغتدي)، النشر: (إلىٰ العلم عطشان، من العلم راويا).



١٨- اللف: (الأماني، المنايا)، النشر: (أباعد، أقارب).

١٩- اللف: (نفحة، قطرة)، النشر: (روضة، مورد).

٢٠- اللف: (الدين، الكرامة، العلم)، النشر: (خزي، قحة، عناد).



تمرين

عين اللف والنشر، وبيّن نوعه وبلاغته في النماذج الآتية:

قال محمود سامي البارودي في الغزل:

مَا هِلَالُ السَّمَاءِ؟ مَا الظَّبْيُ؟ مَا الـوَرْ دُ جَنِيًّـا؟ مَـا الغُصْـنُ إذْ يَتَهَـدَّى؟

هُـوَ أَبْهَـى وَجْهًـا وَأَقْتَـلُ أَلْحَـا ظًـا وَأَنْـدَى خَـدًّا وَأَلْـيَنُ قَـدًّا

وقال أيضًا:

أَلَا بِـأَبِي مَـنْ حُسْـنُهُ وحَدِيثُـهُ إِذَا مَـا الْتَقَيْنَـا لَـذَّةُ العَـيْنِ والسَّـمْعِ

وللبارودي كذلك:

إِذَا المَـرْءُ لَـمْ يَفْـرَحْ ويَحْـزَنْ لِنِعْمَـةٍ وبُـؤْسٍ فَـلَا يُـرْجَى لِنَفْـعٍ وَلَا ضَـرِّ

قال الشاعر السوري أمين الجندي:

لَـمْ يَحْـكِ طَلْعَتَهَـا وَلَفْتَـةَ جِيـدِهَا غَـيْرُ الغَزَالَـةِ وَالغَـزَالِ الأَغْيَـدِ[1]

خَـوْدٌ تُرِيـكَ إذَا تَثَنَّـتْ وَانْجَلَـتْ قَمَـرًا عَلَـى غُصْـنٍ رَطِيـبٍ أَمْلَـدِ

قال بشارة الخوري:

يَبْكِـي وَيَضْـحَكُ لَا حُزْنًـا ولا فَرَحًـا كَعَاشِقٍ خَـطَّ سَـطْرًا فِي الهَـوَى وَمَحَـا

وقال بشارة الخوري:

أَمَّـا سُـلَيْمَى فَمَـا زَاغَـتْ ولَا عَـثَرَتْ فَالحُـبُّ وَالطُّهْـرُ يُمْنَاهَـا ويُسْـرَاهَا

(١) الغزالة: يقال: غزالة الضحىٰ، وهي الشمس عند طلوعها، لأنها تمدُّ حبالا من نورها كأنها تغزل.

وقال الخوري:

سَقَيْتُ رَيْحَانَهُ مِنْ مَدْمَعِي ودَمِي ... هَذَا إِذَا انْهَلَّ أَوْ هَذَا إِذَا سُفِحَا

قال إيليا أبو ماضي علىٰ لسان فتاة أرغمها ذووها علىٰ الاقتران برجل مُسنٍّ:

لِي قَدٌّ وَجَمَالٌ يَزْدَرِي ... ذَاكَ بِالغُصْنِ وَذَا بِالكَوْكَبِ

قال خليل مطران متغزلًا:

سَلَّابَةٍ خَلَّابَةٍ غَلَّابَةٍ ... بِاللَّفْظِ أَوْ بِاللَّحْظِ أَوْ بِالجِيدِ

قال حافظ إبراهيم راثيًا:

أُهَنِّي الثَّرَى أَمْ أُعَزِّي الوَرَى؟ ... لَقَدْ فَازَ هَذَا وَهَذَا خَسِرْ

وقال حافظ إبراهيم:

كَمِ انْبَرَتْ فِيهِ أَقْلَامٌ وكَمْ رُفِعَتْ ... فِيهِ مَنَابِرُ مِنْ نَظْمٍ وَمِنْ خُطَبِ

قال مصطفىٰ صادق الرافعي:

هَوًى وصُدُودٌ: ذَاكَ يَأْكُلُ مُهْجَتِي ... وَذَا لِنَدَى فَجْرِ الحَيَاةِ شَرُوبُ

قال أحمد شوقي:

حَجُّ الأَمِيرِ لَهُ الدُّنْيَا قَدِ ابْتَهَجَتْ ... وَالعَوْدُ وَالعِيدُ أَفْرَاحٌ وَأَعْرَاسُ

قال الشاعر العراقي حيدر الحلي متغزلًا:

بَدْرُ حُسْنٍ فِي دُجًى مِنْ فَرْعِهِ ... مَا أُحَيْلَاهُ طُلُوعًا وَمَغِيبَا!

قال إسماعيل صبري في مدح الأمير شكيب أرسلان:

مَنْ يَرْعَهُ فِي لُطْفِهِ وَوَقَارِهِ ... يَلْقَ المَلَائِكَ فِيهِ وَالأَمْلَاكَ

تَجَاهُلُ العَارِف

تَعْرِيفُ تَجَاهُلِ العَارِف: هُوَ سُؤَالُ البَلِيغِ عَمَّا يَعْلَمُهُ حَقِيقَةً، تَجَاهُلًا مِنْه، لِغَرَضٍ بَلاغِيّ، كَالمُبَالَغَةِ فِي الوَصْف، أوِ التَّدَلُّهِ فِي الحُبّ(١)، أوِ المُبَالَغَةِ فِي الرِّثَاء، أوِ المُبَالَغَةِ فِي المَدْح، أوِ المُبَالَغَةِ فِي الذَّمّ، أوِ المُبَالَغَةِ فِي الفَخَر. وبعبارة أُخرىٰ: «هُوَ أنْ يَسْأَلَ المُتَكَلِّمُ عَنْ أمْرٍ يَعْرِفُهُ حَقِيقَةً، مُتَظَاهِرًا بِالجَهْل، لِغَايَةٍ فِي نَفْسِه. وقَدْ سَمَّاهُ السَّكَاكِيُّ سَوْقَ المَعْلُومِ مَسَاقَ المَجْهُول»(٢). ولعلّ هذا ما عبّر عنه أحمد شوقي في حواره مع قلبه:

تَـــدْرِي، وتَسْـــأَلُنِي تَجَاهُـــلَ عَـــارِفٍ ... أَرَنَـــا بِعَـــيْنٍ أَمْ رَمَى بِسِـــهَامِ؟

شواهد تجاهل العارف:

قال محمود غنيم مخاطبًا (البحر):

حَبَـــابُ مَائِـــكَ أَمْ كَـــأْسٌ لَهَـــا زَبَـــدٌ؟ ... وَهَمْسُ مَوْجِكَ أَمْ شَـاجٍ مِـنَ الـنَّغَمِ؟

وَفَـوْقَ رَمْلِـكَ أَمْشِـي أَمْ عَلَـى بُسُـطٍ ... صَفْرَاءَ مَنْقُوشَةٍ مِنْ صَنْعَةِ العَجَمِ؟

تظاهر الشاعر في البيت الأول بالجهل، وادّعىٰ أن الأمر قد التبس عليه، لذلك تساءل إنْ كان ما يراه زبد ماء البحر، أم حَباب كأسٍ من الخمر؟ وما يسمعه، أهو تلاطم أمواجٍ، أم صوت من النغم شاجٍ؟ وفي البيت الثاني يكرر تساؤله: أهو يمشي فوق أرضٍ بالرمل مفروشة، أم علىٰ بُسُطٍ من صنعة العجم منقوشة؟ الحقيقة أن الشاعر كان يعلم إجابات تلك الأسئلة، لكنه تجاهل تلك

---

(١) التدله في الحب: يقال «تدلَّهَ في حبها» أي تحيَّرَ وذهب عقله وقلبه من أثر العشق.

(٢) المفصل في علوم البلاغة العربية (ص ٦٠٨).

المعرفةَ اليقينيّة، وساق المعلومَ مَسَاقَ المجهول، لغرض بلاغيّ، وهو المبالغة في الوصف.

ومن تجاهل العارف بغرض المبالغة في الوصف قول أحمد شوقي في وصف الطائرة:

أعُقَـــابٌ فِي عَنَــانِ الجَــوِّ لاحْ؟ أمْ سَـحَابٌ فَـرَّ مِـنْ هَـوْجِ الرِّيَـاحْ؟

يتظاهر شوقي بأنه قد التبس عليه الأمر، فلم يعرف حقيقةَ هذا الشيء، وكأنّ الطائرة قد سحرت عينيه، فبات حائرا: أعقاب هي، أم سحاب؟ وذلك لإفادة أن الطائرة في عصره قد بلغت من العظمة مبلغا يحصل معه هذا الالتباس.

وقريب منه قول شوقي في تكريم حسنين بك بمناسبة طيرانه:

جِــنٌّ عَلَــى حَـرَمِ السَّــمَاءِ أغَــارُوا أمْ فِتْيَــةٌ رَكِبُــوا الجَنَــاحَ فَطَــارُوا؟

قال محمد العيد آل خليفة عن حقوق الشعب الجزائري التي هضمها الاستعمار:

مَــا لِلْحُقُــوقِ إلَيْنَــا غَــيْرُ وَاصِــلَةٍ؟ وقَــدْ سَــمِعْنَا بِهَــا مُنْــذُ أزْمَــانِ

هَـلْ عَاقَهَـا البَحْـرُ عَنَّـا فَهِـيَ عَـاجِزَةٌ عَنْ قَطْعِ مَا فِيهِ مِنْ لُجٍّ وشُـطْآنِ؟

أمْ رَاقَهَـا البَحْـرُ حُسْـنًا فَهِـيَ سَـابِحَةٌ تَلْهُـو بِمَـا فِيـهِ مِـنْ دُرٍّ وَمَرْجَـانِ؟

أمِ الْتَحَقَتْ بِبَنَاتِ البَحْـرِ فاحْتَجَبَتْ عَـنْ كُلِّ قَـاصٍ مِـنَ الـرَّائِينَ أوْ دَانِ؟

يتساءل الشاعر: لماذا يرفض الفرنسيون الاعتراف بحقوق الشعب الجزائري التي اغتصبوها، ويطلقون الوعود الفضفاضة من وراء البحار؟ لم يجد الشاعر أي عذر يقبله العقل أو المنطق، فلجأ إلىٰ الخيال، واستمدّ منه صورة ساخرة، فقال متسائلا متهكِّمًا: لربما تلك الحقوق قد عاقها البحر بأمواجه العاتية، فصدَّها وأخّرها عن موعدها؟ أو لربما راقها حسن البحر، فأُعجبت بجماله،

فأقامت معه تلهو وتنعم بالدر والمرجان؟ بل لعلها أصبحت واحدةً من حورياته وعرائسه، فلا حظ لإنس في رؤيتها أو جان؟ إن كلَّ تلك الاستفهامات ليست حقيقية، بل إن وراء تلك التساؤلات يقينًا بأنّ المستعمرين يرفضون الاعتراف بتلك الحقوق، وهم فقط يماطلون، ويراوغون، وتلك أخلاقهم.

قال الشاعر إلياس عبد الله طعمة متغزلًا:

قُولِي: أَخِفَّةُ هَذَا المَشْيِ فِي خَفَرٍ ... مِنْ طَفْرَةِ الظَّبْيِ أَمْ مِنْ دَرْجَةِ

حين مرّت هذه الحسناء تحجِل في مشيتها، أي تتبختر في خيلاء ودلال، كأنها تتحرك راقصة على إيقاع خاص، أو كأنها تمرح واثبة في رشاقة فريدة، ادعى الشاعر أن الشك قد خامره، فأصبح عاجزا عن إدراك ما يتهيّأ له: أظبية هي ترتع في بهجة وحبور، أم حجلة تتهادى في كبرياء وغرور؟ الحقيقة أن الشاعر يعرف الجواب، ولكنه تظاهر بالجهل لعلة في نفسه، وهي التدله في الحب.

وقال إلياس عبد الله طعمة:

الخَدُّ مِزْهَرَةٌ وَالثَّغْرُ مِعْطَرَةٌ ... هَلْ كَانَ جَدُّكِ عَطَّارًا وَزَهَّارَا؟

حين تأرَّجَ من مزهرة خدِّ المحبوبةِ الجُورِيُّ والعَبْهَرُ[1]، وفاحَ من معطرة ثغرها المِسْكُ والعَنْبَرُ، استفسر الشاعر - وهو العليم بالجواب - وطفق يسألُ فيحاءهُ: إنْ كانت حقًّا من حفيدات العطَّارين، أم من سليلات الزهَّارين؟

ومن هذا الغرض قول الشاعر السوري سليمان الصولة:

بِعَيْنِي رَأَيْتُ المَاءَ مَاءً بِكَفِّهَا ... فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَوْجَبَ السُّكْرَا؟

لَعَلَّ زُجَاجَ الكَأْسِ لَامَسَ ثَغْرَهَا ... فَمَا صُبَّ فِيهِ المَاءُ إِلَّا غَدَا خَمْرَا؟

تحت تأثير (خمر اللَّمَى) تورط الشاعر فيما يسمى (فوضى الحواس): فما

---

(١) العبهر: النرجس.

يبصره ماءً بعينه، يتذوقه خمرًا بلسانه! لذلك تراه يجتهد في طلب الجواب لسؤاله المعقد: ما الذي يا تُرىٰ أوجب السُّكر في الماء؟ لم يجد الشاعر إلا احتمالا وحيدًا يحلُّ به هذا اللغز المحيِّر، فقد رجَّح - عن طريق الاستفهام - أنَّ الثغر حين يلامس زجاجَ الكأس تسيل علىٰ جوانبه الخمرُ المعتَّقة - وهي أجود أنواع الخمر - فتمتزج بالماء، فتوجب السُّكر. نقول إن الشاعر قد ساق المعلوم مساق المجهول، وذلك بغرض التدله في الحب.

ومن تجاهل العارف الذي غرضه المبالغة في التحقير قول محمود غنيم في وصف العدوان الثلاثي علىٰ مصر:

مَنْ هَـؤُلَاءِ؟ وَمَـا تِلْـكَ الوُجُـوهُ؟ وَمِـنْ ... أَيِّ الخَلَائِـقِ هَـذَا المَنْظَـرُ البَشِـعُ؟
مِنْ أَيِّ وَكْرٍ بِبَطْنِ الأَرْضِ قَدْ زَحَفُوا؟ ... مِـنْ أَيِّ مُسْـتَنْقَعٍ فِي جَوْفِهَـا نَبَعُـوا؟

أراد الشاعر أن يبالغ في تحقير جنود العدوان، فطفق يسأل عن نسل هذه المخلوقات الهمجية، إيحاءً منه أن هؤلاء لا يمكن أن يكونوا من نسل آدم عليه السلام، ثم تساءل عن أوجههم، ومنظرها الدميم، وفي البيت الثاني تساءل- وهو أعلم بالجواب - عن الجُحور الذي طلعت منها هذه الثعابين، ثم عن المستنقعات الذي أفرزت تلك الحشرات. كل تلك الأسئلة لم يكن غرض الشاعر من ورائها سوىٰ المبالغة في تحقير جنود العدو.

ومن تجاهل العارف الذي غرضه المبالغة في الفخر قول حافظ إبراهيم:

مَطَـالِعُ سَـعْدٍ أَمْ مَطَـالِعُ أَقْمَـارِ ... تَجَلَّتْ بِهَـذَا العِيـدِ أَمْ تِلْـكَ أَشْـعَارِي؟

فالشاعر يتظاهر لنا بالجهل، لذلك نحن أيضًا سنسأله: هل تساؤلك يا حافظ هو عن حقيقة تجهلها، فتريد لها معرفة، أم عن حقيقة متجاهَلة، تقصد من ورائها المبالغة في فخرك بما تُطلعه من أقمار، وما تنشده من أشعار؟

ومن تجاهل العارف الذي غرضه المبالغة في الرثاء قول بشارة الخوري في رثاء سعْد زغلول:

قَالُوا دَهَتْ مِصْرَ دَهْيَاءُ فَقُلْتُ لَهُمْ ... هَلْ غُيِّضَ النِّيلُ أمْ هَلْ زُلْزِلَ الهَرَمُ؟

قَالُوا أَشَدُّ وأَدْهَى، قُلْتُ: وَيْحَكُم ... إذًا لَقَدْ مَاتَ سَعْدُ وَانْطَوَى العَلَمُ

فالشَّاعرُ يسأَل القَومَ وهو منهمْ أعلم عن الدَّاهية التي أَلَمَّتْ بِمصر، لكنَّه ليس سؤالَ مَنْ ينتظرُ الإجابة، فاستفهامُ الشَّاعر ليس حقيقيا، إنّه عَارِفٌ منذ البداية أنّ النّيل لو نَضَب، والهَرَمَ لو زُلْزِل، ليس ذلك بأشدَّ هَوْلا، ولا أعظم خَطْبًا، من أنْ يُدَكَّ طَوْد شامخ كسَعْد زغلول، فواضحٌ إذن أنّ الشّاعر كان عَارِفًا، لكنّه تَجَاهَلَ مَعْرِفَتَهُ تلك، واختلق قصَّةَ السُّؤال، ليصيب هدفه، وهو المبالغة في الرّثاء.

وقريب منه قول الشاعر العراقي الشيخ عبد المحسن الكاظمي في (سعد زغلول):

تَسَاءَلَ وَادِي النِّيلِ يَوْمَ رَحِيلِهِ: ... أَحَلَّتْ بِوَادِي النِّيلِ دَهْيَاءُ صَيْلَمُ؟

وقال بشارة الخوري بمناسبة مُرُور أَلْف سنة علىٰ وفاة المتنبِّي:

يَا مُلْبِسَ الحِكْمَةِ الغَرَّاءِ رَوْعَتَهَا ... حَتَّى هَتَفْنَا: أَوَحْيًا قُلْتَ أمْ أَدَبَا؟

علىٰ خُطَىٰ القَصيدة الأُولىٰ يأْتي الشَّاعر هذه المرّة، ويسأَل: هلْ قال (نَبِيٌّ) القافية، و(رسُولُ) الحكمة الوَحْيَ، أم قال الأَدبَ؟ فلو نظرنا إلىٰ نُبُوَّتِهِ الشِّعْرِيَّة لقلنا: وَحْيًا، ولو نظرنا إلىٰ أَدبه الحكيم لَقُلْنَا: أَدَبًا، ولكنَّ المُتَنَبِّي في الحقيقة ليس إلّا لقبا أطلقه عليه حُسَّاده، يتّهمونه فيه بادِّعَاءِ النُّبُوَّة، لكنّهم صَدَقُوا حين نَهَقُوا، ومَدَحُوا حِينَ قَدَحُوا، وهل النُّبُوَّةُ إلّا ثورةٌ ضدّ التّقليد، وإيمانٌ بالتَّجديد؟ ليس هناك أدنىٰ شكّ في أنّ الشَّاعر كان يعلم يقينا تلك الإجابات،

لكنَّه تَجَاهَلَ تلك المعرفةَ اليقينيّة، وسَاقَ المَعْلُومَ مَسَاقَ المَجْهُول بغرض المبالغة في المدح.

ومن هذا الغرض قول الشاعر السوري أمين الجندي في المديح:

أَشَمْسٌ تَرَاءَتْ مِنْ وَرَاءِ السَّتَائِرِ؟ أَمِ البَدْرُ فِي الظَّلْمَاءِ يَبْدُو لِنَاظِرِ؟

نقول إن الشاعر لم يسأل سؤالا لا يعرف إجابته، إنما هو تجاهلُ عارفٍ كان غرض الشاعر من ورائه المبالغة في المدح.

ومن تجاهل العارف الذي غرضه المبالغة في المدح كذلك قول الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة مخاطبًا الشاعر الهادي السنوسي:

أَنَشَاطا أَظْهَرْتَ أَمْ كَهْرَبَاءً؟ وَاعْتِزَامًا أَشْهَرْتَ أَمْ سَمْهَرِيًا؟

أراد الشاعر أن يعظم من شأن صديقه، فتظاهر بالجهل من أمرين: إنْ كان ما يظهره الممدوحُ نشاطًا أم كهرباء؟ وما يشهره عزيمة أم سيفًا سمهريا؟ وغرض الشاعر من هذا الصنيع إنما هو المبالغة في المدح.

بقي أن تعرف أنَّ تجاهل العارف يكون في النثر كذلك، ومثاله قول ميخائيل نعيمة واصفا حال الإنسانية:

«مَا هَذَا الَّذِي نَحْنُ فِيه؟ أَهُوَ عِتَابُ الأصْحَابِ بَعْدَ طُولِ الغِيَاب؟ أَمْ هِيَ الفَوْضَىٰ تَغْلِي مَرَاجِلُهَا وتَفُور؟ أمْ أَنَّ رُبَّانَ سَفِينَةِ البَشَرِيَّةِ قَضَىٰ وكَفُّهُ عَلَىٰ الدَّفَّة، فَتَاهَتِ السَّفِينَةُ بَيْنَ الرِّيح والمَوْج، ودَبَّ الذُّعْرُ بَيْنَ الرُّكَّاب، فَكَانَتِ البَلْبَلَة، وكَانَتِ الجَلَبَة، وكَانَتِ الضَّوْضَاءُ الَّتِي تَسْمَعُون؟».

ومنه في النثر أيضًا قول الأديب محمد المويلحي في وصف روضة: «ولَمَّا رَأَىٰ رَفِيقِي مَسَالِكَ الرَّوْضِ مُنَضَّدَة، وطُرُقَهُ مُرَصَّعَةً مُزَرَّدَة، حَسِبَهَا أَرْضًا مَفْرُوشَة، بِبُسُطٍ مَنْقُوشَة، وأَشْكَلَ الأَمْرُ عَلَيْه، فَهَمَّ بِخَلْعِ نَعْلَيْه».

بلاغة تجاهل العارف:

في تجاهل العارف يسوق الأديبُ المعلومَ مساقَ غيره، ليصيب هدفه، وهو المبالغة في مدح، أو وصف، أو سوىٰ ذلك، فالأديبُ بذلك يُظهر أنه تحرّىٰ الدقة، واستقصىٰ الحقيقة عن طريق الشك. لذلك عرّف أبو هلال العسكري هذا الفن بقوله: «هُوَ إِخْرَاجُ مَا يُعْرَفُ صِحَّتُهُ مَخْرَجَ مَا يُشَكُّ فِيه، لِيَزِيدَ بِذَلِكَ تَأْكِيدًا»[١]. أضف إلىٰ ذلك أن تجاهل العارف حين يحقق المبالغة في المعاني، فهو يصوّرها بصورة أفخم، وبمظهر أبهىٰ.



(١) كتاب الصناعتين (ص ٤١٢).

التطبيق

حدد تجاهل العارف، وغرضه في النماذج البلاغية الآتية:

١- قال شاعر الجزائر محمد العيد وهو ينظر إلىٰ صورة فوتوغرافية لأحمد شوقي:

مَا لَهُ وَاضِعًا عَلَى الكَفِّ رَأْسًا ... يَا تُرَى أَيَّ نَوْبَةٍ يَشْتَكِيهَا؟

عَلَّهُ فِي الحَيَاةِ ضَلَّ طَرِيقًا ... وَبِصَحْرَائِهَا تَحَيَّرَ تِيهَا؟

هَكَذَا تَفْعَلُ القَوَافِي، فَوَيْحٌ ... لِلْقَوَافِي وَلِلَّذِي يَقْتَفِيهَا

٢- قال إيليا أبو ماضي بمناسبة الحفلة التكريمية التي أقيمت علىٰ شرفه في مدينة (لوس أنجلس) الأمريكية:

يَا قَوْمُ هَلْ هَذِي حَقَائِقُ أَمْ رُؤًى؟ ... وَأَنَا؟ أَصَاحٍ، أَمْ شَرِبْتُ مُخَدِّرَا؟

لا تَعْجَبُوا مِنْ دَهْشَتِي وَتَحَيُّرِي ... وَتَعَجَّبُوا إِنْ لَمْ أَكُنْ مُتَحَيِّرَا

٣- قال إسماعيل صبري:

حبَّذَا مِنْهُ مُقْلَةٌ لَسْتُ أَدْرِي ... أَبِهَدْبٍ تَصُولُ أَمْ بِنِبَالِ؟

٤- قال محمود غنيم في وصف زلزال (أغادير) بالمغرب، وفيه اقتباس:

أَغَادِيرُ هَلْ حَانَ يَوْمُ النُّشُورِ ... وَزُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا؟

وَهَلْ بَعَثَ اللهُ مَنْ فِي القُبُورِ ... وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا؟

٥- وقال غنيم مخاطبًا مركبة (أبولو) الصاعدة إلىٰ سطح القمر:

بِرَبِّكِ يَا (أَبُولُو) حَدِّثِينَا: ... أَمَا فِي رُقْعَةِ القَمَرِ اخْضِرَارُ؟

أَمَا فِي سَطْحِهِ قَدْ شُقَّ نَهْرٌ؟ أَمَا فِي أَيْكِهِ غَنَّى هَزَارُ؟
أَلَا غَنَمٌ هُنَاكَ لَهَا ثُغَاءٌ؟ أَلَا بَقَرٌ هُنَاكَ لَهُ خُوَارُ؟

٦- وقال محمود غنيم يتغزل:

فِي أَيِّ جَنَّةِ خُلْدٍ أَنْتِ نَاشِئَةٌ؟ وَكَيْفَ أَفْلَتَ هَذَا الوَجْهَ رِضْوَانُ؟

٧- وقال علي الجارم في مناسبة فرارِ جَمَلٍ من جزَّاره، والتجائه إلىٰ قصر (عابدين):

(عَابدينُ) كَعْبَةُ مِصْرٍ، رُكْنُهَا حَرَمُ لِلْخَائِفِينَ إِذَا خَطْبٌ بِهِمْ نَزَلا
أَمْرٌ وَعَاهُ بَنُو الإِنْسَانِ وَحْدَهُمُ فَمَنْ بِرَبِّكَ قُلْ لِي أَخْبَرَ الجَمَلَا؟

٨- قال حافظ إبراهيم في رثاء ابنة محمود سامي البارودي:

دَاسَ الحِمَامُ عَرِينَ آسَادِ الشَّرَى يَا لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ كَانَ أَبُوكِ؟

٩- قال شوقي بمناسبة المؤتمر العلميّ الذي حضرهُ نخبة من علماء العالم بمصر:

هَلْ تَهْبِطُ النَّيِّرَاتُ الأَرْضَ أَحْيَانَا؟ وَهَلْ تُصَوَّرُ أَفْرَادًا وَأَعْيَانَا؟

١٠- وقال شوقي في الرثاء:

سَأَلْتُكَ: مَا المَنِيَّةُ؟ أَيُّ كَأْسٍ؟ وَكَيْفَ مَذَاقُهَا؟ وَمَنِ السُّقَاةُ؟

١١- قال الشاعر القروي شاكيًا غربته:

فَيَا دَمْعُ هَلْ أَنْتَ مِنْ لُجَّةٍ؟ وَيَا نَارُ هَلْ أَنْتِ مِنْ مَوْقِدِ؟

١٢- قال شاعر المهجر نصر سمعان في وصف جمال الطبيعة في (حمص):

ولِلْغُصُونِ حَفِيفٌ حَارَ سَامِعُهُ أَخَفْقُ أَوْرَاقِهَا أَمْ هَمْسُ عُشَّاقِ؟

١٣- قال شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا:

(نُــــوفَمْبَرُ) جَـــلَّ جَلَالُـــكَ فِينَـــا   أَلَسْـــتَ الـــذي بَـــثَّ فِينَـــا اليَقِينَـــا؟

١٤- قال الشاعر اللبناني عبد الحميد الرافعي يصف حزنه:

مِنْ عُنْصُرِ النَّـارِ أَوْ مِـنْ عُنْصُـرِ المَـاءِ   يَا دَمْعُ أَنْـتَ فَقَـدْ أَحْرَقْـتَ أَعْضَـائِي؟

١٥- قال مصطفى صادق الرافعي يتغزل:

فَتَنْـــتَ مِصْـــرًا فَهَـــلْ تَـــوَلَّى   يُوسُـــفُ يَـــا ذَا الـــدَّلَالِ مِصْـــرَا؟



حل التطبيق

١- أثارت الشاعرَ الصورةُ الفوتوغرافية المشهورة لشوقي: فقد كان شوقي يظهر في الصورة مطأطئ الرأس، ينظر إلىٰ الأرض كأنه يحمل همومها، لذا فالشاعر يتظاهر بجهله لرمزية هذه الصورة، وطفق يسأل: ترىٰ هل ضل شوقي في الحياة سبيله، واشتبكت عليه مسالك الصحراء، في ليلةٍ مظلمة غابت كواكبها ونجومها، فجلس جلسة الحائر تلك، يفكر في مخرج لما هو فيه؟ نقول إن الشاعر قد تجاهل معرفته، وغرضه من هذا التجاهل هو المبالغة في الوصف.

٢- أراد إيليا أبو ماضي أن يبالغ في شكره علىٰ تكريمه، فتظاهر أنه لا يصدق ما يجري حوله، وتساءل: هل هذه الحفلة التكريمية حقيقة أم محض حُلم جميل، ثم ادعىٰ أنه لا يعي ما يجري له، وهل هو واعٍ أم مغيب عن الوعي، كل ذلك من أجل المبالغة في امتنانه وشكره لمن بادر بهذا التكريم والتشريف.

٣- إن صبري قد خبله الحب، وسحرتْ عيونَه المُقَل، فأعمتْ بَصَرَه، لهذا يسأل إنْ كانت حسناؤه بسهمٍ تنازل، أم بهدبٍ تغازل؟ والغرض من هذا التجاهل التدله في الحب.

٤- أراد محمود غنيم أن يصف حجم الكارثة التي أحدثها زلزال أغادير، فهبَّ يسأل مدّعيا أن الأمر قد التبس عليه من شدة ذهوله، فلم يعد يعرف إن كان ما ألمّ بالمدينة زلزال دنيا أم زلزلة آخرة، وهل هو خطب ساعة، أم علامة قيام الساعة؟ وغرض هذا التجاهل هو المبالغة في الوصف.

٥- يتظاهر غنيم بأن الشك قد خالجه، فلم يعرف حقيقة سطح القمر، لذلك



فهو يسأل المركبةَ الفضائية عن غاباته وأشجاره، وأوديته وأنهاره، وحمامه وهزاره، وغنمه وأبقاره، وذلك لإفادة أنّ تلك الرحلة الفضائية قد بلغت من المجد والعظمة مبلغا يحصل معه مثلُ هذا الالتباس.

٦- في يقين الشاعر أنّ جمال المحبوبة ليس جمال نساء الدنيا، إنه لا يشك أبدا بكونها حورية من حوريات الجنة، لكن بقي فقط أن يعرف في أي جنان الخلد منشؤها؟ وكيف هبطت هذه الحورية إلىٰ الأرض في غفلة من (رضوان) خازن الجنة؟ نقول إن غرض الشاعر من هذا الصنيع هو المبالغة في الغزل، أو التدله في الحب.

٧- بغرض المبالغة في تعظيم قصر عابدين وساكنيه يتظاهر علي الجارم بالجهل، ويتساءل عن سبب لجوء الجمل إلىٰ القصر، يقول: إن هذا القصر، أو هذا (البيت) قد أطعم الناس من جوع، وآمنهم من خوف، وإن ذلك أمر أدركهُ الأنام، ولكن كيف أدركته الأنعام؟

٨- تساءل حافظ إبراهيم مستغربا: كيف يمكن للموت أن يدوس عرين الأسود، ويختطف أشباله من بين أحضانه؟ نقول: إن الشاعر قد تجاهل حكمة الموت من أجل المبالغة في رثاء شاعر السيف والقلم.

٩- أراد شوقي أن يعظم من شأن العلماء، فشبههم بالنجوم، كما أراد أن يعظم من شأن مصر، فشبهها بالسماء المرصعة بنجوم العلماء، لكننا نراه يدّعي في هذا البيت أن الأمر التبس عليه، فصار عاجزا عن تمييز المشبه من المشبه به.

١٠- هل يمكن أن نتخيل فعلا أن شوقي لا يعرف لتلك الأسئلة إجابات؟ إنه يعرف أكثر من كل الناس إجابات الأسئلة الأربعة، لكنه تظاهر بالجهل، موحيا أنه تحت وقع الصدمة، وغرض الشاعر من هذا الصنيع هو المبالغة في الرثاء.

١١- من أجل المبالغة في الوصف ادّعىٰ الشاعر القروي أن الأمر قد أشكل عليه، فما عاد يفرّق بين دموعه، وبين أمواج البحار المتلاطمة، كما لم يعد يفرق بين لوعته، وبين نيران المواقد الملتهبة.

١٢- الشاعر يسأل عمّا يعلمه حقيقة، فهو يدري أن حفيف تلك الغصون من خفق أوراق الأشجار، لكنه تجاهل ذلك، وتظاهر بأنه لا يدري، من أجل المبالغة في الوصف.

١٣- إن مفدي زكريا كان يعلم أن (نوفمبر) هو الذي زرع الوعي في نفوس الشعب الجزائري، فهو مصدر يقينهم بالتحرر والاستقلال، لكنه تظاهر بالجهل، وساق اليقين مساق الشك، وذلك بغرض المبالغة في تعظيم هذا الشهر.

١٤- بغرض المبالغة في وصف حزنه تظاهر الرافعي بجهله حقيقة هذا الدمع الذي يطلق شَرار الأسىٰ، فإن كانت هذه الدموع من الماء عنصرها - يتساءل الرافعي - فلمَ أشعلت كبدي، وجمَّرتْ أعضائي؟

١٥- شغفت تلك الحسناء شاعرنا حبا، وملكت مِصْرَ قلبه، فمسَّهُ الضر، وارتدَّ غيرَ بصير، مسحورَ العين يخلط بين جمال عزيز القلب، وبين جمال عزيز مصر. وغرض الشاعر من هذا الصنيع التدله في الحب.



تمرين

اشرح تَجَاهُل العَارِف، وبين غرضه في النماذج البلاغية الآتية:

حين سار ركب الملك فاروق الأول رأىٰ الشاعر علي الجندي حمامة استقرّت فوق المركبة الملكية، فقال:

سَـأَلَ النَّـاسُ مَـا تِلْـكَ الحَمَامَـهْ ؟ نَزَلَـتْ فَـوْقَ رَكْبِـهِ مُسْـتَهَامَهْ

أهِـيَ تَرْجُـو مِـنَ المَلِيـكِ نَـوَالًا ؟ أمْ أتَـتْ فِي حِمَـاهُ تَبْغِـي السَّـلَامَهْ ؟

أمْ تُرَاهَـا تَـدَلَّهَتْ فِي مُحَيًّـا يَـزْدَرِي البَـدْرَ نَضْـرَةً وَوَسَـامَهْ ؟

وقال علي الجندي يصف كتابًا أهداه إياه صديقه الأديب (مصطفىٰ غلّاب):

أجُمَـانٌ أمْ لُؤلُـؤٌ أمْ حَبَـابُ(١) أمْ شِـهَادٌ أمْ سُـكَّرٌ أمْ رُضَـابُ ؟

أمْ صَـبَاحٌ أمْ صَـفْحَةٌ مِـنْ لُجَـيْنٍ أمْ مُحَيًّـا أُمِـيطَ عَنْـهُ النِّقَـابُ ؟

أمْ كِتَـابٌ حَـوَى رَقِيـقَ المَعَـانِي وَالمَبَـانِي أهْـدَاهُ لِي (غَـلَّابُ) ؟

قَـدْ جَـرَى فِيـهِ لِلْبَلَاغَـةِ نَهْـرٌ وَهَـمَى فِيـهِ لِلْبَيَـانِ سَـحَابُ

قال الشاعر العراقي جعفر الحلي في ديوانه (سحر بابل وسجع البلابل):

عَقِيـقُ ثَغْـرِكَ قُـلْ لِي أَيْـنَ مَعْدِنُـهُ ؟ وَوَرْدُ خَـدِّكَ قُـلْ لِي أَيْـنَ وَادِيـهِ ؟

وقال جعفر الحلّي (وفيه حسن تعليل):

وَهَلْ عَشِقَتْكَ الشَّمْسُ فَاصْفَرَّ لَوْنُهَا وَأَضْـرَمَهَا مِنْـكَ الجَـوَى وَالتَّلَهُّـفُ ؟

---

(١) الحَباب: يطلق علىٰ الفقاقيع التي تعلو الشراب، كما يطلق علىٰ الطلّ الذي يصبح علىٰ النبات.

وقال أيضًا:

عَجِبْتُ لِلْمَوْتِ كَيْفَ اسْطَاعَ يَقْرُبُهُ أَخُفْيَةً جَاءَهُ أَمْ جَاءَهُ عَلَنَا ؟

قال بشارة الخوري يصف جمال بيروت:

وَيَمِيسُ البَانُ فِي ضِفَّاتِهَا أَتُرَى طَافَ بِهِ السَّاقِي بِكَأْسِ ؟

وقال الخوري:

يَكَادُ يَغْتَالُهُ فَرْطُ النُّحُولِ فَلَا تَدْرِي أَشَخْصًا رَأَتْ عَيْنَاكَ أَمْ شَبَحَا ؟

قال الشاعر المصري الكبير علي الجارم في المديح:

أَذَاكَ ابْتِسَامُ الغِيدِ مَا أَشْرَقَتْ بِهِ ثَنَايَاكَ، أَمْ زَهْرُ الرُّبَى المُتَضَوِّعُ ؟

وقال واصفا شعره:

إذَا قُلْتُهُ أَلْقَى عُطَارِدُ سَمْعَهُ وَسَاءَلَ شَمْسَ الأُفْقِ: مَنْ هُوَ قَائِلُهْ ؟

قال محمود غنيم يصف يوما عابسا كثير الأمطار:

فَقُلْتُ هَلْ ضَلَّ صَبَاحُ اليَوْمِ أَمْ أَغْرَقَتْ شَمْسُ الضُّحَى فِي النَّوْمِ ؟

وقال مخاطبًا البحر:

مَرَّتْ عَلَيْكَ قُرُونٌ لَيْسَ يَحْصُرُهَا عَدٌّ وَلَمْ تَشْكُ مِنْ شَيْبٍ وَلَا هَرَمِ

قُلْ لِي بِرَبِّكَ: كَهْلٌ أَنْتَ أَمْ هَرِمٌ أَمْ لَا تَزَالُ غُلَامًا بَالِغَ الحُلُمِ؟

وقال محمود غنيم في قصيدة (سَمَر الأدباء):

مَنْ هَؤُلَاءِ المَعْشَرُ السُّمَّارُ بِحَدِيثِهِمْ تَتَعَطَّرُ الأَسْحَارُ؟

وقال محمود غنيم في وصف شجاعة المجاهدة الجزائرية (جميلة بوحيرد):

أَنَا لَسْتُ أدْرِي: مِنْ زَئِيرِ كَانَ صَوْتُكِ أَمْ مِنْ صُدَاحْ ؟

قال الشاعر السوري سليمان الصولة:

هَـذَا الخِمَـارُ مِـنَ الفَـيْرُوزِ مَعْدِنُـهُ ؟ أَمْ مِنْ خَيَـالِ العُيُـونِ الزُّرْقِ وَاحَرَبَـا ؟

وقال متغزلًا:

بَــانٌ تَمَايَــلَ أَمْ قِوَامُــكَ أَهْيَــفُ ؟ وَرَنَتْ لِحَاظُكَ أَمْ حُسَامُكَ مُرْهَفُ ؟

وَجِنَــانُ خُلْــدٍ أَيْنَعَــتْ أَزْهَارُهَــا أَمْ ذَاكَ خَـدُّكَ بِالجَمَـالِ يُزَخْـرَفُ ؟

وقال أيضًا:

حَـاكَى حَبَـابُ الـرَّاحِ لُؤْلُـؤَ ثَغْرِهَـا فَجَهِلْــتُ أَيُّهُمَــا فَــمُ الصَّــهْبَاءِ؟

قال محمود سامي البارودي:

إذَا سَــفَرَتْ والبَــدْرُ لَيْلَــةَ تَمِّــهِ ولَاحَـا سَـوَاءً قِيـلَ: أَيُّهُمَـا البَـدْرُ؟

قال بشارة الخوري:

طَالَعْتُ وَجْهَكِ وَالصَّبَاحَ فَلَمْ أَكَـدْ أَتَبَــيَّنُ الصُّــبْحَ المُنَــوَّرَ مِنْهُمَــا

قال نزار قباني في الغزل:

أَأَنْــتَ الَّــذِي يَــا حَبِيـبِي نَقَلْــتَ لِــزُرْقِ العَصَــافِيرِ أَخْبَارَنَــا ؟

فَجَــاءَتْ جُمُوعًــا جُمُوعًــا تَــدُقُّ مَنَاقِيرُهَــا الحُمْــرُ شُــبَّاكَنَا؟

وَتُغْــرِقُ مَضْــجَعَنَا زَقْزَقَــاتٍ وَتَغْمُــرُ بِــالقَشِّ أَبْوَابَنَــا ؟

قال إيليا أبو ماضي في وصف طفلة صغيرة:

دُمْيَــةٌ حَسْــنَاءُ تُغْــرِي النَّظَــرَا؟ أمْ مَــلَاكٌ طَــاهِرٌ فَــوْقَ الــثَّرَى ؟

قال حافظ إبراهيم في رثاء سعد زغلول:

أيْــنَ سَــعْدٌ؟ فَــذَاكَ أَوَّلُ حَفْــلٍ غَــابَ عَــنْ صَــدْرِهِ وعَــافَ الخِطَابَـا

لَــمْ يُعَــوِّدْ جُنُــودَهُ يَــوْمَ خَطْــبٍ أَنْ يُنَــادَى فَــلَا يَــرُدُّ الجَوَابَــا

عَلَّ أَمْرًا قَدْ عَاقَهُ؟ عَلَّ سُقْمًا ... قَدْ عَرَاهُ؟ لَقَدْ أَطَالَ الغِيَابَا

قال محمد العيد آل خليفة في وصف جسر قسنطينة الجزائري:

لَمْ أَدْرِ حِينَ رَأَيْتُهُ مُتَنَائِيًا ... أَيَقِلُّ نَاسًا أَمْ يَقِلُّ نِمَالا؟

قال أحمد شوقي:

سَأَلْتُ القَلْبَ عَنْ تِلْكَ اللَّيَالِي ... أَكُنَّ لَيَالِيًا أَمْ كُنَّ سَاعَا؟

فَقَالَ القَلْبُ: بَلْ مَرَّتْ عِجَالًا ... كَدَقَّاتِي لِذِكْرَاهَا سِرَاعَا

قال رشيد أيوب شاكيا غربته في أرض المهجر:

دُمُوعٌ بِعَيْنِي لَمْ تَجْمُدِ ... وَنَارٌ بِقَلْبِي لَمْ تَخْمُدِ

فَيَا دَمْعُ هَلْ أَنْتَ مِنْ لُجَّةٍ ... وَيَا نَارُ هَلْ أَنْتِ مِنْ مَوْقِدِ؟

قال الشاعر القروي في رثاء شهيد:

أَشَهِيدًا عَلَّقُوا أَمْ جَرَسًا ... رَنَّ فَاهْتَزَّ لَهُ قَلْبُ الوُجُودِ

وَسَرَتْ أَلْحَانُهُ مُطْرِبَةً ... حَوْلَ عَرْشِ اللهِ أَرْوَاحَ الجُدُودِ؟

قال أمين الجندي، وفيه حسن تعليل:

جَبِينُكِ أَمْ نُورُ الصَّبَاحِ لَنَا بَدَا؟ ... وَلَحْظُكِ أَمْ سَيْفٌ لِقَتْلِي تَجَرَّدَا؟

وَفِي الخَدِّ وَرْدٌ مِنكِ أَمْ سَالَ فَوْقَهُ ... دَمِي فَاكْتَسَى مِنْ لَونِهِ وَتَوَرَّدَا؟

وَخَالٌ عَلَى كُرْسِيِّ وَجْنَتِكِ اسْتَوَى ... فَدَيْتُكِ أَمْ ذَاكَ النَّجَاشِيُّ تَسَوَّدَا؟



المُشَاكَلَة

المَشَاكَلَة لغة: هي المُشَابَهَةُ والمُمَاثَلَة، «يُقَالُ: تَشَاكَلَ الشَّيْئَان، وشَاكَلَ كُلٌّ مِنْهُمَا صَاحِبَه: صَارَ شَبِيهًا لَهُ ومَثِيلا»(١).

المشاكلة اصطلاحًا: هي ذِكْرُ الشَّيءِ بِلَفْظِ غَيْرِه، لِوُقُوعِهِ في صُحْبَتِه، أيْ لِمَجِيئِهِ مَعَهُ فِي سِيَاقِ الكَلام(٢).

شواهد المشاكلة:

حين وقف الشاعر حافظ إبراهيم لإنشاد قصيدة في رثاء الشاعر إسماعيل صبري أكثر المجتمعون التصفيق، فقال مرتجلًا:

أكْثَرْتُمُ التَّصْفِيقَ فِي مَوْطِنٍ ... كَانَ البُكَا فِيهِ بِنَا ألْيَقَا

فَأكْرِمُوا (صَبْرِي) بِإنْصَاتِكُمْ ... وَلْيُعْذَرِ الدَّمْعُ إذَا صَفَّقَا

أتىٰ حافظ إبراهيم في البيت الأول علىٰ ذكر التصفيق، وذلك بمعناه الحقيقي، ثم ذكر في عجز البيت الثاني عبارة (ولْيُعْذَرِ الدَّمْعُ إذَا صَفَّقَا)، فكيف يصفّق الدمع؟ الدمع لا يصفّق أيها الشاعر العظيم، ولكنك أتيتَ بتلك العبارة لوقوعها في صحبة تصفيق الأيدي، أيْ لمجيئها معها في سياق الكلام.

وحين خرج الشاعر إبراهيم ناجي من مصر مريضًا، ورجع إليها مكسور الساق يمشي بعكازين قال:

خَرَجْتُ مِنَ الدِّيَارِ أَجُرُّ هَمِّي ... وَعُدْتُ إلَى الدِّيَارِ أَجُرُّ سَاقِي

---

(١) الفنون البديعية فوزي السيد عبد ربه عيد (ص ١٣٨).

(٢) دراسات في علم البديع (ص ٤٨).

يريد الشاعر أن يقول إنه قد خرج من بلاده مهموما بسبب المرض الذي ألمَّ به، فعبَّرَ عن ذلك المعنىٰ بقوله: (أجرُّ همِّي)، وذلك لتشاكل جملة (أجرُّ ساقي)، أي لمجيئها معها في سياق الكلام.

وحين كان الأمير الخديوي عباس وشاعره أحمد شوقي يشارفان بعضَ الأعمال، لم تكن لشوقي ما يتقي به حرّ الشمس، فناوله الأميرُ مظلة كانت في يده، فقال شوقي:

عَبَّاسُ مَوْلَايَ أَهْدَانِي مِظَلَّتَهُ ... يُظَلِّلُ اللهُ عَبَّاسًا وَيَرْعَاهُ

مَا لِي وَلِلشَّمْسِ أَخْشَاهَا وَأَحْذَرُهَا؟ ... مَنْ كَانَ فِي ظِلِّهِ فَالشَّمْسُ تَخْشَاهُ

وقد وقعت المشاكلة في قول الشاعر: (الشمسُ تخشاهُ)، وذلك لوقوعها في صحبة (ما لي وللشمس أخشاها؟)، أي لمجيئها معها في سياق الكلام.

وحين أقام إبراهيم دسوقي أباظة مأدبة فاتهُ أن يدعوَ إليها الشاعر محمود غنيم – علىٰ ما بينهما من صلة – فكتب إليه مداعبًا:

أَأَمْنَحُ إِبْرَاهِيمَ أَشْهَى قَصَائِدِي ... وَغَيْرِي إِلَى أَشْهَى مَوَائِدِهِ يُدْعَى؟

يريد القول: (أجمل قصائدي)، ولكنه عبَّر عن ذلك بقوله: (أشهىٰ قصائدي)، لتشاكل (أشهىٰ موائده).

وحين أهدىٰ الشاعرُ علي محمود طه نسختين من ديوانه «المَلّاح التَّائه» إلىٰ الشاعر محمود غنيم، فضاعت كلتاهما بالبريد، كتب إليه غُنيم قائلا:

بَعَثْتَ بِمَلَّاحِكَ التَّائِهِ ... وَطَوَّقْتَ جِيدِي بِإِهْدَائِهِ

وَلَكِنَّهُ تَاهَ فِي ظُلُمَاتِ الـ ... مُحِيطِ، وَضَلَّ بِأَحْشَائِهِ

فالشاعر كما رأيت قد أتىٰ بالبيت الثاني كاملا ليشاكل به (الملاح التائه).

وقال محمود غنيم في وصف فلاح مصري لا يقرأ ولا يكتب:

هُــوَ لَا يَرْتَقِــي المَنَــابِرَ، لَكِــنْ فَأْسُــهُ فِي الــثَّرَى تُجِيــدِ الخَطَابَــهْ

الشاعر يريد القول إنّ الفلاح ما هو بعالِمٍ في المخابر، ولا هو بخطيبٍ في المنابر، إلا أنه عالمٌ بأسرار وأبجديّات مهنته، فوظَّف عبارة (فأسه تجيد الخطابة) لوقوعها في صُحبة (هو لا يرتقي المنابر).

وقريب منه قول الشاعر الجزائري مفدي زكريا في وصف ثورة (نوفمبر) المجيدة:

يَــوْمَ لَـمْ يَفْهَمُـوا الحَـدِيثَ فَصِـيحًا فَتَــوَلَّى الرَّصَــاصُ دَرْسَ الفَصَــاحَهْ

يريد شاعر الثورة الجزائرية أن يقول: إن الاستعمار لم يفهم لغة الخطاب، فكان لزاما على الشعب أن يثور على الطغيان، وذلك بحمل السلاح. لكنه وظف في الشطر الثاني عبارة (تولى الرصاص درس الفصاحة) لوقوعها في صحبة (لم يفهموا الحديث فصيحا).

قال الشاعر اللبناني إلياس عبد الله طعمة في حسناء تتحلّى بعقد من الجُمان:

فَقَالَــتْ تُــرَى أَيُّ الجُمَــانِ مُفَضَّــلٌ؟ فَقُلْــتُ جُمَــانُ الثَّغْــرِ خَــيْرُ جُمَــانِ

أراد الشاعر بـ (جُمان الثغر) أسنان المحبوبة، وقد عبر بهذا التعبير ليشاكل به (عقد الجمان) موضوع السؤال. نقول إن الشاعر في جوابه قد خرج عن الموضوع، وذلك من أجل أن يثبت فصاحته، ويوقع على بلاغة المشاكلة.

قال الشاعر القروي:

لَــبَّى فَجَــرَّدَ سَــيْفَهُ مِــنْ غِمْــدِهِ بَــلْ قُــلْ: فَجَــرَّدَ عَزْمَــهُ مِــنْ صَــبْرِهِ

فالشاعر قد عبّر بلفظ (جرد عزمه من صبره)، ليشاكل به التركيب (جرد سيفه من غمده)، لوقوعه معه في سياق الكلام.

وقال الشاعر القروي في واحدة من روائع الشعر العربي:

فَبَعْضُ النَّاسِ يُدْفَنُ فِي تُرَابٍ   وبَعْضُ النَّاسِ يُدْفَنُ فِي الكُبُودِ

الشاعر يريد القول إن بعض الناس وإن ماتوا يبقوا أحياء، تذكرهم القلوب، ولا تنساهم، لكنه عبّر بجملة (يدفن في الكبود) لوقوعها في سياق (يدفن في تراب).

وقال القروي في قصيدة (السمكة الشاكرة):

لا تَقْرَبِي بَرًّا فَكَمْ حُوتٍ بِهِ   تَغْنُو لَهُ حِيتَانُ بَحْرِكِ فَاتَّقِي

عبر الشاعر عن الإنسان المسيء، الساعي إلىٰ الشر بلفظ (الحوت)، وذلك لوقوعه في سياق (حيتان بحرك).

وقال الشاعر القروي مخاطبا الأغنياء الذين يكتنزون الأموال:

وَدَّتْ مَلايِينُكُمْ لَوْ كُنْتُ سَيِّدَهَا   كَيْمَا تُحَرَّرَ مِنْ رِقِّ الصَّنَادِيق

فالشاعرُ يريد (كيما تُنْفَق)، فوضع (تُحَرَّرَ) لوقوعها في صُحبة (سيّدَها).

قال بطرس كرامة مادحًا:

رَأى المَالَ لَا يَبْقَى وَتَبْقَى مَحَامِدٌ   فَأفْنَى كُنُوزَ المَالِ وَاكْتَنَزَ الثَّنَا

أي فضل الثناء علىٰ المال، فعبّر عن التفضيل والاختيار بلفظ (اكتنزَ)، لوقوعه في صحبة (كنوز المال).

قال نزار قباني مخاطبا (تونس الخضراء):

أنَا مُتْعَبٌ، ودَفَاتِرِي تَعِبَتْ مَعِي   هَلْ للدَّفَاتِرِ يَا تُرَى أعْصَابُ؟

ليس للدَّفاتر أعْصَاب، وهي لا تَتْعَب أبدا، ولكن الشَّاعر أتىٰ بعبارة: (دَفَاتِرِي تَعِبَتْ) علىٰ شَاكِلَة: (أنا مُتْعَب) لوُقُوعِها في صُحْبتها، أيْ في سياقِها.

وقال أيضًا:

تَسْتَطِيعُ بِئْرُ النَّفْط

أنْ تَضُخَّ عَشَرَةَ ملايين بِرْمِيل يومِيًّا

ولكنَّها، لا تستطيعُ أنْ تَضُخَّ
مُتَنَبِّيًا واحِدًا.

الشاعر وضع عبارة (تَضُخَّ مُتَنَبِّيًا)، من أجل المشاكلة، وذلك لوقوعها في صحبة (بئر النَّفْط).

وقال فيما يشبه المثال التقليدي للمشاكلة (اطبخُوا لي جُبّةً وقميصا):

اشْتَرُوا لِي
وَرَقًا أخْضرَ مَصْقُولاً كَأَعْشَابِ الرَّبِيعْ
ومِدَادًا ومَطَابِعْ
وخَلُّوهَا أمَامِي
واطْبُخُوا لي شَاعرًا
واجْعَلُوهُ بيْنَ أطْبَاقِ طَعَامِي.

فالشاعر قد عبّر بلفظ (اطبخوا)، ليشاكل به التركيب (أطباق طعامي)، لوقوعه معه في سياق الكلام.

قال ناصيف اليازجي في وصف قصيدة لأحد إخوانه:

لَقَدْ فَتَّحَتْ أكْمَامَ أَسْمَاعِنَا لَهَا كَمَا فَتَّحَتْ زَهْرَ الرُّبَى أنْمُلُ الطَّلِّ

أراد الشاعر أن يعبر عن إعجابه بالقصيدة التي أطربت سمعه، فأتىٰ بعبارة (أكمام أسماعنا) لوقوعها في صحبة (زهر الربىٰ)، أي لمجيئها معها في سياق الكلام.

ومن نماذج المشاكلة قول الشاعر الجزائري الشيخ أحمد سحنون:

إذَا لَمْ تَبْتَسِمْ مِنَّا قُلُوبٌ فَلَا جَدْوَى إذَا ابْتَسَمَتْ ثُغُورُ

أراد الشاعر بقوله: (تبتسم منا قلوب) اطمئنان القلوب وتصالحها، فالشاعر قد ذكر (الاطمئنان) بلفظ (الابتسام)، لوقوعها في صحبة ابتسام الثغور.

قال علي الجارم في قصيدة (الشَّرِيد):

مُشَرَّدٌ يَأْوِي إلى هَمِّهِ إذا أَوَى الطَّيْرُ إلى وَكْرِهِ

ذكر الشاعر عبارة (يأوي إلىٰ همه) لوقوعها في سياق (أوىٰ الطير إلىٰ وكره).

قال معروف الرصافي في المدراس:

واسْقُوا المُتَلْمَذَ فِيهَا خَمْرَ مَكْرُمَةٍ عَنْ خَمْرَةِ الكَرْمِ تُمْسِي عِنْدَهُ بَدَلَا

فالشاعر قد أتىٰ بعبارة (خَمْرَ مَكْرُمَةٍ) لتُماثل وتشاكل عبارة (خَمرةِ الكرم) لوقوعها في صُحبتها.

وأجمل منه قول محمد العيد آل خليفة في خطابه إلىٰ الشاعر أبي القاسم خمَّار:

أَبَا قَاسِمٍ مِنْ خَمْرَةِ الشِّعْرِ فَاسْقِنِي فَأَنْتَ بِهَا، لَا خَمْرَةِ الكَرْمِ خَمَّارُ

قال أحمد شوقي مُهَنِّئًا الشاعر إسماعيل صبري علىٰ نجاته من حادثة قطار:

فَقُلْ لِي عَنْ رُضُوضِكَ كَيْفَ أمْسَتْ؟ فَقَلْبِي فِي رُضُوضٍ مُؤْلِمَاتِ

الشاعر يقصد أنَّ قلبه متألمٌ من تلك الحادثة، فعبّر بلفظ (رُضُوض)، ليشاكل بها لفظ (رضوضك).

وقال أحمد شوقي في رثاء غريق:

مَتَى صِرْتَ يا بَحْرُ غِمْدَ السُّيُوفِ وَكُنَّا عَهِدْنَاكَ غِمْدَ السُّفُنِ؟

فالشاعر وضع عبارة (غمد السفن)، لتشاكل (غمد السيوف)، وذلك لوقوعها في صحبتها.

ومن النماذج النثرية للمشاكلة قول الشاعر والأديب السوري نزار قباني: «كُنْتُ أوَّلَ مَنْ أعْلَنَ تَأْمِيمَ الشِّعْرِ قَبْلَ أنْ يُؤَمِّمَ جَمَالُ عَبْدُ النَّاصِرِ قَنَاةَ السُّوِيس». يريد الشاعر أن يقول: لقد كنتُ أوَّلَ من غيَّر خريطة الشعر العربي، حين حرَّرتُه، وأنزلتُه إلىٰ الميادين، وجعلته ملكيَّة خاصة للجماهير، بعد أن ظل لقرون طويلة حبيسَ بلاط الملوك والسلاطين، وجعلته - علىٰ حدِّ تعبيره - خبزًا شعبيا يأكله الجميع... فالشاعر كما رأيت وضع عبارة (تأميم الشعر) ليشاكل بها عبارة (تأميم قناة السويس).

ومن نماذجها النثرية قول توفيق الحكيم: «يَقُولُ المَثَلُ الصِّينِيُّ: «بَدَلَ أنْ تُعْطِيَ أحَدَهُمْ سَمَكَةً، عَلِّمْهُ كَيْفَ يَصْطَاد»، كَذَلِكَ الحَالُ إذا كَانَ التَّعْلِيمُ هو إعْطَاءُ تَفْكِيرِ الغَيْرِ فَقَط، أمَّا إذا كَانَ المُتَعَلِّمُ يَصْطَادُ بِنَفْسِهِ الفِكْر، فإنَّهُ يُصْبِحُ مُنْتِجًا، ويَدْخُلُ في نِطَاقِ الحَضَارَةِ المُنْتِجَة».

فالكاتبُ قد ذكر (اصطياد الفِكْر)، ليشاكل بها (اصطياد السَّمك)، لوقوعها معها في سياق الكلام.

ومنها قول ميخائيل نعيمة: «لَسْتُ أخْجَلُ بالشَّرْقِ فَارِغَ الجَيْب، ضَامِرَ البَطْن، وأخْجَلُ بِهِ فَارِغَ القَلْبِ ضَامِرَ الإيمَان، لَسْتُ أخْجَلُ بالشَّرْقِ يَأْكُلُ خُبْزَهُ علىٰ صِينِيَّةٍ ضَفَرَتْهَا يَدُهُ مِنْ سَنَابِلَ أنْبَتَتْهَا تُرْبَتُه، وأخْجَلُ بِهِ يَحْتَسِي الهَوَانَ بِمَلاعِقِ الجُشَعَاءِ عَلَىٰ مَوَائِدِ الجُشَعَاء».

فالكاتبُ كما ترىٰ وضع عبارة (فارغ القلب، ضامر الإيمان)، لوقوعها في صحبة (فارغ الجيب، ضامر البطن)، ووضع لفظ (يحتسي)، ليشاكل به لفظ (يأكل خبزه).

ومن روائع حِكَمِ ميخائيل نعيمة في هذا الفن البديعي: «عَجِبْتُ لِمَنْ يَغْسِلُ

وَجْهَهُ عِدَّةَ مَرَّاتٍ في اليَوْم، ولا يَغْسِلُ قَلْبَهُ مَرَّةً وَاحِدَةً في السَّنَة». فالكاتبُ يريد: (طهارة القلب)، فوضع (يغسل قلبه)، لتُشاكل عبارة (يغسل وجهه).

ومنها قول أحد أدباء العصر الحديث: «قَدِيمًا كَانَ النَّوْمُ سَهْلا: بِمُجَرَّدِ أنْ يَنْطَفِئ الضَّوْء، يَحْضُرُ النَّوْم، أمَّا الآنَ فكُلَّمَا أطْفَأْنَا الأنْوَارَ لِكَيْ نَنام، أَوْقَدَ التَّفْكِيرُ شُمُوعَهُ حَتَّىٰ الصَّبَاح». فالكاتب يقصد أنَّ الأرَقَ قد استبدَّ بالإنسان في العصر الحديث، فجاء بعبارة (أوقدَ التفكيرُ شموعه)، لوقوعها في صحبة (أطفأنا الأنوار).

بلاغة المشاكلة:

«للمشاكلة أثر في بلاغة الكلام، وسموّه، ورفعته»[1]، فهي كما رأينا في أمثلتها تبرز سلطان الألفاظ، وهي تخلع علىٰ كلام الأديب ثوب الروعة، وذلك إذا اتّسمت بسمتيْ الطبع، والفطرة، وذلك حين يحرص الأديب علىٰ المعنىٰ، أما إذا كانت متكلفة متصنعة، فإنها تقتل المعنىٰ، وتكفّنُ محاسنه. وهناك صفة يجب إبرازها في بلاغة المشاكلة، وهي ترشيحها بألوان أخرىٰ من البيان والبديع، كالاستعارة، والكناية، والجناس، والطباق، وغيرها، وسأستعرض معك بيان ذلك ممّا سبق من أمثلة المشاكلة:

فلو تأملت قول نزار قباني:

أنَا مُتْعَبٌ، ودَفَاتِرِي تَعِبَتْ مَعِي ... هَلْ للدَّفَاتِرِ يَا تُرَى أعْصَابُ؟

لوجدت الشاعر قد رشح المشاكلة بالاستعارة المكنية.

ومن ترشيح المشاكلة بالاستعارة التصريحية قول الشاعر القروي:

لا تَقْرَبِي بَرًّا فَكَمْ حُوتٍ بِهِ ... تَعْنُو لَهُ حِيتَانُ بَحْرِكِ فَاتَّقِي

---

(١) الفنون البديعية (ص ١٥٢).

وترشيحها بالتشبيه تجسد في قول اليازجي:

لَقَدْ فَتَّحَتْ أَكْمَامَ أَسْمَاعِنَا لَهَا كَمَا فَتَّحَتْ زَهْرَ الرُّبَى أَنْمُلُ الطَّلِّ

وأمّا قول أحمد شوقي:

فَقُلْ لِي عَنْ رُضُوضِكَ كَيْفَ أَمْسَتْ؟ فَقَلْبِي فِي رُضُوضٍ مُؤْلِمَاتِ

فهو ترشيح المشاكلة بالكناية.

وترشيحها بالكناية كذلك في قول القروي:

فَبَعْضُ النَّاسِ يُدْفَنُ فِي تُرَابٍ وبَعْضُ النَّاسِ يُدْفَنُ فِي الكُبُودِ

ومن ترشيح المشاكلة بأسلوب الحكيم قول إلياس عبد الله طعمة في حسنائه التي تحلّتْ بعقد الجمان:

فَقَالَتْ تُرَى أَيُّ الجُمَانِ مُفَضَّلٌ؟ فَقُلْتُ جُمَانُ الثَّغْرِ خَيْرُ جُمَانِ

ومن ترشيحها بحسن التعليل قول مصطفىٰ صادق الرافعي:

عَذَرْتُ فُؤَادًا رَآكِ فَطَارَا كَذَا الطَّيْرُ إِمَّا لَمَحْنَ النَّهَارَا

وأمّا قول الرصافي:

واسْقُوا المُتَلْمَذَ فِيهَا خَمْرَ مَكْرُمَةٍ عَنْ خَمْرَةِ الكَرْمِ تُمْسِي عِنْدَهُ بَدَلَا

فهو ترشيحٌ للمشاكلة بالجناس.

وترشيحها بالطباق حاصل في قول إبراهيم ناجي:

خَرَجْتُ مِنَ الدِّيَارِ أَجُرُّ هَمِّي وَعُدْتُ إِلَى الدِّيَارِ أَجُرُّ سَاقِي

ممَّا سبق يمكن القول إنَّ المشاكلة تُكسب الأسلوبَ جمالا، نفتقده إذا ما ذُكر اللفظ الحقيقي وحده، بينما يزداد هذا الجمال إشراقا حين تُصاحب المشاكلة صورةً بيانية، أو لونًا بديعيا ما.

التطبيق

حدد المشاكلة في النماذج البلاغية الآتية، واشرحها:

١- قال محمود غنيم يصف أحوال الموظف:

فَإِذَا جُعْتَ فَامْضَغِ الصَّبْرَ مَا أَحْـ ... لَاهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ مَذَاقَا!

٢- وقال محمود غنيم في الرثاء:

لا تَنْشُرُوا الأَزْهَارَ حَوْلَ ضَرِيحِهِ ... فَخِلَالُهُ يَنْفَحْنَ فِي أَنْحَائِهِ

٣- وقال محمود غنيم:

إِنَّ المُجَاهِدَ مَنْ أَغَارَ بِفِكْرِهِ ... لَا مَنْ أَغَارَ بِسَيْفِهِ وَسِنَانِهِ

٤- وقال غنيم في وصف فضائل العرب:

المَجْدُ يَنْبُتُ فِي الصَّحَارِي وَالعُلَا ... بَدَلَ المُرُوجِ الخُضْرِ وَالأَشْجَارِ

٥- قال علي الجارم في رثاء أحمد شوقي:

كَمْ يَتِيمٍ مِنَ المَعَانِي غَرِيبٍ ... مَسَحَتْ كَفُّهُ عَلَيْهِ فَصَانَهْ

٦- قال علي الجارم:

أَسَاءُوا إِلَى الأَسْيَافِ حَتَّى تَحَطَّمَتْ ... وَمَا مَرَّةً لِلْمُسْتَجِيرِ أَسَاءُوا

٧- قال معروف الرصافي:

أَوَلَمْ تَدْرِ أَنَّ لِلدَّهْرِ عَيْنًا ... إِنْ تَنَمْ عَيْنُ أَهْلِهِ لَنْ تَنَامَا؟

٨- قال الشاعر القروي مخاطبًا أمريكا:

لا تُرْسِلُوا الخُبْزَ لَيْسَ الخُبْزُ مُمْتَنَعًا ... بَلْ أَرْسِلُوا العِزَّ إِنَّ العِزَّ مُمْتَنِعُ

٩- قال خليل مطران:

أَبَى اللهُ أَنْ أُلْفَى كَغَيْرِي مُولَعًا بِخَلْعِ أَحِبَّائِي كَخَلْعِ ثِيَابِي

١٠- وقال خليل مطران في وصف فتًى عازف:

تَتَدَفَّقُ الأَوْتَارُ تَحْتَ بَنَانِهِ كَتَدَفُّقِ الأَنْهَارِ بِالأَنْغَامِ

١١- قال ناصيف اليازجي:

إِنَّ ابْنَ وُدِّكَ مَنْ يَرَاكَ بِقَلْبِهِ لَا مَنْ يَرَاكَ بِعَيْنِهِ فَيُغَازِلُ

١٢- وقال ناصيف اليازجي راثيا فقيدًا في ليلة عيد:

وَيْلٌ لَنَا مِنْكِ قَدْ هَيَّمْتِنَا طَرَبًا مِنْ رَنَّةِ النَّوْحِ لَا مِنْ رَنَّةِ العُودِ

١٣- قال حافظ إبراهيم علىٰ لسان الفلاحين:

فَحَبَّاتُ القُلُوبِ تَسُوقُ شُكْرًا إِلَيْكَ بِقَدْرِ حَبَّاتِ الغِلَالِ

١٤- قال الشاعر الجزائري محمد الأخضر السائحي:

إِذَا شَابَ رَأْسُ المَرْءِ شَابَتْ طِبَاعُهُ وَجَفَّ شُعُورٌ عِنْدَهُ مُتَلَهِّبُ

١٥- قال محمد العيد آل خليفة في تحية جمعية العلماء المسلمين في اجتماعها التأسيسي الأول:

بَسَطْنَا لَكُمْ مِنَّا قُلُوبًا خَفِيَّةً فَدُوسُوا عَلَيْهَا وَلَا تَدُوسُوا عَلَى التُّرْبِ

١٦- قال شاعر معاصر:

النَّاسُ تَلْهُو بِصَارُوخٍ وطَائِرَةٍ ونَحْنُ نَلْهُو بِأَوْتَارٍ وعِيدَانِ



حل التطبيق

١- أتىٰ الشاعر بعبارة (فامضغ الصبر) لوقوعها في صحبة (إذا جُعت)، أي لمجيئها معها في سياق الكلام.

٢- استعمل الشاعر عبارة (خلاله ينفحن) لوقوعها في صحبة (الأزهار)، أي لمجيئها معها في سياق الكلام.

٣- أتىٰ الشاعر بعبارة (أغار بفكره) لوقوعها في صحبة (أغار بسيفه)، أي لمجيئها معها في سياق الكلام.

٤- أتىٰ الشاعر بعبارة (المجد ينبت) لوقوعها في صحبة (المروج والأشجار)، أي لمجيئها معها في سياق الكلام.

٥- استعمل الشاعر عبارة (مسحت كفه عليه) لوقوعها في صحبة (كم يتيم)، أي لمجيئها معها في سياق الكلام.

٦- وضع الشاعر (أساءوا إلىٰ الأسياف) ليشاكل بها عبارة (أساءوا للمستجير) لوقوعها في صحبتها.

٧- أتىٰ الشاعر بعبارة (للدهر عين) لوقوعها في صحبة (عين أهله)، أي لمجيئها معها في سياق الكلام.

٨- أتىٰ الشاعر بعبارة (أرسلوا العز) لوقوعها في صحبة (لا ترسلوا الخبز)، أي لمجيئها معها في سياق الكلام.

٩- استعمل الشاعر عبارة (خلع أحبّائي) لوقوعها في صحبة (خلع ثيابي)، أي لمجيئها معها في سياق الكلام.

١٠- أتىٰ الشاعر بعبارة (تتدفَّق الأوتار) لوقوعها في صحبة (تدفُّق الأنهار)، أي لمجيئها معها في سياق الكلام.

١١- استعمل الشاعر عبارة (يراك بقلبه) لوقوعها في صحبة (يراك بعينه)، أي لمجيئها معها في سياق الكلام.

١٢- أتىٰ الشاعر بعبارة (رنة النوح) لوقوعها في صحبة (رنة العود)، أي لمجيئها معها في سياق الكلام.

١٣- أتىٰ الشاعر بـ (حبّات القلوب) لوقوعها في صحبة (حبات الغلال)، أي لمجيئها معها في سياق الكلام.

١٤- استعمل الشاعر عبارة (شابت طباعُه) لوقوعها في صحبة (شاب رأس المرء).

١٥- استعمل الشاعر عبارة (دوسوا علىٰ القلوب) لوقوعها في صحبة (لا تدوسوا علىٰ الترب)، أي لمجيئها معها في سياق الكلام.

١٦- قصد الشاعر أنَّ الغرب أصبح يهتم بصناعة الصواريخ والطائرات، لكنّه عبّر بلفظ (تلهو بصاروخ)، لوقوعه في صحبة: (نلهو بأوتار وعيدان).



تمرين

حدد المشاكلة، وبيّنْ قيمتها الجماليّة فيما يأتي:

قال توفيق الحكيم: «إنَّ الغِذَاءَ العَقْلِيَّ للجِنْسِ البَشَرِيّ إنَّمَا يُعَدُّ الآنَ إعْدَادًا فِي مَطَابِخِ الصُّحُف، فالصَّحِيفَةُ المِثَالِيَّةُ فِي نَظَرِي مَائِدَةٌ يَجِبُ أنْ تَكُونَ حَافِلَةً بِكُلِّ أنْوَاعِ الفِيتَامِينَات، يَتَنَاوَلُ القَارِئُ مِنْهَا مَا يُنَمِّي اطّلاعَه، ويُقَوِّي عَضَلاتِهِ المُفَكِّرَة».

قال ميخائيل نعيمة: «أمَا رَأَيْتَ عَنْكَبُوتًا تَنْسِجُ مِنْ لُعَابِهَا شَبَكَةً عَجِيبَةَ الصُّنْعِ والهَنْدَسَة؟ إنَّ كُلَّ خَيْطٍ مِنْ خُيُوطِ تِلْكَ الشَّبَكَةِ هُوَ دَرْبٌ للعَنْكَبُوتِ إلىٰ الفَرِيسَةِ الّتِي تَسْتَعِينُ بِهَا عَلَىٰ الحَيَاة، ولَوْ تَأَمَّلْتَ العَنَاكِبَ البَشَرِيَّةَ لَوَجَدْتَهَا هِيَ كَذَلِكَ تَنْسِجُ شِبَاكًا مِنَ الدُّرُوبِ العَجِيبَةِ الصُّنْعِ والهَنْدَسَة، لِتَصْطَادَ بِهَا لَذَّةَ البَقَاء».

قال المنفلوطي في رثاء ابنه، بعدما نَفَضَ يَدَيْه مِنْ تُرابِ قَبْرِه: «إنَّ قارُورَةَ المَنِيَّةِ التي كَانَ يَحْمِلُهَا لكَ القَدَرُ في يَدِهِ لَمْ تَكُنْ أمَرَّ مَذَاقًا في فَمِكَ مِنْ قارُورة الدَّوَاءِ الّتِي كُنْتُ أحْمِلُها لكَ في يَدِي».

وقال أيضا: «أخسُّ النَّاسِ طَبْعًا رَجُلٌ لا يُحْسِنُ إلىٰ نَفْسِهِ، ولا إلىٰ غَيْرِه، وهو البَخِيلُ الأحْمَق، الذي يُجِيعُ بَطْنَه، لِيُشْبعَ صُنْدُوقَه».

قال مصطفىٰ صادق الرافعي في الشباب: «يَقُولُونَ: إنَّ في شَبَابِ العَرَبِ شَيْخُوخَةَ الهِمَمِ والعَزَائِم، وإنَّ الشّابَ مِنْهُمْ يَكُونُ رَجُلا، ورُجُولَةُ جِسْمِهِ تَحْتَجُّ عَلَىٰ طُفُولَةِ أعْمَالِه».

وقال الرافعي في قصة (اليتيمين): «أمَامَ عَتَبَةِ البَنْكِ نَامَتِ الأُخْتُ الكُبْرَىٰ،

ويَدُهَا مُرْسَلَةٌ عَلَىٰ أَخِيهَا، كَيَدِ الأمِّ عَلَىٰ طِفْلِهَا، يا إِلَهِي! نَامَتْ ويَدُهَا مُسْتَيْقِظَة!».

قيل: «الصَّامِتُونَ يُعَانُونَ مِنْ شَيْءٍ وَاحِد، هُوَ ثَرْثَرَةُ عُقُولِهِم».

قال الشاعر الفلسطيني الشهيد عبد الرحيم محمود في قصيدته الخالدة (الشهيد):

وَجِسْمٌ تَجَنْدَلَ فَوْقَ الهِضَابِ ... تُنَاوِشُهُ جَارِحَاتُ الفَلَا

فَمِنْهُ نَصِيبٌ لِأُسْدِ السَّمَاءِ ... وَمِنْهُ نَصِيبٌ لِأُسْدِ الثَّرَى

قال بشارة الخوري في وصف حسناء تتقلد سيفًا:

حُسَامُكِ لَا أَخْشَى مَضَاهُ وَإِنَّمَا ... أُحَاذِرُ مِنْ سَيْفِ اللِّحَاظِ عَلَى قَلْبِي

قال محمود غنيم واصفا حال الشعراء:

وَلَكِنْ لَا مُقَامَ بِبَيْتِ شِعْرٍ ... يَطِيبُ، وَلَوْ بَنَاهُ (أَبُو العَلَاءِ)

قال الشاعر القروي في وصف التّنك (الدّبابة) في إحدىٰ المعارك:

فَخَرَّ الجُنْدُ فَوْقَ التِّنْكِ صَرْعَى ... وَخَرَّ التِّنْكُ تَحْتَهُمُو صَرِيعَا

وقال القروي بمناسبة عيد الفطر حين تعرض لبنان للمجاعة:

صِيَامًا إلى أنْ يُفْطِرَ السَّيْفُ بالدَّمِ ... وصَمْتًا إلى أنْ يَصْدَحَ الحَقُّ يا فَمِي

قال الشاعر العراقي معروف الرصافي:

مَا أَجْشَعَ الحَرْبَ الضَّرُوسَ، فَإنَّهَا ... تَحْسُو النُّفُوسَ وتَأْكُلُ الأَمْوَالَ

وقال الرصافي في فضل العلم:

فَكُلُّ بِلادٍ جَادَهَا العِلْمُ أمْرَعَتْ ... رُبَاهَا وصَارَتْ تُنْبِتُ العِزَّ لا العُشْبَا

قال الشاعر العراقي جعفر الحلي:

وَقَسَوْا حَيْثُ لَمْ يَعُضُّوا بَنَانًا ... لِعَلِيلٍ عَضَّتْ عَلَيْهِ القُيُودُ

قال الشاعر العراقي الشيخ عبد المحسن الكاظمي متغزلًا:

رَبَابُ لِنَفْسِي زَهْرَةٌ طَابَ غَرْسُهَا فَلَا ذَبُلَتْ نَفْسِي وَلَا ذَبُلَ الزَّهْرُ

وقال أيضًا:

لَا تَلُمْ عَبْرَتِي إِذَا هِيَ سَالَتْ إِنَّ وَادِي الهُمُومِ بِالقَلْبِ سَالَا

قال أحمد شوقي يصفُ رِيحًا هَبَّتْ علىٰ جيش العَدُوّ:

هَبَّتْ عَلَيْهِمْ فَذَابُوا عَنْ مَعَاقِلِهِمْ وَالثَّلْجُ فِي قِمَمِ الأَجْبَالِ لَمْ يَذُبِ

لَمَّا صَدَعْتَ جَنَاحَيْهِمْ وقَلْبَهُمُ طَارُوا بِأَجْنِحَةٍ شَتَّى مِنَ الرُّعْبِ

وقال أحمد شوقي:

وَالبَاسِلَانِ: شُجَاعُ قَلْبٍ فِي الوَغَى وَشُجَاعُ رَأْيٍ فِي وَغَى الأَفْكَارِ

ولشوقي في الرثاء:

ومَنْ يُفْجَعْ بِحُرٍّ عَبْقَرِيٍّ يَجِدْ ظُلْمَ المَنِيَّةِ عَبْقَرِيَّا

قال حافظ إبراهيم في وصف أدب محمد المويلحي:

نَسَجَ الحَرِيرَ أَبُوكَ نَسْجَ تِجَارِهِ ونَسَجْتَ أَنْتَ حَرَائِرَ الأَفْكَارِ

وقال حافظ إبراهيم مادحًا:

جَرِّدِ الرَّأْيَ فَكَمْ رَأْيٍ إِذَا سُلَّ مِنْ غِمْدِ النُّهَى فَلَّ الحُسَامَا

قال إيليا أبو ماضي:

لَيْسَ المُحَارِبُ فِي الوَغَى بِأَشَدَّ بَأْ سًا مِنْ مُحَارِبِ نَفْسِهِ أَوْ أَشْجَعِ

قال محمود سامي البارودي في مدح الخديوي توفيق:

يَقِظُ البَصِيرَةِ لَوْ سَرَتْ فِي عَيْنِهِ سِنَةُ الرُّقَادِ فَقَلْبُهُ لَمْ يَرْقُدِ

قال إبراهيم اليازجي:

فَمَا كَمَالُ الفَتَى بِالشَّيْبِ فِي شَعْرٍ لَكِنْ كَمَالُ الفَتَى بِالشَّيْبِ فِي الخُلُقِ

التَّـوْرِيَـة

تعريف التَّورية لغة: «التَّوْرِيَةُ فِي اللُّغَةِ مَصْدَرُ وَرَّىٰ، يُقَالُ وَرَّىٰ الحَدِيث، إِذَا أَخْفَاه، وأَظْهَرَ غَيْرَه، وَوَرَّيْتُ الخَبَر، جَعَلْتُهُ وَرَائِي، وسَتَرْتُه، وأَظْهَرْتُ غَيْرَه، وكَأَنَّ المُتَكَلِّمَ يَجْعَلُهُ وَرَاءَه، بِحَيْثُ لا يَظْهَر»(١).

ومن هذا المعنىٰ قول الله تعالىٰ: (فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ)(٢).

التَّورية اصطلاحًا: «أَمَّا فِي عُرْفِ البَلَاغِيِّين فإِنَّ مَعْنَاهَا أَنْ يُذْكَرَ لَفْظٌ لَهُ مَعْنَيَان، أَحَدُهُمَا قَرِيب، يَتَبَادَرُ مَعْنَاهُ إِلَىٰ الذِّهْن، والآخَرُ بَعِيد، دِلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَيْهِ خَفِيَّة، والمُرَادُ هُوَ البَعِيدُ مِنْهُمَا، وقَدْ وَرَّىٰ عَنْهُ المُتَكَلِّمُ بِالمَعْنَىٰ القَرِيب، فَيَتَوَهَّمُ السَّامِعُ لأَوَّلِ وَهْلَةٍ أَنَّ المُتَكَلِّمَ يُرِيدُهُ، وهُوَ لَيْسَ بِمُرَادٍ لَهُ»(٣).

شواهد التورية:

من أبدع ما يُسمع من شواهد التورية في العصر الحديث قول الشاعر مصطفىٰ صادق الرافعي في مدح الإمام محمد عبده والإشادة بعلمه وكرمه:

يَا وَاحِدَ الدُّنْيَا المُضِيءَ عَلَى الوَرَى ... كَالشَّمْسِ، جَاءَكَ وَاحِدُ الشُّعَرَاءِ

لَمَّا رَآهُ النَّاسُ يَمْدَحُ (حَاتِمًا) ... نَظَرُوا إِلَيْهِ فَلَقَّبُوهُ (الطَّائِي)

(١) علم البديع الدكتور بسيوني عبد الفتاح فيود (ص ١٧١).
(٢) [المائدة: ٣١].
(٣) الفنون البديعية (ص ١٥٦).

توريةٌ مضيئةٌ لا تخفىٰ علىٰ ذي نظرٍ إلَّا إذا خفيت النجومُ المتلألئة في الليلة الصافية.. فالشاعر ذكر لفظ (الطَّائي)، لكن من يقرأ البيت علىٰ عجالة يظن أنه قصد به حاتمًا المذكور اسمه في صدر البيت، والذي لم تمحُ اسمَه الدهور، وأخبارُه في الكرم لا تُعدّ، بينما الشاعر لم يرد ذلك المعنىٰ المتبادر إلىٰ الذهن، بل أراد به أبا تمَّام، واسمه (حبيب بن أوس الطائي)، حيث أن ضمير الغائب في (إليه) عائد إلىٰ الشاعر، لا إلىٰ الممدوح.

ومن نماذج التورية قول الرافعي متغزلًا:

فَيَا رَبِّ صَيِّرْ بَقِيَّةَ قَلْبِي حَدِيدًا فَإِنَّ فُؤَادِي ذَهَبْ

فللفظِ (ذهب) معنيان: معنًىٰ قريب غير المقصود، وهو المعدن الثمين، لإيهام الشاعر بكلمة (الحديد)، ومعنًىٰ بعيد مقصود، وهو ذهاب قلبه إلىٰ غير رجعة.

وقال الرافعي:

وخَلِيلٍ ضَمَمْتُهُ فَتَأَبَّى وَانْثَنَى نَافِرًا كَظَبْيِ الصَّرِيمِ
قَالَ نَارُ الخَلِيلِ فِي القَلْبِ شَبَّتْ قُلْتُ أقْبِلْ فَتِلْكَ نَارُ الكَلِيمِ

فلفظ (الخليل) له معنيان: قريبٌ غيرُ مقصود، وهو النبي إبراهيم عليه السّلام، خليل الله، وبعيدٌ مقصودٌ وهو الخلُّ والصَّاحب، ولفظ (الكليم) كذلك له معنيان: قريبٌ غير مقصود أراد الشاعرُ الإيهام به، وهو النبي موسىٰ عليه السلام، كليم الله، وبعيدٌ مُراد، وهو الجريح.

قال علي الجارم مخاطبًا (الشَّاعر):

سِرْ خَفِيفًا مَعَ النَّسَائِمِ وابْعَثْ نَفَسًا يَمْلأُ الفَضَاءَ مَدِيدَا

الشاعر ذكر لفظ (خفيفا)، ولهذا اللفظ معنيان: أحدهما قريب، وهو أحد



بحور الشعر، (والقصيدة من هذا البحر)، وهو معنىٰ غير مقصود، رغم أن الشاعر ذكر ما يلائم هذا المعنىٰ، أما المعنىٰ البعيد المقصود فهو صفة الخفَّة. كما ذكر لفظ (مديدا)، وله معنيان أيضًا: الأول قريب غير مُراد (أحد بحور الشعر)، والثاني بعيد مُراد، وهو صفةٌ للنَّفَس، أي نَفَسًا ممدودًا وطويلًا.

وقريب منه قول علي الجارم عن نفسه في رثاء أحد أصدقائه:

نَظَمَ الدُّمُوعَ فَكُنَّ بَحْرًا كَامِلًا ... وأَقَامَ بِالزَّفَرَاتِ تَفْعِيلَاتِهِ

حيث ذكر الشاعر عبارة (بحرا كاملا)، ولها معنيان: الأول قريب يتبادر إلىٰ الذهن، وهو بحر الكامل في علم العروض، (والقصيدة من بحر الكامل)، كما ذكر الشاعر لفظا أراد الإيهام به، وهو لفظ (تفعيلاته)، أما المعنىٰ البعيد المراد هو أن دموع الشاعر كانت كالبحر الخضم الواسع.

وقال علي الجارم مخاطبًا (دار الإذاعة):

شَغَلْتِ فَتَاكِ بِسِحْرِ البَيَانِ ... وَلَوْلَا عُيُونِكِ لَمْ يُشْغَلِ

فالشاعر ذكر لفظ (عيونك)، وهو لفظ يحتمل معنيين: المعنىٰ القريب الظاهر غير المقصود والذي يتبادر إلىٰ الذهن لأول وهلة هو العيون الناظرة، أو حاسة البصر، والمعنىٰ البعيد المقصود هو عيون الشعر، أي خِيَارُهُ من الكلام الساحر.

وقال الجارم في رثاء أحمد شوقي:

مَاتَ شَوْقِي، وَكَانَ أَنْفَذَ سَهْمٍ ... صَائِبِ الرَّمْيِ مِنْ سِهَامِ الكِنَانَهْ

لاحظ أن لفظ (الكنانة) يحتمل معنيين: الأول قريب ظاهر، وهو جعبة السهام، حيث أوهم الشاعرُ المتلقي إلىٰ هذا المعنىٰ بقوله (كان أنفذ سهم)، أما المعنىٰ البعيد الخفيّ فهو أرض مصر.

قال حفني ناصف متغزلًا:

جَنَيْتُ الوَرْدَ مِنْ خَدَّيْهِ لَكِنْ ... لَهُ لَحْظٌ يُؤَدِّبُ كُلَّ جَانِ

لو تأملت لفظ (جَانٍ) لوجدته يحتمل معنيين: أحدهما قريب غير مقصود، وهو الجني أو القطف، رغم أن الشاعر ذكر في أول البيت ما يلائم هذا المعنىٰ (جنيتُ الورد)، لإيهام السامع أن المتكلم أراد هذا المعنىٰ القريب - لذلك يسمي بعض علماء البلاغة التورية بالإيهام- أما المعنىٰ البعيد المقصود فهو من الجناية أو الاعتداء.

قال بطرس كرامة يشكو قسوة المحبوب:

أَرْبَى عَلَى الخَنْسَا الفُؤَادُ بِوَجْدِهِ ... وَفُؤَادُهَا صَخْرٌ عَلَيَّ صَمِيمُ

وقعت التورية في لفظ (صخر)، فهو يحتمل معنيين، المعنىٰ القريب الظاهر غير المقصود: صخر أخو الخنساء، وبغرض إيهام السامع بأنه المعنىٰ المقصود ذكر الشاعر لفظ (الخنساء)، أما المعنىٰ الخفي المقصود فهو الحجر الصلد الأصم.

وقال كرامة في وصف حسناء:

أَمْسَى عَلَى عُشَّاقِهِ جَائِرًا ... وَقَدُّهُ مِنْ أَعْدَلِ العَادِلِينْ

وقد وقعت التورية في لفظ (أعدل)، فمعناه القريب غير المراد من (العدالة) أو الإنصاف، نظرا لإيهام السامع بكلمة (جائرا)، ومعناه المراد من (الاعتدال) أو الاستواء.

وشبيه به قول الشاعر السوري أمين الجندي:

مَنْ مُجِيرِي أَيُّهَا العُشَّاقُ مِنْ ... قَدِّهِ العَادِلِ إنْ جَارَ عَلَيّْ؟

وقال كرامة في المديح:

قَدِ اسْتَرَقَّ المَعَالِي فَهِيَ جَارِيَةٌ ... مَا بَيْنَ أَلْفَاظِهِ كَالسَّبْعَةِ الشُّهُبِ

التورية في لفظ (جارية)، ومعناها القريب غير المراد: الأَمَةُ غير الحُرَّة، حيث أوهم الشاعرُ السامعَ إلىٰ هذا المعنىٰ بلفظ (استرقّ)، ومعناه البعيد المراد: المعالي الجارية كالكواكب السَّيَّارة (المتحركة).

ومن نماذج التورية قول إسماعيل صبري متغزلًا:

وَقَــدَّ قَلْــبِي وانْثَــنَى مُعْجَبًــا وَقَــالَ لِي: كَيْــفَ تَــرَى قَــدِّي؟

التورية في لفظ (قَدِّي) الذي يحتمل معنيين: الأول المتبادر إلىٰ الذهن (قامتي)، وهو المعنىٰ غير المراد، والثاني المراد (من الفعل قدَّ بمعنىٰ شقَّ).

ومنها قول إسماعيل صبري في وصف ديوان الشاعر (أحمد نسيم):

أيَّ غُصْــنٍ فِي الــرَّوْضِ هَــزَّ نَسِــيمٌ نُــثِرَتْ مِنْــهُ هَــذِهِ الأزْهَــارُ؟

فلفظ (نسيم) يحتمل معنيين، القريب منهما غير المقصود: الريح اللينة، والبعيد المقصود: لقب الممدوح.

ومنها قول إسماعيل صبري في مدح خليل مطران:

أنْــتَ مَطْــرَانُ دِيــنِ شِــعْرٍ جَدِيــدٍ فَــتَنَ المُسْــلِمِينَ قَبْــلَ النَّصَــارَى

فلفظ (مطران) يحتمل معنيين: الأول هو المعنىٰ الاصطلاحي لكلمة مطران في الدين المسيحي، وهو رئيس الكهنة، وهو ليس بمعنًىٰ مُراد، فالمعنىٰ المراد: هو لقب الممدوح.

قال خليل مطران في وصف شعر الأديب رشيد نخلة:

إذَا مَــا رَوْضَــةُ الآدَابِ بَاهَــتْ بِغَــالِي الــدَّوْحِ بَاهَيْنَــا بِنَخْلَــهْ

يقول الشاعر إن روضة الشعر لو شاءت المباهاة بما تفخر به من جنّات وأعناب باهيناها بالشجرة المباركة شجرةِ العرب، وسيدةِ الشَّجَر: (النخلة)، والملاحظُ أنّ لفظ (نخلة) يحتمل معنيين: المعنىٰ الأول قريب كما رأينا، وهو

شجرة التمر، وهو معنىٰ غير مقصود، أما المعنىٰ الثاني، فهو اسم الأديب (رشيد نخلة)، وهو مُرَادُ الشاعر.

وهاك مثالا طريفا لا يخلو من فكاهة ودعابة: دخل الشاعر محمد إمام العَبَد (وهو شاعر طُبع علىٰ المرح)، علىٰ محمود سامي البارودي، فقال الحاضرون: هذا محمد إمام العَبَد قد أقبل، فقال البارودي مداعبًا:

لا تَشْتَرِ العَبْدَ إلّا والعَصَا مَعَهُ ... إنَّ العَبِيدَ لأنْجَاسٌ مَنَاكِيدُ

فأجابه الشاعر محمد إمام العبد علىٰ البديهة:

مَا كُنْتُ أحْسَبُنِي أبْقَى إلى زَمَنٍ ... يُسِيءُ بِي فِيهِ كَلْبٌ وهُوَ مَحْمُودُ

فالبارودي أنشد بيتا من قصيدة للمتنبي، ومحمد إمام العبد ردَّ بالبيت الذي يليه، نقول إن سامي قد ذكر لفظ (العبد)، وله معنيان: الأول قريبٌ غيرُ مقصود، وهو عكس الحُرّ، والثاني بعيدٌ مقصود، وهو لقبُ صديقه، والشاعر محمد إمام العبد ردّ بلفظ (محمود)، وهو لفظ يحتمل معنيين أيضا: الأول قريب غير مُراد، وهو (مشكور)، والثاني بعيد مراد، وهو اسم الشاعر.

ومن طرائف التورية قول محمود غنيم مداعبًا صديقه (محمود الخفيف):

صَاحِ قَدْ جُعْتُ فَهَيِّئْ ... لِي كَبَابًا وَرَغِيفَا

وَاسْقِنِي شَايًا ثَقِيلَا ... قَبَّحَ اللهُ الخَفِيفَا

حيث ذكر الشاعر لفظ (الخفيف)، لكن أيّ الخفيفين قصد؟ إنه لفظ يحتمل معنيين: الأول قريب لم يقصده الشاعر وهو عكس الثقيل، رغم أنّ الشاعر ذكر ما يلائم هذا المعنىٰ، وهو لفظ (ثقيلا)، أما المعنىٰ البعيد الذي أراده الشاعر فهو - من باب المداعبة - اسم صديقه.

ومن طرائفها كذلك قول حافظ إبراهيم مداعبًا شوقي:

يَقُولُونَ إنَّ الشَّوْقَ نَارٌ ولَوْعَةٌ ... فَمَا بَالُ شَوْقِي أصْبَحَ اليَوْمَ بَارِدَا؟

فأجابه شوقي:

وأَوْدَعْتُ إنْسَانًا وكَلْبًا وَدِيعَةً فَضَيَّعَهَا الإنْسَانُ والكَلْبُ حَافِظُ

فلفظ (شوقي) في البيت الأول يحتمل معنيين: الأول من الشوق أو الحنين، وهو قريب غير مقصود، والثاني لقب الشاعر، وهو المعنىٰ البعيد المقصود.

ولفظ (حافظ) في البيت الثاني له معنيان كذلك: الأول اسم الفاعل من الفعل (حفظ)، وهو قريب غير مقصود، والثاني اسم الشاعر، وهو المعنىٰ البعيد المقصود.

وقال محمود غنيم في شأن (الشعر الحرّ):

وَقَالُوا شِعْرُكُمْ عَبْدٌ دَعُونَا نَأْتِ بِالحُرِّ

فَخَلَّيْنَا المَجَالَ لَهُمْ فَدَسُّوا الشِّعْرَ فِي القَبْرِ

الشاعر ذكر لفظ (الحرّ)، وله معنيان: الأول قريب غير مقصود، وهو عكس العبد، والثاني بعيد مقصود وهو شعر التفعيلة.

وقال حافظ إبراهيم في تهنئة سعد زغلول بالنجاة إثر الاعتداء عليه بإطلاق نار:

النَّسْرُ يَطْمَعُ أَنْ يَصِيدَ بِأَرْضِنَا سَنُرِيهِ كَيْفَ يَصِيدُهُ زَغْلُولُ

فلفظ (زغلول) يحتمل معنيين: الأول فرخ الحمام الذي عادة ما يصيده الصقر، وهو معنىٰ قريب غير مقصود أراد الشاعر الإيهام به حين ذكر لفظة (النسر)، أما المعنىٰ البعيد المقصود فهو الزعيم المصري العظيم سعد زغلول.

بلاغة التورية:

يقول العلوي: «التورية لا تخلو عن تفنن في الكلام واتساع فيه، وتدل علىٰ

تصرف بالغ، وقوة علىٰ تصريف الألفاظ، واقتدار علىٰ المعاني»[١]، فالتورية من أغلىٰ فنون البديع، وأعلاها رتبة، وسحرُها ينفث في القلوب، فهي تُكسب الكلامَ روعة، وتكسوه بهجة، إذا جاءت عفوية من غير تصنّع، أو تكلّف، «وتكمن بلاغة التورية في ثلاثة أمور:

أولها: أنّ المعنىٰ البعيد المراد الموریٰ عنه يبدو من خلف المعنىٰ القريب غير المراد في صورة حسنة لطيفة، كما يبدو وجه المرأة الحسناء من وراء البرقع.

ثانيها: أنّ المخاطب يدرك من لفظ التورية في بادئ الأمر معناها القريب، لسرعة إدراكه قبل البعيد، فإذا ما وقف علىٰ المعنىٰ البعيد بعد ذلك، وأدركه بالتأمل، وإطالة النظر، كان له وقعه في النفوس، وأثره الحسن.

ثالثها: أنها تمكّن المتكلم من أنْ يخفي المعاني التي يخشىٰ التصريح بها، فيوري عنها بمعان تفهم من لفظ التورية، وبهذا يَدْفَعُ المحذورَ مع الصدق»[٢].



(١) فن البديع د عبد القادر حسين (ص ٦٨).

(٢) علم البديع الدكتور بسيوني عبد الفتاح فيود (ص ١٨١).

التطبيق

حدد التورية، واشرحها في النماذج البلاغية الآتية:

١- قال معروف الرصافي:

فَقُلْتُ وَمَا الكَلِيمُ سِوَى فُؤَادِي وَقَدْ آنَسْتُ فِي خَدَّيْهِ نَارَا

٢- قال علي الجارم في رثاء إسماعيل صبري:

هَبَطَتْ حِكْمَةُ البَيَانِ عَلَيْهِ فَاذْكُرُوا فِي الكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ

٣- وقال علي الجارم في تهنئة الملك فؤاد:

واسْلَمْ لِمِصْرَ فَأَنْتَ أَنْتَ فُؤَادُهَا وَحَيَاتُهَا وَلُبَابُهَا المُتَخَيَّرُ

٤- وقال الجارم في الرثاء أيضا:

قَالُوا: الرِّثَاءَ، فَقُلْتُ: دَمْعُ مَحَاجِرِي بَحْرٌ، وَأَنَّاتُ الحَزِينِ قَوَافِي

٥- قال الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة:

يَا مِصْرُ حَلَّاكِ الرَّئِيسُ بِحُكْمِهِ لَا غَرْوَ فَهُوَ جَمَالُكِ المُزْدَانُ

٦- قال مصطفىٰ صادق الرافعي يهني نجل عمّه الشيخ سعيد الرافعي بكريمته (عناية):

وَمَا هِيَ إِلَّا (عِنَايَةُ) رَبِّـ ـكَ فَابْقَ (سَعِيدًا) بِهَذِي العِنَايَهْ

٧- وقال مصطفىٰ صادق الرافعي مخاطبا الليل:

أَرَاكَ لِلْعُشَّاقِ قَبْرًا فَهَلْ فِيكَ مِنَ العُشَّاقِ إِلَّا عِظَامْ

٨- وقال الرافعي يرثي الشيخ عبد الرحمان الكواكبي وقد مات ليلًا:

أَبَى المَوْتُ إِلَّا وَثْبَةً تَصْدَعُ الدُّجَى ... وَكَمْ لَيْلَةٍ قَدْ بَاتَهَا غَيْرَوَاثِبِ

فَمَا انْفَلَقَ الإِصْبَاحُ حَتَّى رَأَيْتُهُ ... وَقَدْ نَشَبَتْ أَظْفَارُهُ بِالكَوَاكِبِ (ي)

٩- وقال الرافعي يصف فتياتٍ في محفل لإحدىٰ مدارس البنات:

أَرَى فَتَيَاتٍ كَالغُصُونِ وَإِنَّمَا ... تَنَزَّهْنَ أَنْ تُلْوِي بِهِنّ النَّسَائِمُ

١٠- وللرافعي في الجمال:

كُلُّ عَيْنٍ سَهِرَتْ فِيهِ وَلَمْ ... تَكُ مِنْ قَبْلِ الهَوَى بِالسَّاهِرَهْ

١١- وقال في شيخ يريد الزواج من شابة في مقتبل العمر:

يَا أَبَا الهَوْلِ يَا أَخَا الهَرَمِ الأَكْـ ... ـبَرِ حَسْبِي، فَقَدْ كَفَاكَ عُيُوبَا

١٢- قال ناصيف اليازجي في المدح:

لَهُ الكَرَمُ الجَمُّ الَّذِي شَنَّ غَارَةً ... عَلَى الفَقْرِ حَتَّى خَرَّ وَهْوَ قَتِيلُ

مَدِيدٌ بَسِيطٌ وَافِرٌ مُتَقَارِبٌ ... سَرِيعٌ خَفِيفٌ كَامِلٌ وَطَوِيلُ

١٣- وقال اليازجي:

وَبِي غَزَالَانِ لِسُكْنَاهُمَا ... جَعَلْتُ وَقْفًا مُهْجَتِي وَالجَنَانْ

فَجَازِيَا نَحْوِيَّ هَذَا الوَرَى ... لِذَاكَ أَنْ يَلْتَقِيَ السَّاكِنَانْ

١٤- وكتب الشيخ محمد عثمان أفندي إلىٰ الشاعر ناصيف اليازجي تقريظا علىٰ مقاماته (مجمع البحرين):

رَبُّ القَرِيضِ أَبُو المَقَامَاتِ الَّتِي ... تَرَكَتْ (حَرِيرِينَا) يَبِيعُ الصُّوفَا

١٥- وكتب محمد أفندي إلىٰ ناصيف اليازجي:

خُذِ العَفْوَ إِنِّي لِلْوَفَاءِ حَلِيفُ ... وَعُذْرِيَ مَقْبُولٌ وَأَنْتَ نَصِيفُ



حل التطبيق

١- لفظ التورية: (الكليم). المعنىٰ القريب غير المقصود: نبي الله موسىٰ عليه السلام. المعنىٰ البعيد المقصود: الجريح.

٢- لفظ التورية: (إسماعيل). المعنىٰ القريب: نبي الله إسماعيل عليه السلام. المعنىٰ البعيد: اسم الملك الممدوح (الخديوي إسماعيل).

٣- لفظ التورية: (فؤادها). المعنىٰ غير المقصود: قلبها ولُبها. المعنىٰ المقصود: اسم الملك الممدوح (الملك فؤاد).

٤- لفظ التورية: (بحرٌ). المعنىٰ القريب: بحر الشعر. المعنىٰ البعيد: تشبيه الدموع بماء البحر في غزارتها.

٥- لفظ التورية: (جمالك). المعنىٰ غير المقصود: حُسنك وبهاؤك. المعنىٰ المقصود: اسم الرئيس جمال عبد الناصر.

٦- لفظ التورية: (عِناية). المعنىٰ غير المقصود: الرعاية. المعنىٰ المقصود: اسم المولودة. (سعيدا). المعنىٰ غير المقصود: من السعادة أو السرور. المعنىٰ المقصود: اسم الشيخ (سعيد الرافعي).

٧- لفظ التورية: (عظام). المعنىٰ القريب الظاهر: جمع (عَظْم). المعنىٰ البعيد الخفيّ: جمع (عظيم).

٨- لفظ التورية (الكواكبِ (ي)). المعنىٰ القريب إلىٰ السامع: النجوم، المعنىٰ البعيد: عبد الرحمان الكواكبي.

٩- لفظ التورية: (النسائم). المعنىٰ القريب الظاهر: نسيم الهواء أي الريح اللينة. المعنىٰ البعيد الخفي: الأهواء والنَّزوات.

١٠- لفظ التورية: (الساهرة). المعنىٰ الظاهر غير المقصود: من السهر والأرق. المعنىٰ البعيد الخفيّ: اسم لجهنم. لقوله عَزَّوَجَلَّ: «فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ».

١١- لفظ التورية: (أبا الهول). المعنىٰ القريب غير المقصود: الهَرَمُ المشهور بمصر. المعنىٰ البعيد المقصود: أبا الأهوال والمصائب.

١٢- لفظ التورية: (مديد). المعنىٰ القريب: بحر الشِّعْر. المعنىٰ البعيد: من الامتداد والاتِّساع. (بسيط). المعنىٰ القريب: بحر الشعر. المعنىٰ البعيد: من البساطة والتواضع. (وافر). المعنىٰ القريب: بحر الشعر. المعنىٰ البعيد: من الوفرة والغزارة. (متقارب). المعنىٰ القريب: بحر الشعر. المعنىٰ البعيد: من التقارب والتآلف. (سريع). المعنىٰ القريب: بحر الشعر. المعنىٰ البعيد: من المسارعة في فعل الخيرات. (خفيف). المعنىٰ القريب: بحر الشعر. المعنىٰ البعيد: خفة الروح. (كامل). المعنىٰ القريب: بحر الشعر. المعنىٰ البعيد: من الكمال (اكتمال الصفات). (طويل). المعنىٰ القريب: بحر الشعر. المعنىٰ البعيد: طول الباع وسعة الاطّلاع.

١٣- لفظ التورية: (الساكنان). المعنىٰ الظاهر: الحرفان الساكنان في اللغة العربية. المعنىٰ الخفي: اسم الفاعل من الفعل (سكن)، أي أقام ونزل.

١٤- لفظ التورية: (حريرينا). المعنىٰ الظاهر: بائع الحرير. المعنىٰ الخفيّ: الأديب (الحريري) صاحب المقامات المشهورة، واسمه: أبو محمد القاسم البصري.

١٥- لفظ التورية: (نصيف). المعنىٰ القريب غير المقصود: من الإنصاف. المعنىٰ البعيد المقصود: اسم الشاعر (ناصيف اليازجي).

تمرين

دُلَّ علىٰ التورية، وبيّن بلاغتها في النماذج الآتية:

قال الشاعر السوري الكبير أمين الجندي:

يُوسُفَ الحُسْنِ هَلْ خَرَجْتَ عَلَيْنَا ... بِقَمِيصٍ مِنَ البَهَا وَدِثَارِ؟
مَسَّنِي الضُّرُّ يَا عَزِيزِي وَحَسْبِي ... فِيكَ ذُلِّي وَفَاقَتِي وَافْتِقَارِي
قَدْ تَمَلَّكْتَ فِي الهَوَى مِصْرَ قَلْبِي ... بِاخْتِيَارِ الغَرَامِ لَا بِاخْتِيَارِي
يَا عَلِيَّ الجَمَالِ لَحْظُكَ مَاضٍ ... الأَمَانَ الأَمَانَ مِنْ ذِي الفِقَارِ

وقال أمين الجندي:

إِنَّ نُعْمَانَ رَوْضِ خَدِّكَ أَضْحَى ... شَافِعِي فِي الهَوَى لِنَيْلِ مُرَادِي

وللجندي:

بَسِيطُ النَّدَى فِي كُلِّ آنٍ مَدِيدُهُ ... بَدِيعُ المَعَانِي وَافِرُ المَجْدِ كَامِلُهْ

قال ناصيف اليازجي (وكان عالمًا ضليعًا في علم النحو والصرف):

مَا لِي ولِلْبِيضِ الحِسَانِ جَزَمْنَ فِي ... خَفْضِي وهُنَّ عَلَى الغَرَامِ نَوَاصِبِي
هَلَّا رَفَعْنَ لَظَى الغَرَامِ بِضَمَّةٍ ... مِنْ لِينِ عَامِلِ قَدِّهِنَّ لِطَالِبِ

وقال ناصيف اليازجي:

كَمِ اعْتَلَّ فِي الدُّنْيَا صَحِيحٌ وَكَمْ وَكَمْ ... تَفَرَّقَ فِي عَرْضِ البِلَادِ لَفِيفُ

وقال اليازجي متغزلًا:

وَطَالَمَا سَرَقَتْ عَيْنَايَ نَظْرَتَهُ ... فَقَالَ لَا بُدَّ لِي مِنْ قَطْعِ مَنْ سَرَقَا

وقال أيضًا:

وَرَدَ الهَوَى مِنْكُمْ عَلَيَّ وَهَكَذَا   كَانَ اشْتِعَالُ النَّارِ مِنْ ذَاكَ الهَوَى

قال الشاعر السوري سليمان الصولة واصفا لقاءه بمن يهوىٰ:

فَيَا لَهَا سَاعَةً مَا كَانَ أَحْسَنَهَا   لَاقَى سُلَيْمَانُ فِيهَا عَرْشَ بَلْقِيسِ

قال الشاعر العراقي جعفر الحلي متغزلًا:

فَالعَطْفُ أَشْكَلَ أَمْرِي نَصْبُ عَامِلِهِ   وَالطَّرْفُ عَذَّبَ حَالِي فِعْلُ مَاضِيهِ

وقال في ديوانه (سحر بابل وسجع البلابل):

بِرَأْيِي أَنَّ ثَغْرَكَ جَوْهَرِيٌّ   وَتَشْهَدُ لِي لَآلِئُهُ الصِّحَاحُ

وقال مادحًا:

وَالفَخْرُ لِي إِنْ كِلْتُ صَاعَكَ بِالثَّنَا   إِذْ لَيْسَ يُفْقَدُ لِلْعَزِيزِ صُوَاعُ

قال الشاعر العراقي حيدر الحلي:

وَشَوْقِيَ الكَامِلُ لَيْسَ حَرُّهُ   يُطْفِيهِ إِلَّا رِيقُهُ المُبَرّدُ

وقال مادحًا:

هُوَ الرُّمْحُ سَلْ عَنْهُ فُؤَادَ حَسُودِهِ   بِمَا بَاتَ يَلْقَى مِنْ شَبَا ذَلِكَ الرُّمْحِ

تَجِدْهُ كَلِيمًا وَهْوَ أَعْدَلُ شَاهِدٍ   فَيَا شَاهِدًا أَضْحَى يُعَدِّلُ بِالجُرْحِ

قال مصطفىٰ صادق الرافعي في مدح أحمد شوقي:

وَأَرَيْتَنَا مِنْ سِحْرِ بَابِلَ (أَعْيُنًا)   تُجْرِي عَلَيْنَا البَابِلِيَّ مُشَعْشَعَا

وقال الرافعي متغزلًا:

وَقَدْ رَفَعَتْكِ النَّاسُ حَتَّى ظَنَنْتُهُمْ   لِأَجْلِكِ يَدْعُونَ النُّجُومَ جَوَارِيَا

قال إلياس عبد الله طعمة في (زَهْرِ مُحَيَّا المَحْبُوب)

إنْ جِئْتُ أَجْنِيهِ أَوْ أَسْقِيهِ رَوَّعَنِي ... سَيْفٌ مِنَ العَيْنِ فِيهِ النَّارُ وَالنُّورُ

مَا زِلْتُ فِي حُبِّهَا أَرْتَدُّ مُنْدَحِرًا ... وَكَيْفَ أَظْفَرُ وَالسَّفَّاحُ مَنْصُورُ؟

قال محمد توفيق علي شاكيا غربته عن مصر:

بِمَنْ يَا نِيلُ أَرْمِي مَنْ رَمَانَا ... وَقَدْ خَلَتِ الكِنَانَةُ مِنْ نِبَالِ؟

قال بطرس كرامة مادحا صديقه (تحسين بك):

إنِّي سَأَلْتُ العُلَا هَلْ فِي مَعَالِمِهَا ... لِلْعِلْمِ حُسْنٌ وَلِلآدَابِ تَفْنِينُ؟

قَالَتْ نَعَمْ قَدْ بَدَا فِي عَصْرِنَا وَسَمَا ... لِلْعِلْمِ وَالفَضْلِ وَالآدَابِ تَحْسِينُ

وقال بطرس كرامة:

عَمُّهُ الحُسْنُ وَالهِلَالُ أَخُوهُ ... وَالْتِيَاعِي مِنْ خَالِهِ العَنْبَرِيِّ





تَأْكِيدُ المَدْحِ بِمَا يُشْبِهُ الذَّم

تعريفُه: «هُوَ أَنْ يَعْمَدَ المُتَكَلِّمُ إِلَىٰ تَأْكِيدِ المَدْحِ بِاعْتِمَادِ أُسْلُوبٍ يُوهِمُ بِأَنَّهُ أَرَادَ الذَّمّ»[1]. وتأكِيدُ المَدْحِ بِمَا يُشْبِهُ الذَّمَّ نَوْعَان:

١/ أَنْ يَسْتَثْنِيَ الأَدِيبُ مِنْ صِفَةِ ذَمٍّ مَنْفِيَّةٍ صِفَةَ مَدْح، بمعنىٰ «أَنْ يَبْتَدِئَ المُتَكَلِّمُ بِلَفْظٍ يَنْفِي العَيْبَ عَنْ مَمْدُوحِه، مِنْ غَيْرِ إِتْمَامِ الكَلَام، ثُمَّ يَجِيءَ بَعْدَهُ بِحَرْفِ اسْتِثْنَاء، لِيَتَوَهَّمَ السَّامِعُ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَسْتَثْنِيَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ العَيْب، فَيَجِيءُ بِالمُسْتَثْنَىٰ مِنْ أَحْسَنِ أَوْصَافِ المَمْدُوح»[2].

ومثالها قول البارودي في وصف قصيدة لمصطفىٰ صادق الرافعي:

لَا عَيْبَ فِيهَا غَيْرَ فَضْلِ بَرَاعَةٍ ... كَالسِّحْرِ يَسْلِبُ أَنْفُسًا وَعُقُولَا

بدأ البارودي مدحه بأنْ نفىٰ كل عيب عن قصيدة الممدوح حين قال: (لا عيب فيها)، لكننا نلاحظ أن الشاعر قد أتبعَ هذا المدح بأداة الاستثناء (غير)، ليوهمنا أنه قد تراجع عن تنزيه شعر الممدوح عن كل عيب، وأنه سيصارحنا بعيب واحد لا غير، لكنه خدعنا حين أورد بعد الاستثناء مدحًا ثانيًا يؤكد به المدح الأول ويقرره، وذلك حين شبه شعر الرافعي بالسحر الذي يسلب الأنفس والعقول. يريد البارودي أن يقول لك: إني لم أجد بَعْدَ أداةِ الاستثناء صفة ذمٍّ حتىٰ أستثنيها، فكان لزاما عليَّ إذن أن أستثني صفة مدح!

(١) المفصل في علوم البلاغة العربية مرجع سابق (ص ٦٠٠).

(٢) شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع صفي الدين الحلي (ص ٣٠٥).

ومنه قول محمود سامي البارودي:

وَلَمْ يَرَ نَقْصًا فِي مُحَيَّاهُ نَاظِرِي ... سِوَى أَنَّ كُلَّ الحُسْنِ فِيهِ تَجَمَّعَا

نفىٰ البارودي كل عيب أو نقص عن ممدوحه، حين قال: (ولم ير نقصا في محياه ناظري)، لكنه جاء بعد ذلك بأداة استثناء (سوىٰ)، ليوهم السامع ويوحي له أنه يريد الذَّم، أي يريد أن يستثنيَ شيئا من ذلك المدح، لكن المستثنىٰ كان تجمُّعَ الحسن في الممدوح، يريد البارودي أن يقول إنه لا عيب في ممدوحه أصلا، وإنه اجتهد في البحث عن صفة ذم فلم يجد، فاضطرَّ إلىٰ استثناء صفة المدح.

ومنه قول البارودي مفتخرا بنفسه:

لا عَيْبَ فِيَّ سِوَى حُرِّيَّةٍ مَلَكَتْ ... أَعِنَّتِي عَنْ قَبُولِ الذُّلِّ بِالمَالِ

فالشاعر نفىٰ كل عيب عن نفسه، حين قال: (لا عيب فيّ)، لكنه جاء بعد ذلك بأداة الاستثناء، ليوهم السامع أنه يريد أن يستثنيَ شيئا ما، لكن المستثنىٰ كان العزَّةَ والكرامة، وهو مِنْ أحسن أوصافه.

ومن هذا الفن قول الشاعر السوري سليمان الصولة في غرض المديح:

لَا عَيْبَ فِيهِ سِوَى هَوًى يَقْتَادُهُ ... لِلْبَذْلِ، لَا لِلْجَمْعِ وَالادِّخَارِ

بدأ الشاعر مدحه بأنْ نفىٰ كل عيب عن الممدوح حين قال: (لا عيب فيه)، لكن الملاحظ أن الشاعر قد أتبعَ هذا المدح بأداة الاستثناء (سوىٰ)، ليوحيَ لنا أنه قد تراجع عن تنزيه الممدوح من كل عيب، وأنه سيصارحنا بعيب واحد اكتشفه في الممدوح، لكنه باغتنا حين أورد بعد الاستثناء مدحا يؤكد المدح الأول ويقوّيه، وذلك حين ذكر محبة الممدوح للبذل والجود، وكرهه لجمع المالِ وادّخارِه.

٢/ أنْ يُثْبِتَ الأدِيبُ لِشَيْءٍ صِفَةَ مَدْح، ويَأْتِيَ بَعْدَهَا باسْتِثْنَاء، يَلِيهِ صِفَةُ مَدْحٍ أُخْرَىٰ، ومن نماذجه قول الشاعر اللبناني عمر الأنسي في وصف كرم ممدوحه:

شَمَائِلُ أَذْكَى مِنْ شَذَا شَمْأَلِ الصَّبَا ... هِيَ النَّدُّ لَكِنْ صَانَهَا اللهُ عَنْ نِدِّ

ذكر الشاعر في عجز البيت صفةً ممدوحةً، وهي تشبيه أخلاق الممدوح بالنَّدِّ (وهو نبات له رائحة طيبة كالعود)، لكنه أعقب ذلك بلفظ الاستدراك (لكنْ) - يُعامل علماء البلاغة الاستدراكَ في هذا الفن البديعي معاملة الاستثناء - فترقّب السامعُ أن الشاعر سيذكر ما يعارض وينافي تلك الصفة الممدوحة، لكن الشاعر لم يفعل ذلك، بل فاجأ السامعَ بعد الاستدراك بصفة مدح ثانية، وذلك حين ذكر أن أخلاق الممدوح قد شحَّ الدهر عن مثلها، وفي ذلك ترسيخ وتقوية للمدح الأول.

ومنه قول عمر الأنسي مادحًا:

شَكَا مَالُهُ مِنْ بَذْلِهِ بَيْدَ أَنَّهُ ... لَهُ كُلُّ قَلْبٍ حَامِدٌ وَشَكُورُ

ذكر الشاعر في مستهلِّ كلامه صفةً مرغوبةً للممدوح، وهي كرمه وجوده، وذلك حين قال: (شكا مالُه من بذله)، لكنه أعقب ذلك بلفظ الاستثناء (بيد أنه)، ليتوهم السامعُ أنَّ الآتيَ مستثنًىٰ من المدح السابق، لكن الشاعر كسر هذا التوقع، وفاجأ السامعَ بعد الاستثناء بصفة مدح ثانية، وهي شكر الناس وحمدهم للممدوح، وذلك من أجل تأكيد المدح الأول وتقويته.

ومنه قول الشاعر السوري أمين الجندي متغزلًا:

شَمْسٌ، وَلَكِنْ بِالكَمَالِ مُبَرْقَعُ ... بَدْرٌ، وَلَكِنْ بِالجَمَالِ مُحَجَّبُ

ظَبْيٌ، وَلَكِنْ بِالرُّوَاءِ مُوَشَّعُ ... غُصْنٌ، وَلَكِنْ بِالبَهَاءِ مُقَلَّدُ

أثبت الشاعرُ لمن يتغزل بها صفات حُسن كثيرة، وذلك بتشبيهها بالشمس،

والبدر، والظبي، والغصن، بيد أنه بعد كل تشبيه كان يستدرك كلامه بـ (لكن)، ترىٰ لماذا؟ إن الشاعر يريد أن يهيِّئ نفوسَ السامعين لتقبل صفات مستثناة من أمداحه السابقة. في هذه اللحظة يدور في خاطر السامع أن الشاعر سيكشف أربعة عيوب علىٰ الأقل، فتتسارع أسئلة كثيرة علىٰ الخواطر: ترىٰ ما العيوب التي أراد الشاعر أن يصارح بها؟ لكنَّ الشاعر يخيِّبُ كل الظنون، ويحطِّمُ كل الآمال في إيجاد عيب واحد في المحبوب، إنه قد جاء بصفات أخرىٰ تؤكد وتتمِّمُ وتكمِّلُ ما بدأ به: فالمحبوب محجَّبٌ بالجمال، مبرقعٌ بالكمال، مقلَّدٌ بالبهاء، مُوَشَّعٌ بالرُّواء.

ومنه قول الشاعر العراقي حيدر الحلي في وصف دار الممدوح:

هِـيَ جَنَّـةُ الفِـرْدَوْسِ إلَّا أَنَّهَـا (رِضْـوَانُ) بِشْـرِكَ فَـاتِحٌ أَبْوَابَهَـا

أثبت الشاعر صفة مدح لدار الممدوح، وذلك بتشبيهها بالجنة، وأَتىٰ بعد ذلك بما يوهم السامع أنه يريد أن يستثنيَ في كلامه شيئًا معينا، غير أنه أتىٰ بعد ذلك بصفة مدح مؤكدة لهذا التشبيه، وذلك بتشبيه بِشْرِ الممدوح برضوان، خازن جنة الفردوس.

وقريبٌ من قوله في الغزل:

مِـنْ حُـورِ (عَـدْنٍ) أَقْبَلَـتْ لَكِنَّهَـا لَـمْ يَحْـكِ مَخْتُـومُ الرَّحِيـقِ رُضَـابَهَا

وقوله أيضًا:

بَـدْرٌ وَلَكِـنْ فِي الجَمَـالِ يُوسُـفٌ لِحُسْـنِهِ بَـدْرُ السَّـمَاءِ يَسْـجُدُ

وقد يَرِدُ هذا الفن نثرًا كقول خليل مطران: «كَانَ إبْرَاهِيمُ اليَازِجِيّ بِعِلْمِهِ كَالشَّمْسِ إنَارَةً وإشْرَاقًا، ولَكِنَّهُ كَانَ كَالرَّوْضَةِ بِأَفَانِينِ آدَابِهِ ومَعَارِفِه، سِوَىٰ أَنَّهُ كَانَ كَالزَّهْرَةِ بِوَدَاعَتِهِ وَعَرْفِهِ ونَفْعِ مَا يَعْصِرُ قَلَمُه».

بلاغة تأكيد المدح بما يشبه الذم:

تأكيد المدح بما يشبه الذم لون طريف من ألوان البديع، له سحره، وبهاؤه، وحسنه، وجماله، لأن فيه نوعا من المباغتة، والمراوغة، والخداع، والمفاجأة، وهي صفات تكسب الكلام طرافة، وسحرَ بيان، هذا إلىٰ جانب تأكيد المعنىٰ وتقويته.

«إن أسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذم يعتمد علىٰ التلاعب النفسي الذي يقوم به الشاعر، ذلك أنه يبدأ بنفي كل صفات العيب عن الممدوح، فيُوقع حينئذ في ذهن سامعه أنه رفعه إلىٰ الأوج، وسما به إلىٰ درجة جعله فيها مبرًّأً من كل عيب، حتىٰ إذا ما استيقن أنه ثبَّتَ هذه الفكرة ومكَّنها في نفوس سامعيه وفي ذهن ممدوحه كذلك، بدأ لعبه بالعبارة، فأورد أول ما أورد أداة الاستثناء، وبهذا الاستثناء الطارئ يوقظ مشاعر سامعيه ويرمي في قلوبهم ظلا من شك في كلامه الذي سبق، ويوحي إليهم أن حديثه من قبل فيه ما فيه، أو أنه بالغ أو أعطىٰ صاحبه أكثر مما يجب أن يُعطىٰ، وأن عليه أن يضع الأمور في نصابها، هذه الأداة الاستثنائية هي التي فعلت هذا كله قبل أن يورد الشاعر شيئا بعدها.

وعند سماع هذا الاستثناء يفتح السامعون عيونهم أكثر، ويحملقون في الشاعر ويفتحون آذانهم، ويصيخون إلىٰ ما سوف يقول بعد هذا الاستثناء، وتتحرك أخيلتهم بشتىٰ الأخيلة، وقد يتصورون للممدوح ألوانا من العيوب، وهم يستعجلون المستثنىٰ، وذكر العيب الذي أوحىٰ به الشاعر، بل تنشدُّ عيونُهم وآذانهم وقلوبهم وجميع حواسهم إلىٰ ما سوف يقول.

وعند هذه المرحلة يخبط الشاعر خبطته العظمىٰ، فيورد عليهم ما لم يكن في حسبان أحد منهم، ولا خَطَرَ علىٰ قلب بشر فيهم، إنه يضيف صفة مدح جديدة بعد ذلك الاستثناء، وهذه الصفة غالبا ما يختارها من الأمور التي لا

يأتيها الشك من بين يديها ولا من خلفها، وعند هذه المفاجأة تنقلب التوقُّعات رأسا علىٰ عقب، وتملأ الفرحة وجه الممدوح أولا، كما تملأ وجوه السامعين جميعا، وتبتهج القلوب بالنِّعمة الجديدة غير المتوقعة، ويُطري الحاضرون الشاعر علىٰ أسلوبه المظفَّر الذي بلغ به الدَّرجاتِ العلىٰ»[1].



(١) البلاغة العربية في ثوبها الجديد. الدكتور بكري شيخ أمين (ص ٩٧، ٩٨).

التطبيق

حدّد تأكيد المدح بما يشبه الذم، واشرحه، مبيّنا نوعه في النماذج البلاغيّة الآتية:

١- قال ناصيف اليازجي في المديح:

شُكْرُ الَّذِي مَا بِهِ عَيْبٌ سِوَى نِعَمٍ   تَتَابَعَتْ مِنْهُ مِثْلَ العَطْفِ ذِي النَّسَقِ

٢- قال الشاعر السوري أمين الجندي:

لا عَيْبَ فِيهِمْ لَعَمْرِي غَيْرَ أَنَّهُمْ   يَسْخُونَ بِالمَالِ قَبْلَ السُّؤْلِ وَالطَّلَبِ

٣- وقال الجندي مادحًا:

هُوَ البَحْرُ إِلَّا أَنَّ تَيَّارَ لُجِّهِ   يَفِيضُ فَيُهْدِي دُرَّهُ الجَزْرُ وَالمَدُّ

٤- وقال الجندي:

وَمَا فِيهِ مِنْ عَيْبٍ سِوَى أَنَّ طَبْعَهُ   لِرِقَّتِهِ يَأْبَى انْصِدَاعَ الخَوَاطِرِ

٥- وقال أيضًا:

وَمَا بِهِ عَيْبٌ سِوَى أَنَّهُ   يَعْفُو وَيَصْفُو عِنْدَمَا يَقْدِرُ

٦- قال أحمد شوقي بمناسبة تكريم الشاعر إسماعيل صبري:

هَذَا هُوَ الرَّيْحَانُ، إِلَّا أَنَّهُ   نَفَحَاتُ تِلْكَ الرَّوْضَةِ المِئْنَافِ

٧- قال بطرس كرامة مادحا:

بَحْرٌ مِنَ العِلْمِ إِلَّا أَنَّهُ عَذْبٌ   بَرٌّ عَطُوفٌ وَلَكِنْ مُخْصِبٌ مِنَنَا

٨- وقال بطرس كرامة يصف منازل بعض أصدقائه:

مَا بِهَا عَيْبٌ سِوَى مَنْ زَارَهَا ... يَسْلُو عَنْ أَوْطَانِهِ وَالطَّلَلِ

٩- قال الشاعر العراقي الشيخ عبد المحسن الكاظمي مخاطبا ممدوحيه:

لَا عَيْبَ فِيكُمْ غَيْرَ أَنَّكُمْ ... قَوْمٌ إِذَا مَا قُوطِعُوا وَصَلُوا

١٠- قال محمود غنيم:

فَلَمْ يَقْتَرِفْ ذَنْبًا وَلَمْ يَجْنِ مَأْثَمًا ... سِوَى أَنَّهُ بِالدِّينِ شُدَّتْ أَوَاصِرُهْ

١١- قال إيليا أبو ماضي:

كُلُّ مَا فِيهَا جَمِيلٌ يُشْتَهَى ... مَا بِهَا عَيْبٌ سِوَى فَرْطِ الجَمَالْ

١٢- وقال إيليا أبو ماضي:

مِثْلُ الحَمَامَةِ غَيْرَ أَنَّ لَهَا ... صَوْتَ الهَزَارِ وَلَفْتَةَ الصَّقْرِ

١٣- قال الشاعر اللبناني عمر الأنسي:

هُوَ اللَّيْثُ إِلَّا أَنَّهُ الغَيْثُ نَائِلًا ... عَلَى أَنَّهُ بَحْرٌ وَلَكِنَّهُ بَدْرُ

١٤- قال محمود سامي البارودي:

وَمَا لِي ذَنْبٌ عِنْدَهُمْ غَيْرَ أَنَّنِي ... شَدَوْتُ فَعَلَّمْتُ الحَمَامَ الأَغَانِيَا

١٥- قال الشاعر العراقي عبد المحسن الكاظمي متغزلا:

وَلَا عَيْبَ فِيهِ سِوَى أَنَّهُ ... مَتَى يَرْنُ عَنْ فَاتِرٍ يَقْتُلِ

١٦- قال الشاعر المصري علي الجندي:

كَامِلٌ مَا فِيهِ مِنْ عَيْبٍ سِوَى ... أَنَّهُ فِي مِثْلِهِ الدَّهْرُ يَشِحُّ

١٧- وقال علي الجندي في فخره بنفسه:

ومَا أَنَا إِلَّا شَاعِرٌ غَيْرَ أَنَّنِي ... إِذَا قُلْتُ نَظَّمْتُ النُّجُومَ قَلَائِدَا

١٨- قال الشاعر السوري سليمان الصولة في وصف قصيدة له:

لَا عَيْبَ فِيهَا غَيْرَ رِقَّتِهَا الَّتِي   تُخْزِي الرَّيَا وَتَرُدُّ رُوحَ الدَّاثِرِ[1]

١٩- قال مصطفى لطفي المنفلوطي:

مَا فِيهِ مِنْ عَيْبٍ سِوَى أَنَّهُ   يَحْسُدُهُ النَّاسُ عَلَى مَجْدِهِ

٢٠- قال معروف الرصافي:

وَلَا عَيْبَ فِيهَا غَيْرَ أَنَّ أُولِي النُّهَى   يُنَادُونَهَا فِي الحُسْنِ بِنْتَ العَجَائِبِ



(١) الرَّيا: الريح الطيبة ، والدَّاثر: الميت.

حل التطبيق

١- نفىٰ اليازجي كل عيب عن ممدوحه، بقوله: (ما به عيب)، وجاء بعد ذلك بأداة استثناء (سوىٰ) ليوهم السامع أنه يريد أن يستثني شيئا من ذلك النفي، لكنه عكس التوقع فكان المستثنىٰ نِعَمَ الممدوح المتتابعة، وبذلك أكد الشاعر مدحه.نوعه: استثناءُ صفةِ مدحٍ من صفةِ ذمٍّ منفية.

٢- نفىٰ الجندي كل عيب عن الممدوحين حين قال: (لا عيب فيهم)، لكنه أتبع هذا المدح بلفظ الاستثناء (غير)، ليوهم السامع أنه يريد أن يذكر صفة ذم في الممدوحين، لكنه أورد صفة مدح أخرىٰ (يسخون بالمال قبل السؤال والطلب)، ليؤكد بذلك المدح الأول. نوعه: استثناء صفة مدح من صفة ذم منفية.

٣- أثبت الجندي صفة مدح للممدوح بتشبيهه بالبحر، لكنه أعقب ذلك بلفظ الاستثناء (إلَّا)، ليتوهم السامعُ أنَّ الآتيَ مستثنًىٰ من المدح السابق، لكن الشاعر أتىٰ بعد الاستثناء بصفة مدح أخرىٰ (تيّار لجه يهدي الدر)، وبذلك أكَّدَ المدح الأول وقرره. نوعه: إثبات صفة مدح متبوعة بصفة مدح أخرىٰ.

٤- نفىٰ الجندي كل عيب عن الممدوح بقوله: (ما فيه من عيب)، ثم أتىٰ بالاستثناء (سوىٰ)، فأوهم السامعَ أنه يريد أن يذكر عيبا في الممدوح، غير أنه أورد بعد الاستثناء صفة مدح أخرىٰ (طبعه الرقيق يأبىٰ انصداع الخواطر). نوعه: استثناء صفة مدح من صفة ذم منفية.

٥- نفىٰ الجندي كل عيب عن الممدوح بقوله: (ما به عيب)، ثم أتىٰ

بالاستثناء (سوىٰ)، ليوهم السامعَ أنه يريد أن يذكر عيبا ما، لكنه كسر التوقع، وأورد بعد الاستثناء صفة مدح أخرىٰ (العفو عند المقدرة). نوعه: استثناء صفة مدح من صفة ذم منفية.

٦- أثبت شوقي صفة مدح للممدوح (تشبيه شعر الممدوح بالريحان)، لكنه أعقب ذلك بلفظ الاستثناء (إلا أنه)، ليتوهم السامعُ أنَّ الآتيَ مستثنًىٰ من المدح السابق، لكن الشاعر أتىٰ بعد الاستثناء بصفة مدح ثانية (تشبيه قصائد الممدوح بالروضة المئناف)، وبذلك أكَّدَ المدح الأول. نوعه: إثبات صفة مدح متبوعة بصفة مدح أخرىٰ.

٧- أثبت بطرس كرامة في الشطر الأول صفة مدح للممدوح، وهي تشبيهه بالبحر في صفة العلم، ثم أتىٰ باستثناء ليوهم السامعَ أنَّ الآتيَ مستثنًىٰ من المدح السابق، لكنه عكس التوقع، وأتىٰ بصفة مدح أخرىٰ (إلا أنه عذب) ليؤكد بها المدح الأول. نوعه: إثبات صفة مدح متبوعة بصفة مدح أخرىٰ. وفي الشطر الثاني فعل الشيء ذاته: حيث أثبت صفة مدح للممدوح في قوله: (بَر عطوف)، ليأتي بعد ذلك بالاستدراك (لكن) متبوعًا بصفة مدح أخرىٰ (مخصبٌ مِنَنا). نوعه: إثبات صفة مدح متبوعة بصفة مدح أخرىٰ. (يُعامل البلاغيون الاستدراك معاملة الاستثناء).

٨- نفىٰ الشاعر كل عيب عن منازل الممدوح بقوله: (ما بها عيب)، ثم أتىٰ بالاستثناء (سوىٰ)، فأوهم السامعَ أنه يريد أن يذكر عيبا في تلك المنازل، غير أنه أورد بعد الاستثناء صفة مدح أخرىٰ (من زارها يسلو عن أوطانه). نوعه: استثناء صفة مدح من صفة ذم منفية.

٩- نفىٰ الشاعر كل عيب عن الممدوحين بقوله: (لا عيب فيكم)، ثم أتىٰ بالاستثناء (غير أنكم)، فتوهم المخاطبون أن الشاعر سيصارحهم بعيب واحد،

لكنه ذكر بعد الاستثناء صفةً هي من أفضل الفضائل، وذلك في قوله: «إذا ما قُوطعوا وَصلوا».

١٠- نفىٰ محمود غنيم كل العيوب والذنوب عن ممدوحه، ثم أتىٰ بأداة استثناء (سوىٰ) ليوهم أنه يريد أن يستثني شيئا، لكنه كسر التوقع بأن أتىٰ بصفة مدح أخرىٰ، وهي تعلق الممدوح بدينه. نوعه: استثناءُ صفةِ مدحٍ من صفةِ ذمٍّ منفية.

١١- أثبت إيليا أبو ماضي صفة مدح للمتغزل بها، فقال: (كل ما فيها جميل)، ثم نفىٰ عنها كل عيب، بقوله: (ما بها عيب)، ثم أعقب ذلك بذكر أداة استثناء، ليوهم أنه يريد أن يستثني صفة ذم، لكن المستثنىٰ كان فرطَ الجمال. نوعه: جمع بين النوعين: حيث أثبت صفةَ المدح في الشطر الأول، ثم استثنىٰ صفة مدح من صفة ذم منفية في الشطر الثاني.

١٢- أثبت إيليا أبو ماضي صفة مدح للمتغزل بها، وذلك بتشبيهها بالحمامة، وأَتىٰ بعد ذلك بما يوهمُ السّامع أنّه يريد أن يستثنيَ في كلامه شيئا معيّنا، غير أنه عكس التّوقع، وأتىٰ بعد ذلك بصفات مدح أخرىٰ، وهي تشبيه صوتها بصوت الهزار، ولفتتها بلفتة الصقر. نوعه: إثبات صفة مدح متبوعة بصفة مدح أخرىٰ.

١٣- أثبت عمر الأنسي للممدوح صفة مدح، وهي تشبيهه بالليث، وأتىٰ بعد ذلك بأداة استثناء (إلا) ليتوهمَ السامعُ أنَّ الآتيَ مستثنًىٰ من المدح السابق، لكنه عكس التوقع، وأتىٰ بصفات مدح أخرىٰ، وهي تشبيهه بالغيث، والبحر والبدر. نوعه: إثبات صفة مدح متبوعة باستثناء يليه صفات مدح أخرىٰ.

١٤- نفىٰ البارودي كل العيوب والذنوب عن نفسه، ثم أتىٰ بأداة استثناء (غير) ليوهم أنه يريد أن يستثني أمرا ما، لكنه أحبط التوقع بأنْ أتىٰ بصفة مدح

أخرىٰ، وهي صفة شَدْوِه الذي علّم الحمامَ الغناء. نوعه: استثناءُ صفةِ مدحٍ من صفةِ ذمٍّ منفية.

١٥- نفىٰ الكاظمي كل عيب في حسنائه حين قال (لا عيب فيه)، ثم أتىٰ بالاستثناء (سوىٰ)، ليوهم السامعَ أنه علىٰ وشك أن يذكر صفة ذم ما، لكنه لم يذكر إلا صفة مدح أخرىٰ، وهي قوله (متىٰ يرنُ عن فاتر يقتل). نوعه: استثناءُ صفةِ مدحٍ من صفةِ ذمٍّ منفية.

١٦- أثبت علي الجندي صفة للممدوح، فوصفه بالكمال، ثم نفىٰ عنه كل عيب، بقوله: (ما فيه من عيب)، ثم أتىٰ بأداة استثناء (سوىٰ) ليوهم السامعَ أنَّ الآتيَ مستثنًىٰ من المدح السابق، لكن المستثنىٰ كان (بخلَ الدهر عن مثله). نوعه: جمع بين النوعين: حيث أثبت صفةَ المدح في مطلع البيت، ثم استثنىٰ صفة مدحٍ من صفة ذم منفية.

١٧- أثبت علي الجندي لنفسه صفة مدح، (إثبات شاعريته)، ثم أتىٰ بالاستثناء (غير)، ليتوقع السامع أن الشاعر سيذكر ما يناقض هذا المدح، لكنه عكس التوقع بذكر صفة مدح غاية في الروعة، وهي قوله (نظمت النجوم قلائدا). نوعه: إثبات صفة مدح متبوعة بصفة مدح أخرىٰ.

١٨- نفىٰ سليمان الصولة كل عيب عن قصيدته بقوله (لا عيب فيها)، ثم ذكر أداة الاستثناء (غير)، ثم أتبع هذا المدح بصفة مدح أخرىٰ (رقتها التي تخجل الريح الطيبة وترد روح الميت). نوعه: استثناءُ صفةِ مدحٍ من صفةِ ذمٍّ منفية.

١٩- نفىٰ المنفلوطي كل عيب عن الممدوح بقوله: (ما فيه من عيب)، لكنه أتبع هذا المدح بأداة الاستثناء (سوىٰ)، لإيهام السامع أنه يريد أن يذكر صفة ذم، لكنه خدع السامع بذكر صفة مدح أخرىٰ (كثرة حساده). نوعه: استثناءُ صفةِ مدحٍ من صفةِ ذمٍّ منفية.

٢٠- نفىٰ الرصافي كل عيب عن المتغزَّل بها، بقوله: (لا عيب فيها)، ثم أتىٰ بأداة الاستثناء (غير) ليوهم أنه يريد أن يستثني شيئا ما، لكنه غالط السامعَ وخدعه بذكر صفة مدح أخرىٰ، وهي مناداتها ببنت العجائب. نوعه: استثناءُ صفةِ مدحٍ من صفةِ ذمٍّ منفية.



أُسْلُوبُ الحَكِيم

تعريف أسلوب الحكيم: «هُوَ أَنْ تَتَلَقَّىٰ المُخَاطَبَ بِغَيْرِ مَا يَتَرَقَّبُه، وتَصْرِفَ حَدِيثَهُ إِلَىٰ وِجْهَةٍ أُخْرَىٰ لَمْ يَقْصِدْهَا، إِمَّا بِتَرْكِ سُؤَالِهِ، والإِجَابَةِ عَنْ سُؤَالٍ لَمْ يَسْأَلْه، ولَمْ يُرِدْهُ، وإِمَّا بِحَمْلِ كَلَامِهِ عَلَىٰ غَيْرِ مَا كَانَ يَقْصِد، إِشَارَةً إِلَىٰ أَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَسْأَلَ هَذَا السُّؤَال، أَوْ يَقْصِدَ هَذَا المَعْنَىٰ»[1].

شواهد أسلوب الحكيم:

جاءت امرأة تسأل الشاعرَ المصري، وعالِمَ اللغة حفني ناصف عن معنىٰ (التنازع) في النحو، فقال في ذلك:

سَأَلَتْنِي عَنِ التَّنَازُعِ يَوْمًا ... غَادَةٌ بِالجَمَالِ تَسْبِي وَتُصْبِي
قُلْتُ: إِنْ كَانَ لِلتَّنَازُعِ مَعْنًى ... فَهْوَ مَا بَيْنَ نَاظِرَيْكِ وَقَلْبِي

معروفٌ أن التنازع في علم النحو أن يتجه عاملان (فعلان مثلا) متقدِّمان إلىٰ معمولٍ واحد متأخر، والمعمولُ يكون مطلوبًا لكلٍّ منهما، كقولنا: «زَارَنِي وَرَحَّبْتُ بِأَخِيك». لكن الشاعر - كما ترىٰ - قد غيَّر وجهة السؤال إلىٰ وجهة لم تتوقعها السائلةُ، وأجاب عن (مفعول قلبه) الذي تنازعه (فاعلان)، هما العينان الآسِرَتَان الفَاتِنَتَان.

قال الشاعر اللبناني إلياس عبد الله طعمة في حسناء تتحلَّىٰ بعقد من الجمان:

فَقَالَتْ تُرَى أَيُّ الجُمَانِ مُفَضَّلٌ؟ ... فَقُلْتُ جُمَانُ الثَّغْرِ خَيْرُ جُمَانِ

لعلك أدركت أن موضوع السؤال كان عقد الجمانَ، فالحسناء سألت: أي

(١) علم البديع عبد العزيز عتيق (ص ١٨٢).

الجمان هو الأحلىٰ والأغلىٰ؟ لكن الشاعر في جوابه قد خرج عن موضوع السؤال، وأجاب عن جمان الثغر، وذلك من أجل أن يثبت فصاحته، ويوقع علىٰ بلاغة أسلوب الحكيم.

قال بطرس كرامة في حسناء تنطق (الشين) (سينًا):

كَلِفْتُ بِنَاطِقٍ بِالشِّينِ سِينًا ... لَهُ وَجْهٌ عَلَيْهِ البَدْرُ يُثْنِي

سَأَلْتُ وِصَالَهُ فَأَبَى دَلَالًا ... وَقَالَ وَسِحْرُ مُقْلَتِهِ فَتَنِّي:

أَعِنْدَكَ فِي السَّرِيعَةِ جَازَ وَصْلِي؟ ... فَقُلْتُ: نَعَمْ، وَيَحْسُنُ بِالتَّأَنِّي

فالحسناء تسأل الشاعر عن حُكم الشريعة في الهوىٰ والوصال، وفي عقيدتها أن الشريعة تحرّم ذلك، لكنها تلقت جوابا عن غير ذلك السؤال، فالشاعر قد صرف السائلة عن سؤالها، وأجاب عمّا سمعه حرفيّا، أي أجاب عن (السريعة)، لا (الشريعة)، معْرضا ومتملّصا من الإجابة المنتظرة والمرتقبة.

قال الشاعر السوري سليمان الصولة في غرض المديح:

قَالُوا رَأَيْتَ هِلَالَ العِيدِ؟ قُلْتُ لَهُمْ: ... رَأَيْتُهُ بَيْنَكُمْ يَا سَادَةَ البَشَرِ

وَاللهِ لَوْ وَلَدَتْ شَمْسُ الضُّحَى قَمَرًا ... مَا جَاءَ أَحْسَنَ وَجْهًا مِنْ قَفَا عُمَرِ

بإمعان النظر تجد الشاعر قد صرف السائلين عن رؤية هلال السماء، إلىٰ معنىٰ رؤية هلال الأرض، إشارة منه إلىٰ أن الممدوح هو كذلك مصدر أفراح الورىٰ وسعادتهم.

ويَروي خليل مطران أنه نظر إلىٰ ساعة سوداء في يد حسناء فقال:

سَاعَتُكِ البَيْضَاءُ، لَا سَاعَةً ... سَوْدَاءَ إِلَّا سَاعَةُ الهَجْرِ

تأمّل كيف حمل الشاعر عبارة (بياض الساعة، وسوادها) علىٰ معنىٰ قُرْبِ الحبيب أو بُعده، فالساعة التي يكون فيها الوصال ساعةٌ بيضاء، ولا ساعةَ سوداءَ سوىٰ ساعةِ الهجر.

ومن نماذج أسلوب الحكيم قول إيليا أبي ماضي في وصف قلمه:

تَبَخْتَرَ فَوْقَ الطِّرْسِ يَسْحَبُ ذَيْلَهُ فَقَالُوا: بِهِ كِبْرٌ، فَقُلْتُ: عَنِ الكِبْرِ

بيت يمثّل لوحة يعرضها الشاعر الفنان في معرض الفخر، فالناس حين رأوا قلمه يختالُ ويتباهىٰ، ويجرُّ أذيال العُجْب علىٰ السّجّاد الأحمر، وصفوه بالخيلاء والتكبّر، فصرف الشاعرُ حديثهم إلىٰ وجهة أخرىٰ، وقلب المعنىٰ بضده: فما رأوه كان كبرياءً، لا كبْرًا، وإنْ كان كبْرًا، فهو الكبْرُ عن الكبْر.

ومن نماذجه البليغة قول الشاعر الجزائري أبي القاسم خمّار:

قَالَتْ فِرَنْسَا أَتَيْنَاكُمْ نُعَلِّمُكُمْ فَنَّ الحَضَارَةِ إِذْ أَنْتُمْ لَهَا عَدَمُ

حَضَارَةُ الغَابِ حَقًّا نَحْنُ نَجْهَلُهَا وَالفَضْلُ يَرْجِعُ فِي تَشْرِيعِهَا لَهُمُ

فالشاعر قد حمل مقالة المستعمرين عن الحضارة علىٰ غير الوجه المقصود، فهم قصدوا بها التحضّر، والتمدّن، والتقدّم، في حين قصد الشاعرُ الوجهَ الحقيقي للاستعمار، المتخفّي وراء قناع الحضارة، والمتمثل في الهمجيّة، والانحطاط، والتخلّف.

ومن نماذجه الرفيعة قول الشاعر العراقي جعفر الحلي في وصف (سيف) الممدوح:

تَحْسَبُهُ الأَعْدَاءُ بَرْقًا مَاطِرًا نَعَمْ، وَلَكِنْ مُمْطِرٌ عَذَابَهَا

فالأعداء حين رأوا سيف الممدوح يلمع كالبرق زعموه برقا ماطرا، ولكن الشاعر حمل هذا المعنىٰ إلىٰ معنىٰ آخر: فسيف الممدوح حقًّا برقٌ ماطرٌ لأْلاء، غير أنه يمطر العذاب من البلاء، لا العذْب من الأنواء.

ومن بدائع أسلوب الحكيم قول محمود غنيم بعد فشل العدوان علىٰ مصر:

وَقَالَ القَوْمُ: يَوْمٌ أَوْ نَهَارُ فَكَانَ الدَّهْرُ فِي هَذَا النَّهَارِ

وَقَالُوا: نُزْهَةٌ فِي البَحْرِ قُلْنَا: نَعَمْ، لَكِنْ تَقُودُ إِلَى القَرَارِ

اعتقد جنود العدوان أنّ الحربَ علىٰ الكنانة مهمّةُ يومٍ أو نهار، ولكنّ الشاعر حمل كلامهم علىٰ غير الوجهة التي قصدوها، فالنهارُ عندهم صبرُ ساعة، والنهارُ عنده إلىٰ قيام الساعة، ثم قالوا إنها محض نزهة في البحر الأبيض، فكانت نزهة، ولكن في قاعِ بحرٍ أحمرَ مُخضَّبٍ بدماءِ الغزاة.

ومنه قول محمود غنيم أيضا إثر حادثة غرق إحدىٰ السفن السياحية في نهر النيل:

ذَهَبَ القَوْمُ يَسْتَجِمُّونَ حِينًا فَاسْتَجَمُّوا لَكِنْ مَدَى الأَزْمَانِ

فالضحايا قصدوا بالاستجمام السياحة والاستراحة القصيرة بعد العمل، بينما حمل الشاعر كلمة (استجمام) علىٰ أنها راحة أبدية، نالها السيَّاح علىٰ متن سفينة الآخرة.

وقال محمود غنيم في وصف جميلات الشواطئ:

قَالَ جَارِي: أَلَا تَكُونُ رَزِينًا؟ قُلْتُ: لَا تَلُمْنِي عَدِمْتُكَ جَارَا

وَتَلَفَّتُّ يُسْرَةً وَيَمِينًا قَالَ: مَاذَا أَضَعْتَ؟ قُلْتُ: الوَقَارَا

فالجارُ حين رأىٰ الشاعرَ يتلفت ذات اليمين وذات الشمال سأله عن الشيء الذي سقط منه، لكن الشاعر لم يجب عن هذا السؤال بالتحديد، ولكنه أجاب عن وقاره الذي سلبته إيَّاهُ فاتناتُ الشواطئ.

ومن نماذجه أيضا قول علي الجارم في حواره مع النَّاعِي:

فَقَالَ: قَضَى، قُلْنَا: قَضَى حَاجَةَ العُلَا فَقَالَ: مَضَى، قُلْنَا: بِغَيْرِ نَظِيرِ

تأمل كيف حملَ علي الجارم كلمةَ (قَضَىٰ) علىٰ إنْجاز وقضاءِ الحوائج، في حين قَصدَ بها النَّاعي الموت، وكذلك حمل الشَّاعِر كلمةَ (مَضَىٰ) علىٰ أنَّه مَضَىٰ

وذهبَ بالفضْل، ولم يدع لغيره شيئًا منه، في حين كان قصدُ المتكلِّم الفناء.

ومن بدائع أسلوب الحكيم قول ناصيف اليازجي:

قَالُوا أَصَبْنَا فَلَا تُوجِبْ مَلَامَتَنَا ... نَعَمْ أَصَابُوا فُؤادًا بالسِّهَامِ رُمِي

فالشاعر لم يحمل كلمة (أصَبْنَا) علىٰ معنىٰ الصواب، بل علىٰ معنىٰ الإصابة.

ومن نماذج أسلوب الحكيم قول جبران خليل جبران:

تِلْكَ حَالِي فَإذَا قَالَتْ رَحِيلْ ... مَا عَسَى-حَلَّ بِهِ؟ قُولُوا: الجُنُونْ

وَإذَا قَالَتْ: أَيُشْفَى وَيَزُولْ ... مَا بِهِ؟ قُولُوا: سَتَشْفِيهِ المَنُونْ

بقليل من التأمل تجد الشاعر قد صرفَ سؤالَ (رحيل) إلىٰ غير الوجهة التي قصدتها: فهي قصدت السؤال عن إمكانية شفاء المجنون، فكان ردُّهُ أنَّ الشفاء سيكون، ولكن علىٰ يد المنون.

واستمع إلىٰ هذا الأب، وقد جاءه ولده يسأله عن بعض القضايا الفلسفية والوجودية، حين سأله عن ماهية الروح، وماهية النفس، لكن الأب أدرك أنّ مثل هذه القضايا ليس من السهل علىٰ ابنه أن يدرك جوهرها، فقال:

جَاءَنِي ابْنِيَ يَوْمًا وكُنْتُ أرَاهُ ... لِي رَيْحَانَةً وَمَصْدَرَ أُنْسِ

قَالَ: مَا الرُّوحُ؟ قُلْتُ: إنَّكَ رُوحِي ... قَالَ: مَا النَّفْسُ؟ قُلْتُ: إنَّكَ نَفْسِي-

ومن نماذج أسلوب الحكيم النثرية قول محمد المويلحي: «الْتَفَتَ رَفِيقِي إلَىٰ الفُنْدُقِ فَرَأَىٰ فِيهِ شُمُوسَ الكَهْرَبَاءِ مُشْرِقَة، ويَنَابِيعَ الضِّيَاءِ مُتَدَفِّقَة، وأعْمِدَةَ المَصَابِيحِ كَأَنَّهَا أغْصَانُ الأشْجَار، أَزْهَرَتْ بالأنْوَارِ مَكَانَ الأنْوَار[1]، فَصَارَ كُلُّ عَمُودٍ مِنْهَا عَمودَ فَجْر، يُفَجِّرُ ثَغْرُهُ الدُّجْنَةَ أَيَّ فَجْر، وكَأَنَّ مَنْثُورَ الشُّمُوعِ فِي ظُلْمَةِ الحَلَك، مَنْثُورُ النُّجُومِ فِي قُبَّةِ الفَلَك، ورَأَىٰ تَحْتَهَا صُفُوفًا مِنَ الرِّجَال، بَيْنَ

(١) الأنوار الأولىٰ جمع نُور (الضياء)، والثانية جمع نَوْر (الزهر الأبيض).



صُفُوفٍ مِنْ ذَوَاتِ الحِجَال، عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِين، وأَرَائِكَ مُتَّكِئِين، فَطَفِقَ يَسْأَلُنِي: أَتُرَاهُ مَحْفَلًا لِيَوْمِ أُنْس، أمْ زِفَافًا فِي يَوْمِ عُرْس؟ أَمْ تُرَاهَا لَيْلَةَ مِهْرَجَان، لَقَبِيلٍ مِنَ الجَان، نَسُوا تَفَاوُتَ الجِنْس، فَأَنِسُوا إِلَىٰ الإنْس؟ فَقُلْتُ لَهُ: نَعَمْ هَؤلَاءِ شَيَاطِينُ الإِنْسِ يَطْوُونَ البَرَّ والبَحْر، ويَقْطَعُونَ الحَزْنَ والوَعْر، ويَطِيرُونَ فِي السَّمَاء، ويَمْشُونَ عَلَىٰ المَاء، ويَخرِقُونَ الجِبَال، ويَنْسِفُونَ القِلَال، ويَقْلِبُونَ الآكَامَ وِهَادَا، ويَبْسُطُونَ الرُّبَىٰ مِهَادَا، ويَجْعَلُونَ القِفَارَ بِحَارَا، ويُحِيلُونَ البِحَارَ بُخَارَا».

انظر كيف حَمَلَ الكاتب كلمة (الجنّ) علىٰ غير المعنىٰ الذي أراده الرفيق: فالرفيق يسأل متعجبًا: إنْ كان ما يراه مهرجانًا لمعشرٍ من الجنّ؟ فيجيبه الكاتب بأنه قد كان من الصادقين، فهم بالفعل (جنٌّ)، ولكن من جنس الإنسان، لا من جنّ سليمان، اخترعوا الكهرباء، وغزوا الفضاء، وطاروا في الهواء، ومشوا في الماء...فهم الذين استطاعوا أن ينفذوا في أقطار السموات والأرض بسلطان العلم والمدنيّة والحضارة.

بلاغة أسلوب الحكيم:

أسلوبُ الحكيمُ بالإضافة إلىٰ جمال أسلوبه، وإيجاز عباراته، وثراء معانيه، فهو يكشف عن حكمة، وذكاء، ومهارة، وبديهة، وقدرة فائقة علىٰ التصرف السريع، وقيمتُه البلاغية في إبداعه الفوري، ولذلك قيل: «البلاغة هي الصواب في سرعة الجواب»، وأسلوب الحكيم يساعد علىٰ تقوية ملكة الاستحضار في النفس، «ويبعث في لسان الإنسان قوةً في التعبير إذا سُئِل، وقدرة علىٰ سَبْكِ الكلام إذا ارتجل». والمخاطب الذي يجد نفسه علىٰ نحو مفاجئ أمام أمْرٍ يُحرجه، أو يضايقه، يجد في أسلوب الحكيم منصرفًا ومنفذًا، «ولا يسبق في هذه الحلبة إلا الأذكياء اللّمّاحون الذين يعرفون مخارج القول وموالجه»[١].

(١) المفصل في علوم البلاغة العربية (ص ٦١٥).

التطبيق

دُلَّ علىٰ أسلوب الحكيم، واشرحه في الأمثلة الآتية:

١- ركب شخصٌ سيارة أجرة، فوجد السائقَ يستمع إلىٰ القرآن الكريم في الراديو، فقال الزبون: هل مات أَحد؟ قال السائق: نعم، قلوبُنا.

٢- سأل زوجٌ زوجته عن معنىٰ الصرف والنحو، فقالت: أن (تَصْرِفَ) راتبك علىٰ (النَّحْوِ) الذي يرضيني.

٣- مر صديقان علىٰ مقهىٰ للإنترنت، فدخلاه لأجل تحميل كتابٍ ما، وبعد مدّة سأل أحدُهما الآخر: هل اكتمل التنزيل؟ فردَّ: التنزيل اكتمل قبل وفاة رسول الله ﷺ بأشهر معدودة.

٤- سأل الطالبُ الأستاذَ عن الدُّروس المتوقَّعة في الامتحان، فردَّ الأستاذ: إذا أردتَ النَّجاح، فعليك بمراجعة درسيْ المثابرة والاجتهاد.

٥- سأل أستاذٌ تلميذَه: أين تَقَعُ غَزَّة؟ فردَّ الطّالب: غَزَّةُ لا تقع.

٦- قيل لأحدِ البَحَّارِين: مَا أَعْجَبُ ما رأيتَ من البحر؟ قال: سلَامَتي منه.

٧- سأل شخصٌ أستاذًا حكيمًا: ما مفرد مصائب؟ قال: المصائبُ لا تأتي فُرادىٰ.

٨- قيل لرجل: ماذا وَرِثَتْ أختك من زوجها؟ قال: أربعةَ أشهرٍ وعَشْرًا.

٩- سأل رَجُلٌ إمَامًا: هل رَفْعُ اليدين في الصَّلاة أفضل أم إرسالهما؟، قال: رفعُ القلبِ إلىٰ الله أفضل منهما جميعًا.

١٠- وسأل شابٌ إمامًا: ما حكم تارك الصلاة؟ قال: حكمُهُ أن نأخذه معنا إلىٰ المسجد.

حل التطبيق

١- حين سمع الراكب القرآن يُتلىٰ في الراديو سأل السائقَ: هل مات أحد؟ فرد السائق: نعم قلوبنا ماتت، فالراكب سأل عن الجنازة، لكن السائق ترك سؤاله وأجاب عن سؤال لم يسأله الراكب، إشارة منه أن قلوب المسلمين هي التي قد ماتت، ما داموا لا يستمعون إلىٰ القرآن إلا في الجنائز.

٢- الزوجة تركت الإجابة عن السؤال المطروح، وأجابت عن السؤال الذي لم يسأله الزوج. أي أنها قد أحالت السؤال إلىٰ وجهة غير مقصودة، وذلك لغاية في نفسها.

٣- الأول أراد السؤال عن تنزيل الملفات، أي تحميلها، والثاني أجاب عن تنزيل الوحي.

٤- إجابة الأستاذ لم تكن عن السؤال الذي طرحة الطلاب، وإنما كانت عن سؤال آخر، كان حريّا بالسائلين أن يسألوا عنه.

٥- الأستاذ سأل عن الموقع الجغرافي لغزة، لكن الفتىٰ قد حمل معنىٰ الفعل (وقع) علىٰ الوقوع، لا الموقع.

٦- السائل سأل عن عجائب البحر، لكن البحَّار صرف السؤال إلىٰ معنىٰ مخَاطر البحر، وبذلك أجاب إجابة لم يتوقعها السائل.

٧- السائل يسأل الأستاذ عن مفرد مصائب في اللغة، لكن الأستاذ ترك الإجابة عن سؤال الطالب، فلم يقل: إن مفردها مصيبة، بل رد ردًا مختلفًا، وأجاب عن سؤال لم يسأله السائل، إشارة منه أن محن الدهر وخطوب الزمان لا تأتي سوىٰ مجتمعة، متوالية.

٨- الرجل سُئل عن ميراث أخته (المال أو غيره)، لكن الرجل أجاب عن العِدَّة، إشارة منه بأنها لم ترث شيئًا.

٩- الإمام الحكيم حمل كلام السائل علىٰ غير ما كان يقصده، إشارة منه بأن السؤال عن كيفية الخشوع في الصلاة هو ما كان ينبغي أن يسأل عنه السائل.

١٠- توقع الشاب من فتوىٰ الإمام كلاما عن العذاب، لكن الإمام الحكيم أحاله إلىٰ معنىٰ آخر، وهو مرافقة تارك الصلاة إلىٰ المسجد، وذلك والله ليس فقط أسلوب حكيم، بل هو أسلوب الحياة برمّتها.



الإرْصَــاد

تعريفُ الإرْصَاد لُغَةً: هو التَّهْيِئَةُ، والإعْدَاد، يُقَال: أرْصَدَ الشَّيءَ للشَّيْء إذا أعَدَّهُ له، «ومِنْهُ الرَّصَدُ، وهُم القَوْمُ الَّذِينَ يَرْصُدُونَ كَالحَرَس»[(١)]. قال الشاعر العراقي حيدر الحلي:

مَــنْ لِي بِقَطْــفِ زَهْــرَةٍ مِــنْ خَــدِّهِ   وَعَقْــرَبُ الصُّــدْغ عَلَيْهَــا رَصَــدُ؟

والمِرْصَادُ: الطَّرِيقُ، أو المَكَانُ الَّذِي يُرْصَدُ فِيهِ العَدُوّ. قال محمود سامي البارودي في رثاء أبيه:

تَــرَاهُ ذَا أُهْبَــةٍ فِي كُــلِّ نَائِبَــةٍ   كَاللَّيْــثِ مُرْتَقِبًــا صَــيْدًا بِمِرْصَــادِ

والتَّرَصُّدُ هُوَ التَّرَقُّبُ.

الإرْصَادُ اصطلاحًا: «هُوَ أنْ يُجْعَلَ قَبْلَ العَجُزِ مِنَ الفِقْرَة، أو البَيْتِ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ العَجُزِ إذَا عُرِفَ الرَّوِي»[(٢)]. وقَدْ سُمِّيَ هَذَا الفَنُّ البَدِيعِيّ إِرْصَادًا «لِأَنَّ السَّامِعَ يَرْصُدُ ذِهْنَهُ لِلْقَافِيَةِ بِمَا يَدُلُّ عَلَيْهَا قَبْلَهَا»[(٣)].

قال محمود غنيم في هذا المعنىٰ واصفًا شعر علي الجارم:

وَيَكَــادُ سَــامِعُهُ يُفَسِّــرُ لَفْظَــهُ   مِــنْ قَبْــلِ أَنْ يَسْــرِي إِلَى آذَانِــهِ

وقال الأمير شكيب أرسلان في وصف شعر البارودي:

رَوِيُّــهُ العَــذْبُ فِي تَحْكِــيمِ مَوْقِعِــهِ   مِنْ أَوَّلِ الشَّطْرِ يُدْرَى غَيْرَ مُلْتَبِسِ

---

(١) علوم البلاغة مرجع سابق (ص ١٠٢).

(٢) لباب البديع (ص ١١١).

(٣) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح بهاء الدين السبكي (ص ٢٣٥).

وقال محمود سامي البارودي في وصف قصائد حافظ إبراهيم:

أَلْفَاظُهَا نَمَّتْ عَلَى مَا تَحْتَهَا   وَصُدُورُهَا دَلَّتْ عَلَى الأَعْجَازِ

وقَدْ أَطْلَقَ عَلَيْهِ بَعْضُهُمْ اسْمَ (التَّسْهِيم)، وهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ وَضْعِ صُورَةِ السَّهْم، للإشَارَةِ بِهِ إِلَىٰ المَكَانِ المَقْصُود، أو المَعْنَىٰ المَقْصُود، «ومَعْلُومٌ أَنَّ إِعْدَادَ مَا يَلْزَمُ فِي أَوَّلِ الكَلَام لِمَعْرِفَةِ مَا سَيَأْتِي فِي آخِره، هُوَ بِمَثَابَةِ وَضْعِ صُورَةِ السَّهْمِ الَّتِي يُشَارُ بِهَا إِلَىٰ المَقْصُود»(١).

وقد أشار نزار قباني إلىٰ معنىٰ الإرصاد حين علّق علىٰ القصيدة الكلاسيكية قائلًا: «لَقَدِ انْتَهَتْ فِي حَيَاتِنَا مَرْحَلَةُ القَصِيدَةِ العَصْمَاء، بِقَوَافِيهَا المَرْصُوصَةِ كَأَسْنَانِ المُشْط، الَّتِي نَعْرِفُهَا قَبْلَ أَنْ نَعْرِفَهَا».

شواهد الإرصاد:

قال إيليا أبو ماضي:

أَنَا أَنْتُمْ، إِنْ ضَحِكْتُمْ لِأَمْرٍ   ضَحِكْتُ، وَأَدْمُعُكُمْ أَدْمُعِي

وَمُطْرِبُ أَرْوَاحِكُمْ مُطْرِبِي   وَمُوجِعُ أَكْبَادِكُمْ مُوجِعِي

أَنَا وَاحِدٌ مِنْكُمْ، يَا نُجُومَ   بِلَادِي، مَتَى تَسْطَعُوا أَسْطَعِ

«خذ ما شئت من هذه الأبيات وابدأ بتلاوة أوله، فإنك واجدٌ نفسَك مسوقا بصورة فطرية وطبيعية إلىٰ النهاية نفسِها التي ختم بها الشاعر بيته». فالشاعر في البيت الأول لم يذكر جملةَ (أنا أنتم) إلّا لتكون إعلامًا مسبقا عن الكلام اللاحق، فهي جملة (أَسْهَمَتْ) في معرفة ما يختلج في صدر الشاعر، والتنبؤ به قبل سماعه، فلو وقف الشاعر عند كلمة (وأدمعكم) لقال السامع دون تردد (أدمعي)، والأمر ذاته حاصل في البيت الثاني والثالث في كلمتي: (موجعي)، و(أسطع).

(١) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها (ص ٣٨٥).

وقال إيليا أبو ماضي:

أَنَـا خَـيْرُ مَـنْ قَـالَ القَـوَافِيَ مَادِحًـا ... أَنَـا خَـيْرُ مَـنْ قَـالَ القَـوَافِيَ هَـاجِي

فلو قرأ الشاعرُ صدر البيت، ثم قرأ بداية البيت الثاني، يأتي السامعُ به كاملًا غير ناقص.

قال بشارة الخوري:

يَـا هِنْـدُ إِنِّي كَـالهَزَارِ فَـإِنْ يَكُـنْ ... هُـوَ مُـذْنِبًا فَأَنَـا كَـذَلِكَ مُـذْنِبُ

لعلك لاحظت أن الشاعر لم يأتِ بجملة (يا هند إني كالهزار) إلا لتكون إعلامًا مسبقًا عن الكلام اللاحق، فهي جملة أسهمت في معرفة ما يختلج في صدر الشاعر، والتنبؤ به قبل سماعه، فلو وقف الشاعر عند كلمة (هو مذنبا)، لقلتَ دون تردد (فأنا كذلك مذنب).

قال مصطفىٰ صادق الرافعي:

وَقَـدْ ذُقْـتُ مِـنْ حُلْـوِ الزَّمَـانِ وَمُـرِّهِ ... فَـلَا الحُلْـوُ أَنْسَـانِي هَـوَاكِ وَلَا المُـرُّ

من قرأ بيت الرافعي، وعرف الرويّ، ووقف عند كلمة (هواكِ)، لا يصعب عليه أن يقول: (ولا المُرُّ).

قال ناصيف اليازجي في غرض المدح:

فَـإِذَا زَارَ فَـالخَرِيفُ رَبِيـعٌ ... وَإِذَا غَـابَ فَـالرَّبِيعُ خَرِيـفُ

مِنَ البديهيّ أنّ من وقف علىٰ الصدر يرَ بوضوح معالم العجز.

وقال اليازجي مادحًا:

قَـدْ سَـخَّرَ الـرِّيحَ يَنْهَاهَـا وَيَأْمُرُهَـا ... كَأَنَّمَـا هُـوَ فِي الـدُّنْيَا سُـلَيْمَانُ

نقول: ما ذكرَ الشاعرُ جملةَ (قد سخر الريح) إلّا لتكون إعلامًا مسبقا عن الكلام اللاحق، فهي جملة أَسْهَمَتْ في معرفة ما يجول في خاطر الشاعر، والتنبؤ



به قبل سماعه، فلو وقف الشاعر عند كلمة (الدنيا) لقال السامع دون تفكير: (سليمانُ).

قال الشاعر العراقي جعفر الحلّي:

دَرَتِ الخُطوبُ بِأَنَّكَ ابْنُ جَلَّا لَهَا وَلِثَغْرِ كُلِّ ثَنِيَّةٍ طَلَّاعُ

حيث ذكر المادحُ جملة (أنك ابن جلًا لها) لتسهم في معرفة ما لحق من كلام، فلو وقف الشاعر عند كلمة (ثنيّة) لعرف السامع أن الكلمة المرادة هي (طلّاع) لا سواها، لقول الشاعر القديم:

أَنَا ابْنُ جَلَا وطَلَّاعُ الثَّنَايَا مَتَى أضَعِ العِمامَةَ تَعْرِفُونِي

وقال أيضًا:

وَكُنْتُ بِهِ أَعُدُّ العَامَ يَوْمًا فَحِينَ مَضَى أَعُدُّ اليَوْمَ عَامَا

فمن اليسير علىٰ من قرأ صدر البيت أن يتنبأ بعجزه متىٰ عرف الروي.

قال خليل مطران في حفلة تكريم الأديب أنطون الجميّل:

إنْ زَاوَلَ الإنْشَاءَ: أَبْلَغُ مُنْشِئٍ أَوْ زَاوَلَ الإنْشَادَ: أَفْصَحُ مُنْشِدِ

فمن قرأ البيت وعرف الرويّ، ووقف عند كلمة (الإنشاد)، كيف يصعب عليه أن يقول: (أفصح منشد)؟

قال معروف الرصافي:

إنْ سَرَّكَ الدَّهْرُ يَوْمًا سَرَّنِي وَإِذَا آذَاكَ بِالمُزْعِجَاتِ الدَّهْرُ آذَانِي

لاحظ أنّ بداية البيت قد أسهمت في معرفة نهايته، فالشاعر قد جعل صدر البيت مؤشرًا ودليلًا علىٰ عجزه، ولو أن الشاعر قرأ البيت وتوقف عند كلمة (الدهر) لاستطاع المتلقي الذي عرف حرف الروي أن يأتي بكلمة (آذاني) قبل أن ينطق الشاعر بها.

وقال الرصافي في الغزل:

وَمَا الصَّبْرُ إلَّا غَائِبٌ غَيْرُ حَاضِرٍ ... وَمَا الشَّوْقُ إلَّا حَاضِرٌ غَيْرُ غَائِبِ

فالمتلقّي الذي عرف الرَّوي، وسمع صدر البيت، لن يجد صعوبة في تعرُّف عَجُز البيت كاملًا.

قال بشارة الخوري:

قَسَمْتُ فُؤَادِي بَيْنَ بُؤسِي وَالهَوَى ... فَهَذَا لَهُ شَطْرٌ وَهَذَا لَهُ شَطْرُ

بإمعان النظر تجد أنّ بداية البيت قد أسهمت في معرفة نهايته، فلو قرأ الشاعر بداية الشطر الثاني لما تردّد السامعُ في الإتيان به كاملًا.

قال أحمد شوقي:

وَالنَّاسُ صِنْفَانِ: مَوْتَى فِي حَيَاتِهِمُ ... وآخَرُونَ بِبَطْنِ الأرْضِ أَحْيَاءُ

نقول إن الشاعر قد جعل صدر البيت مؤشرًا ودليلًا علىٰ عجزه، فلا يصعب علىٰ السامع التكهن بالعجز إذا عرف حرف الرويّ.

قال الشاعر الفلسطيني تميم البرغوثي في أطفال الحجارة:

جِبَالُهُمْ فِي الأيْدِي مُفَرَّقَةٌ ... وَأمْرُهُمْ فِي الجِبَالِ مُجْتَمِعُ

السَّامعُ حين يقف علىٰ قولِ الشاعر (الجبال)، يعرف بكل ثقة مُرادَه.

قال فوزي المعلوف:

مَهْمَا يَجُرْ وَطَنِي عَلَيَّ وأهْلُهُ ... فَالأهْلُ أهْلِي وَالبِلَادُ بِلَادِي

فكلمة (بِلادِي) يستطيعُ أنْ يأتيَ بها السَّامعُ الذي عَرَفَ الرويّ قبل أنْ ينطق الشاعر بها.

قال الشاعر العراقي الشيخ عبد المحسن الكاظمي:

فَكُلُّ مَكَانٍ لَسْتَ فِيهِ جَهَنَّمُ ... وَكُلُّ مَكَانٍ أَنْتَ فِيهِ نَعِيمُ

فالذي قرأ الشطر الأول، وكان عارفا للروي، كيف يصعب عليه الإتيان بعجزه؟

قال الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة:

فَقُولُوا لِآتِي العَدْلِ إِنَّكَ عَادِلُ ... وَقُولُوا لِآتِي الظُّلْمِ إِنَّكَ ظَالِمُ

فلو سَكَتَ الشاعرُ عند كلمة (وقُولُوا) التي في عَجُزِ البيت لتقرَّرَ في ذهن السَّامعِ مباشرة: (لِآتِي الظُّلْمِ إِنَّك ظَالِمُ).

وقال محمد العيد مخاطبا شعبه الجزائري:

كُونُوا عَلَى الْمُتَعَزِّزِينَ أَعِزَّةً ... كُونُوا عَلَى الْمُتَكَبِّرِينَ كِبَارَا

فالقارئ لأول البيت لا يتعسر عليه معرفة آخره، لأن صدره يخبر عن عجزه، بشرط معرفة حرف الرويّ.

بلاغة الإرصاد:

تكمنُ بلاغةُ الإرصاد في قُدْرَة القارئ، أو السَّامِعِ علىٰ التَّنَبُّؤ بما يختلج داخل الأديب، حتىٰ إذا عرف القارئُ أوَّلَ الكلام، استطاع أنْ يُكْمِلَه قبل أن ينطقَ المُتكلِّمُ به، وممّا يدل علىٰ سموّ هذه الصنعة قول الأديب والشاعر الأمير شكيب أرسلان في شهادته علىٰ شعر أديبنا الجزائري محمد العيد آل خليفة: «إنْ كان في العصر شاعر يصحّ أن يمثل البهاءَ زهيرًا في سلاسة نظمه، ودقة شعوره، وجودة سبكه، واستحكام قوافيه التي يعرفها القارئ قبل أن يصل إليها، فيكون محمدًا العيد الذي أقرأ له القصيدة المرتين والثلاث ولا أملّ، وتمضي الأيام وعذوبتُها في فمي»[(١)].

و«تنهضُ جمالية الإرصاد علىٰ إثبات مؤشر دلاليّ في صدر الكلام يومئ

---

(١) ديوان الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة (ص ٨).



إلىٰ آخره، ويُسهم في تحديده، فإذا ما توقّع المتلقّي الكلام اللاحق، بناءً علىٰ إدراكه للسابق، ثم صحَّ له توقّعُه، وتحقَّقَ حدسه، أدركته لا محالةَ حال من الرضا والبهجة، هي حالُ مَنْ توقّع فأصاب، وتفرّسَ فصحَّ تفرُّسُه»[١].

وقد أشاد بالإرصاد أبو هلال العسكري إذْ قال: «هو أنْ يكون مبدأ الكلام ينبئ عن مقطعه، وأولُه يخبر بآخره، وصدرُه يشهد بعجزه، حتىٰ لو سمعت شعرًا، وعرفتَ رويّه، ثم سمعت صدر بيت منه، وقفتَ علىٰ عجزه قبل بلوغ السَّماع إليه، وخيرُ الشّعرِ ما تُسابق صدورُه أعجازَه، ومعانيه ألفاظَه مسابقةً، فتراه سلسا في النظام، جاريا علىٰ اللسان، لا يتنافىٰ ولا يتنافر، كأنه سبيكة مفرغة، أو وشي منمنم، أو عقد منظّم من جوهر متشاكل، ألفاظُه متطابقة، وقوافيه متوافقة، ومعانيه متعادلة، كل شيء منه موضوع في موضعه، وواقع في موقعه»[٢].

وعُلماء البديع أجمعوا علىٰ أنّ الإرصاد مُحَسِّنٌ بديعيٌّ محمُود، لأنَّ خيرَ الكلام ما دلَّ بَعْضُهُ علىٰ بَعْض، وأخذَ بعضُهُ بِرقَاب بعض، «والإرصاد ذكره ابن المقفع، وإنْ لم يسمّه حين قال: وليكنْ في صدر كلامك دليل علىٰ حاجتك، كما أنّ خيرَ أبيات الشعر البيتُ الذي إذا سمعتَ صدرَه عرفتَ قافيته»[٣].

وهذا ما كان يعنيه محمود سامي البارودي في مدح مصطفىٰ صادق الرافعي:

صَاغَ القَرِيضَ بِإتْقَانٍ فَلَوْ تُلِيَتْ ... صُدُورُهُ عُلِمَتْ مِنْهَا قَوَافِيهِ

أو قوله في وصف قصائد حافظ إبراهيم:

أَلْفَاظُهَا نَمَّتْ عَلَى مَا تَحْتَهَا ... وَصُدُورُهَا دَلَّتْ عَلَى الأَعْجَازِ

---

(١) المفصل في علوم البلاغة العربية (ص ٥٦٧).
(٢) كتاب الصناعتين للزمخشري (ص ٣٩٧).
(٣) المعجم المفصل في علوم البلاغة الدكتورة إنعام نوّال عكاوي (ص ٦٢).

وكذا قوله مفتخرًا بشعره:

مُتَشَابِهُ الطَّرَفَيْنِ يُنْبِئُ صَدْرُهُ عَمَّا تَلاحَقَ فَهْوَ بَادِي الْمَعْلَمِ

ويضاف إلىٰ ذلك قول الأمير شكيب أرسلان في وصف شعر البارودي:

رَوِيُّهُ العَذْبُ فِي تَحْكِيمِ مَوْقِعِهِ مِنْ أَوَّلِ الشَّطْرِ يُدْرَى غَيْرَ مُلْتَبِسِ

وكذا قول محمود غنيم في وصف شعر الشاعر المصري الكبير علي الجارم:

وَيَكَادُ سَامِعُهُ يُفَسِّرُ لَفْظَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَسْرِي إِلَى آذَانِهِ



التطبيق

أكملْ كل بيت من الأبيات الآتية بالكلمة المناسبة:

١- قال معروف الرصافي:

العَـارُ يَرْحَـلُ مَعْهُـمْ أَيْنَمَـا رَحَلُـوا   وَالخِزْيُ يَهْبِطُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا ....

٢- وقال معروف الرصافي:

وَهَـلْ أَنَـا إِلَّا مِـنْ أُولَئِـكَ، إِنْ مَشَـوْا   مَشَيْتُ وَإِنْ يَقْعُدْ أُولَئِكَ ....؟

٣- قال مصطفى صادق الرافعي:

فَكَـمْ رَجُـلٍ تَـرَى فِيـهِ صَـبِيًّا   وَكَـمْ مِـنْ صِـبْيَةٍ وَهُـمُ ....

٤- قال محمود سامي البارودي:

رِجَـالٌ أُولُـو بَـأْسٍ شَـدِيدٍ وَنَجْـدَةٍ   فَقَـوْلُهُمْ قَـوْلٌ وَفِعْلُهُـمُ ....

٥- قال الشاعر عبد المحسن الكاظمي:

فَبَـيْنَ ضُـلُوعِي وَالشُّـجُونِ تَقَـارُبٌ   وَبَـيْنَ جُفُـونِي وَالهُجُـودِ ....

٦- قال ناصيف اليازجي:

فَظَـلَّ الصَّـبْرُ عِنْـدِي فِي انْتِقَـاصٍ   وَظَـلَّ الشَّـوْقُ عِنْـدِي فِي ....

٧- ولليازجي كذلك:

وَإِنَّ الحَصَـى عِنْـدَ الجَـزُوعِ ثَقِيلَـةٌ   وَضَخْمَ الصَّفَا عِنْدَ الصَّبُورِ..........

٨- قال محمود غنيم:

لَـوْ يَشْـرَبُونَ دِمَـاءَ العُـرْبِ مَـا نَهِلُـوا   أَوْ يَأْكُلُونَ لُحُـومَ العُـرْبِ مَـا ....

٩- وقال غنيم في وصف مؤتمر عربي:

السَّاجِدُونَ لَكُمْ يَدْعُونَ إنْ سَجَدُوا   وَالرَّاكِعُونَ لَكُمْ يَدْعُونَ إنْ ....

١٠- قال أحمد شوقي:

فَلِمَنْ حَاوَلَ النَّعِيمَ نَعِيمٌ   وَلِمَنْ آثَرَ الشَّقَاءَ ....

١١- قال الشاعر الجزائري مفدي زكريا:

بالأَمْسِ كَانَتْ تُوَافِيكُمْ مَدَائِحُنَا   وَاليَوْمَ جَاءَتْ تُوَاسِيكُمْ ....

١٢- قال علي الجارم:

فَإِذَا وَصَلْتِ فَكُلُّ شَيْءٍ بَاسِمٌ   وَإِذَا هَجَرْتِ فَكُلُّ شَيْءٍ ....

١٣- وقال علي الجارم مفتخرا بشعره:

فَإِنْ سَمِعْتَ رَنِينًا كُلُّهُ عَجَبٌ   فَالعُودُ عُودِي وَالأَوْتَارُ..........

١٤- وقال علي الجارم:

إذا أَمَلَ الفَتَى فَالهَزْلُ جِدٌّ   وَإنْ يَئِسَ الفَتَى فَالجِدُّ ....

١٥- قال إيليا أبو ماضي:

وَحَطَّمْتُ أَقْدَاحِي وَلَمَّا أَرْتَوِي   وَعَفَفْتُ عَنْ زَادِي وَلَمَّا ....

١٦- وقال إيليا أبو ماضي يرثي مصطفىٰ كامل، ويذكّر بمناقبه ومواقفه تجاه مصر:

فَأَيْقَظْتَهَا مِنْ رَقْدَةٍ بَعْدَ رَقْدَةٍ   وَأَنْهَضْتَهَا مِنْ كَبْوَة إِثْرَ ....

١٧- قال الشاعر الجزائري محمد العيد في اللسان العربي:

لا تُهْمِلُوا هَذَا اللِّسَانَ، فَفَقْدُكُمْ   فِي فَقْدِهِ وَدَوَامُكُمْ ....

١٨- قال الشاعر الفلسطيني عمر اليافي:

يَا قُدْسَ قَلْبٍ فِي الهَوَى مِعْرَاجُهُ   سُبْحَانَ مَنْ بِالرُّوحِ قَدْ ....

حل التطبيق

١- قال معروف الرصافي:

العَـارُ يَرْحَـلُ مَعْهُـمْ أَيْنَمَـا رَحَلُـوا وَالخِزْيُ يَهْبِطُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا هَبَطُوا

٢- وقال معروف الرصافي:

وَهَـلْ أَنَـا إِلَّا مِـنْ أُولَئِـكَ، إِنْ مَشَـوْا مَشَـيْتُ وَإِنْ يَقْعُـدْ أُولَئِـكَ أَقْعُـدِ؟

٣- قال مصطفى صادق الرافعي:

فَكَـمْ رَجُـلٍ تَـرَى فِيـهِ صَـبِيًّا وَكَـمْ مِـنْ صِـبْيَةٍ وَهُـمُ رِجَـالُ

٤- قال محمود سامي البارودي:

رِجَـالٌ أُولُـو بَـأْسٍ شَـدِيدٍ وَنَجْـدَةٍ فَقَـوْلُهُمُ قَـوْلٌ وَفِعْلُهُـمُ فِعْـلُ

٥- قال الشاعر عبد المحسن الكاظمي:

فَبَـيْنَ ضُـلُوعِي وَالشُّـجُونِ تَقَـارُبٌ وَبَـيْنَ جُفُـونِي وَالهُجُـودِ تَبَاعُـدُ

٦- وقال ناصيف اليازجي:

فَظَـلَّ الصَّـبْرُ عِنْـدِي فِي انْتِقَـاصٍ وَظَـلَّ الشَّـوْقُ عِنْـدِي فِي مَزِيـدِ

٧- ولليازجي كذلك:

وَإِنَّ الحَصَـى عِنْـدَ الجَـزُوعِ ثَقِيلَـةٌ وَضَخْمَ الصَّفَا عِنْدَ الصَّبُورِ خَفِيفُ

٨- قال محمود غنيم:

لَـوْ يَشْـرَبُونَ دِمَـاءَ العُـرْبِ مَـا نَهِلُـوا أَوْ يَـأْكُلُونَ لُحُـومَ العُـرْبِ مَـا شَـبِعُوا

٩- وقال غنيم في وصف مؤتمر عربي:

السَّــاجِدُونَ لَكُـمْ يَـدْعُونَ إنْ سَـجَدُوا وَالرَّاكِعُـونَ لَكُـمْ يَـدْعُونَ إنْ رَكَعُـوا

١٠- قال أحمد شوقي:

فَلِمَــــنْ حَــــاوَلَ النَّعِـــيمَ نَعِـــيمٌ وَلِمَــــنْ آثَــــرَ الشَّـــقَاءَ شَـــقَاءُ

١١- قال الشاعر الجزائري مفدي زكريا:

بِـا لأَمْسِ كَانَـتْ تُـوَافِيكُمْ مَـدَائِحُنَا وَاليَـوْمَ جَـاءَتْ تُوَاسِـيكُمْ تَعَازِينَـا

١٢- قال علي الجارم:

فَـــإِذَا وَصَـــلْتِ فَكُـــلُّ شَيْءٍ بَاسِـــمٌ وَإِذَا هَجَـــرْتِ فَكُـــلُّ شَيْءٍ بَـــاكِ

١٣- وقال علي الجارم مفتخرا بشعره:

فَــإِنْ سَـمِعْتَ رَنِينًـا كُلُّـهُ عَجَـبٌ فَــالعُودُ عُــودِي وَالأَوْتَــارُ أَوْتَــارِي

١٤- وقال علي الجارم:

إذا أَمَـــلَ الفَـــتَى فَـــالهَزْلُ جِـــدٌّ وَإِنْ يَـــئِسَ الفَـــتَى فَالجِـــدُّ هَـــزْلُ

١٥- قال إيليا أبو ماضي:

وَحَطَّمْـــتُ أَقْـــدَاحِي وَلَمَّـــا أَرْتَـــوِي وَعَفَفْـــتُ عَـــنْ زَادِي وَلَمَّـــا أَشْـــبَعِ

١٦- وقال إيليا أبو ماضي يرثي مصطفىٰ كامل، ويذكّر بمناقبه ومواقفه تجاه مصر:

فَأَيْقَظْتَهَــا مِــنْ رَقْــدَةٍ بَعْــدَ رَقْــدَةٍ وَأَنْهَضْـتَهَا مِـنْ كَبْـوَة إِثْـرَ كَبْـوَةِ

١٧- قال الشاعر الجزائري محمد العيد في اللسان العربي:

لا تُهْمِلُـوا هَـذَا اللِّسَـانَ، فَفَقْـدُكُمْ فِي فَقْـــدِهِ وَدَوَامُكُـــمْ بِدَوَامِـــهِ

١٨- قال الشاعر الفلسطيني عمر اليافي:

يَـا قُـدْسَ قَلْـبٍ فِي الهَـوَى مِعْرَاجُـهُ سُـبْحَانَ مَـنْ بِـالرُّوحِ قَـدْ أَسْـرَاكِ

تمرين

دُلَّ على الإرصاد، وبيِّنْ بلاغته في النماذج الآتية:

قال محمود غنيم يصف (أُنس الطبيعة):

طُيُورُ الأَيْكِ تَصْدَحُ عَنْ يَمِينِي ... وَمَاءُ النَّهْرِ يَهْمِسُ عَنْ شِمَالِي

وقال محمود غنيم في وصف شجاعة الجزائريين في ثورتهم المجيدة:

لَوْ مَاتَ مِنْهُمْ تِسْعَةٌ ... لَمْ يَرْهَبِ الإقْدَامَ عَاشِرُ

وقال محمود غنيم:

طَحَنَتْ فَرِيقَيْهَا الحُرُوبُ بِضِرْسِهَا ... لَا غَالِبًا رَحِمَتْ وَلَا مَغْلُوبَا

قال الشاعر السوري أمين الجندي:

فَلَئِنْ ضَلَلْتُ بِلَيْلِ فَرْعِكِ فِي الهَوَى ... فَبِغَيْرِ نُورِ وَجْهِكِ لَمْ أَهْتَدِ

قال علي الجارم واصفا الحرب العالمية الثانية:

وَفَرِيقٌ لِلْفَتْكِ يَلْقَى فَرِيقَا ... وَحُشُودٌ لِلْهَوْلِ تَلْقَى حُشُودَا

قَدْ رَأَيْنَا الأُسُودَ تَقْنَعُ بِالقُو ... تِ، فَلَيْتَ الرِّجَالَ كَانَتْ أُسُودَا

قال محمود سامي البارودي:

فَلَا حَبَّذَا الدُّنْيَا إِذَا هِيَ أَدْبَرَتْ ... وإِنْ أَقْبَلَتْ يَوْمًا فَيَا حَبَّذَا هِيَا

قال إيليا أبو ماضي في الرثاء:

وكُنْتَ لَنَا الرَّجَاءَ فَلَا رَجَاءُ ... وكُنْتَ لَنَا المُعِينَ فَلَا مُعِينُ

وقال إيليا أبو ماضي مخاطبًا رفقاءه شعراءَ المهجر:

المَجْدُ مَطْلَبُكُمْ وَأَنْتُمْ سُهَّدٌ ... وَالمَجْدُ حُلْمُكُمْ وَأَنْتُمْ نُوَّمُ

قال نزار قباني:

وَإِنَّ مَــنْ فَــتَحَ الأَبْــوَابَ يُغْلِقُهَــا وَإِنَّ مَــنْ أَشْــعَلَ النِّــيرَانَ يُطْفِيهَــا

قال أحمد شوقي:

إذَا فَعَلُــوا فَخَــيْرُ النَّــاسِ فَعْــلًا وإنْ قَــالُوا فَــأكْرَمُهُمْ مَقَــالَا

قال الشاعر العراقي جعفر الحلي في مدح قومه:

فَعَبْــدُهُمْ بَــيْنَ الأَجَانِــبِ سَــيِّدٌ وَسَــيِّدُهُمْ لِلضَّــيْفِ فِي بَيْتِــهِ عَبْــدُ

وقال أيضًا:

فَنَشُــمُّ نَشْــرَ المِسْــكِ حِــينَ نَشُــمُّهَا وَنَــزُورُ دَارَ الخُلْــدِ حِــينَ نَزُورُهَــا

وله متغزلًا:

فَنَنْشُــرُ عَتْبًــا وَالعِنَــاقُ يَلُفُّنَــا فَيَــا حَبَّــذَا لَــوْ دَامَ لِي النَّشْــرُ وَاللَّــفُّ

قال الشاعر العراقي حيدر الحلي:

فَمَــعَ الشَّــمْسِ يُشْــرِقُونَ شُمُوسًــا وَمَــعَ البَــدْرِ يُشْــرِقُونَ بُــدُورَا

قال الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة:

فَمَــا لَــكَ فِيمَــا يَــدْفَعُ اللهُ جَالِــبٌ وَلَا لَــكَ فِيمَــا يَجْلِــبُ اللهُ دَافِــعُ

قال خليل مطران في رثاء قاسم أمين:

أَمَــا يَشْــفَعُ الفَضْــلُ فِي فَاضِــلٍ؟ أَمَــا يَشْــفَعُ العِلْــمُ فِي عَــالِمٍ؟

وقال خليل مطران:

وَمَــا كُــلُّ مَــنْ صَــادَقْتَهُمْ بِأَصَــادِقٍ وَمَــا كُــلُّ مَــنْ صَــاحَبْتَهُمْ بِصِــحَابِ

ولخليل مطران:

فَمَــا مِثْلُــهُ بَــيْنَ الأُبُــوَّةِ مِــنْ أَبٍ وَمَــا مِثْلُــهُ بَــيْنَ البُعُولَــةِ مِــنْ بَعْــلِ

تَشَابُهُ الأطْرَاف

تعريفُ تَشَابُهِ الأطْرَاف: وهُوَ أنْ يُؤْتَىٰ بِآخِرِ الفِقْرَة السَّابِقَةِ مِنَ الكَلام، أوْ بِآخِرِ الشَّطْرِ الأوَّل، أو بآخِرِ البَيْت، فَيُجْعَلَ بَدْءاً لِلْكَلَامِ اللَّاحِق.

أقسامه: ينقسم تشابهُ الأطراف إلىٰ قسمين:

أ/ أنْ يَنْظُرَ الشَّاعِرُ، أو النَّاثِرُ إلىٰ لَفْظَةٍ وَقَعَتْ في آخِرِ الشَّطْرِ الأوَّل، أو آخِرِ الجُملة، فَيَبْدَأُ بها الشَّطْرَ الثاني، أو الجُملةَ التالية.

ومن أمثلة هذا النوع قول إيليا أبي ماضي:

لا تَسْأَلُونِي اليَوْمَ عَنْ قِيثَارَتِي   قِيثَارَتِي خَشَبٌ بِلَا أَنْغَامِ

لاحظ أن الشاعر قد أعاد لفظة (قيثارتي) من آخر الشطر الأول، وجعلها في بداية الشطر الثاني، وبذلك تشابهت الأطراف.

ومنه قول محمد توفيق علي في غرض الغزل:

فَيَا رَبِّ إنْ أَعْطَيْتَنِي فَيَتِيمَةً   يَتِيمَةَ حُسْنٍ لَا يَتِيمَةَ مَوْلِدِ

فالشاعر قد أعاد لفظة (يتيمة) من آخر الشطر الأول، وجعلها في بداية الشطر الثاني.

ومنه قول الشاعر الجزائري الشيخ أحمد سحنون:

عَادَ الخَرِيفُ وَلَمْ تَعُدْ حُرِّيَتِي   حُرِّيَتِي هِيَ كُلُّ مَا أَتَطَلَّبُ

لاحظ أن الشاعر قد أعاد لفظة (حريتي) من آخر الشطر الأول، وجعلها في بداية الشطر الثاني.

ومن بديع هذا النوع قول الشاعر اللبناني عبد الحميد الرافعي في المدح:

لَـــذَّ لِي بَـــيْنَ البَرَايَـــا مَدْحُـــهُ   مَدْحُـــهُ بَـــيْنَ البَرَايَـــا لَـــذَّ لِي

ومنه قول مفدي زكريا مخاطبًا شباب الجزائر:

وَقُولُـــوا مَعِـــي لِخِصَـــمِّ الحَيَـــاةِ:   خِضَـــمَّ الحَيَـــاةِ اخْتَـــدِمْ وَأَزْبِـــدِ

ومنه قول بشارة الخوري:

صُغْتُ القَرِيضَ وَمَا لِي فِي القَرِيضِ يَدُ   يَـدُ الطَّبِيعَـةِ فيـه... أَوْ يَـدُ القَـدَرِ

ومنه قول محمود غنيم مخاطبًا نفسه بعد أن أهداه صديقُه قدّاحة (ولّاعة) ثمينة:

قَدَّاحَـــةٌ جَاءَتْـــكَ مِـــنْ قَـــدَّاحِ   قَـــدَّاحِ زَنْـــدِ المَجْـــدِ والسَّـــمَاحِ

ومنه قول الشاعر الجزائري أبي القاسم خمّار:

لَقَـــدْ هَـــزَّنِي مِـــنْ رُبُـــوعِي نَشِـــيدٌ   نَشِـــيدٌ جَمِيـــلٌ لِعَهْـــدٍ مَجِيـــدِ

ب/ أَنْ يُعِيدَ الشَّاعِرُ لَفْظَةَ القَافِيَةِ مِنْ بَيْتٍ مَا، فَيَجْعَلَهَا فِي أَوَّلِ البَيْتِ الذي يَلِيه، ومن أمثلة هذا النوع قول خليل مطران في رثاء إبراهيم اليازجي:

رَبَّ البَيَـــانِ وَسَـــيِّدَ القَلَـــمِ   وَفَّيْـــتَ قِسْـــطَكَ لِلْعُـــلَا فَـــنَمِ

نَـــمْ عَـــنْ مَتَاعِبِهَـــا الجِسَـــامِ وذَرْ   آلَامَهَـــا غُنْمًـــا لِمُغْتَـــنِمِ

لعلك لاحظت أنّ الشاعر ختم بيته الأول بكلمة (نَم)، وهي الكلمة نفسها التي كانت مطلع البيت اللاحق، وبذلك تشابهت الأطراف.

ومنه قول بشارة الخوري:

وَإِنْ أَنْـسَ لَا أَنْسَـى اللَّيَـالِي ضَـوَاحِكًا   بِبَـــيْرُوتَ حَيَّـــا اللهُ تِلْـــكَ اللَّيَالِيَـــا

لَيَـــالِي يَـــرَى حُـــبِّي بِعَيْـــنِي خَيالَـــهُ   وَأُبْصِـــرُ فِي عَـــيْنِ الحَبِيـــبِ خَيالِيَـــا

فالشاعر كما تلاحظ قد ختم بيته الأول بكلمة (الليالي)، وهي الكلمة نفسها التي كانت مطلع البيت اللاحق.

ومن بدائع هذا النوع قول شاعر سوريا سليمان الصولة متغزلًا:

وَيَا نَسِيمَ الصَّبَا مِنْ عُرْفِ يَانِعَةٍ نَقَلْتَ هَذَا الشَّذَا، أَمْ مِنْ عَبِيرِ فَمِ؟

فَمِ الَّتِي أَرَّقَتْ عَيْنِي وَمَا عَلِمَتْ وَفِي هَوَاهَا عَلَى عِلْمٍ أَرَاقَتْ دَمِي

فالشاعر قد أعاد لفظة (فَمِ) من آخر البيت الأول، وجعلها في بداية البيت الذي يليه لتتشابه الأطراف.

ومنه قول الشاعر المصري الكبير إسماعيل صبري:

يَا رَبَّةَ الطَّرْفِ الكَحِيلِ تَعَطَّفِي وَعَلَى مُحِبِّكِ بِالمَوَدَّةِ جُودِي

جُودِي ولَوْ بِالطَّيْفِ فِي سِنَةِ الكَرَى وَصِلِي بِرَغْمِ مُفَنِّدٍ وَحَسُودِ

فالشاعر قد أعاد لفظة (جودي) من آخر البيت الأول، وجعلها في بداية البيت الذي يليه.

ومنه قول الشاعر اللبناني عبد الحميد الرافعي مناشدًا عند الفراق مَنْ يهوىٰ:

وَقُلْتُ لَهَا وَالرَّكْبُ حَوَّلَ لِلسُّرَى رُؤُوسَ المَطَايَا: هَاتِي رُوحِي أَوْ قِفِي

قِفِي زَوِّدِينِي يَا ظَلُومُ بِنَظْرَةٍ لَعَلِّي بِهَا قَبْلَ التَّفَرُّقِ أَشْتَفِي

فالشاعر قد أعاد لفظة (قِفِي) من آخر البيت الأول، وجعلها في بداية البيت الذي يليه.

ومنه قول شاعر لبنان إلياس عبد الله طعمة مخاطبا الشعب العربي:

سَبَقْتُمْ وَكَانُوا لَاحِقِينَ فَشَمَّرُوا وَنِمْتُم، فَلِلسَّاعِينَ حُسْنُ النَّتِيجَةِ

نَتِيجَةِ سَعْيِ الرُّومِ تِلْكَ، فَهَلْ لَكُمْ بِهَا عِبْرَةٌ أَوْ أُسْوَةٌ بَعْدَ يَقْظَةِ؟

ومنه قول الشاعر الجزائري أحمد سحنون يمدح كاتبًا:

عَلَى صَفَحَاتٍ فَذَّةٍ قَدْ كَتَبْتَهَا تُبَيِّنُ أَنَّ العِلْمَ يُدْرَكُ بِالصَّبْرِ
بِالصَّبْرِ يُبْنَى كُلُّ مَجْدٍ وَيَرْتَقِي وَبِالصَّبْرِ يَعْنُو كُلُّ صَعْبٍ مِنَ الأَمْرِ

ومنه قول الشاعر إبراهيم ناجي:

مَا انْتِفَاعِي وَتِلْكَ قَافِلَةُ العَيْـ ـشِ وَفِي رَكْبِهَا اللَّظَى وَالدَّمَارُ
الدَّمَارُ الرَّهِيبُ وَالعَدَمُ الشَّا مِلُ وَاللَّفْحُ وَالضَّنَى وَالأُوَارُ

وقد اجتمع القسمان في (سينيّة) الشاعر الجزائري محمد جربوعة:

بِالسِّينِ يَا (سِتَّ النِّسَا) بِالسِّينِ بِالسِّينِ أَرْسُمُ لَمْسَةَ النِّسْرِينِ
وَلْتَسْأَلِي سَلْمَى وَسَمْرَا هَلْ رَسَتْ فِي سَاحِلِ سُفُنِي سِوَى مَيْسُونِ؟
مَيْسُونُ أَحْسَنُ مَنْ تَوَسَّدَ سَاعِدًا فِي سَهْرَةٍ، وَبِبَسْمَةٍ تُنْسِينِي

بلاغة تشابه الأطراف:

جاء في كتاب (أنوار الرّبيع في أنواع البديع) لابن معصوم: «في تشابه الأطراف دلالة علىٰ قوة عارضة الشاعر، وتصرفه في الكلام، وإطاعة الألفاظ له، ولا يخلو مع ذلك من حسن موقع في السمع والطبع، فإنَّ معنىٰ الشعر يرتبط ويتلاحم به، حتىٰ كأن معنىٰ البيتين، أو الثلاثة معنىٰ واحد»[1]، ونقول إن جمالية هذا الفن البديعي ترجع إلىٰ تماسك أجزائه، وتلاحم ألفاظه، فتكرار اللفظ الذي انتهت به العبارة في مطلع العبارة اللاحقة يشير إلىٰ تعانق مفردات النص، وكأنّ هذا النص بناء متراص، يشدُّ بعضه بعضا.

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم المجلد الثالث (ص ٥٠).



التطبيق

دُلَّ علىٰ تشابه الأطراف، واشرحه في النماذج البلاغية الآتية:

١- قال معروف الرصافي في شأن المعلم:

فَلَوْ قِيلَ مَنْ يَسْتَنْهِضُ النَّاسَ لِلْعُلَا ... إذَا سَاءَ مَحْيَاهُمْ؟ لَقُلْتُ: المُعَلِّمُ

مُعَلِّمُ أَبْنَاءِ البِلَادِ طَبِيبُهُمْ ... يُدَاوِي سَقَامَ الجَهْلِ وَالجَهْلُ مُسْقِمُ

٢- وقال معروف الرصافي:

أَمَّا المُعِزَّانِ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهُمَا ... هُمَا - عَلَى مَا أَرَاهُ - العِلْمُ وَالعَلَمُ

٣- وقال الرصافي:

أَلَا عَدِّ عَمَّا فِي العِرَاقِ فَإِنَّنِي ... أَرَاهُ بِأَخْلَاقِ الزَّمَانِ مَعَايِبَا

مَعَايِبَ لَوْ أَنِّي هَتَكْتُ سِتَارَهَا ... لَأَرْسَلْتُ مِنْهَا لِلْمُعَانِدِ حَاصِبَا

٤- قال الشاعر اللبناني إلياس عبد الله طعمة:

طَرِبْتُ لِصَوْتِ المَجْدِ حِينَ دَعَانِي ... فَأَسْمَعَنِي قَلْبِي صَهِيلَ حِصَانِ

صَهِيلَ حِصَانٍ طَالَمَا شَهِدَ الوَغَى ... وَبَاهَى بِجُرْحَيْ شَفْرَةٍ وَسِنَانِ

٥- قال إبراهيم ناجي:

أَصْبَحْتُ مِنْ يَأْسِي لَوْ أَنَّ الرَّدَى ... يَهْتِفُ بِي، صِحْتُ بِهِ: هَيَّا

هَيَّا، فَمَا فِي الأَرْضِ لِي مَطْمَحٌ ... وَلَا أَرَى لِي بَعْدَهَا شَيَّا

٦- وقال إبراهيم ناجي:

وَيْحَهَا لَمْ تَدْرِ مَاذَا حَطَّمَتْ ... حَطَّمَتْ تَاجِي، وهَدَّتْ مَعْبَدِي

٧- قال محمود سامي البارودي:

إذَا مَا تَذَكَّرْتُ الزَّمَانَ الَّذِي مَضَى ... تَسَاقَطُ نَفْسِي إثْرَ تِلْكَ القَبَائِلِ

قَبَائِلُ أَفْنَتْهَا الحُرُوبُ ولَمْ تَكُنْ ... لِتَفْنَى كِرَامُ النَّاسِ مَا لَمْ تُقَاتِلِ

٨- قال حافظ إبراهيم عن شعب اليابان:

فَاسْأَلُوا عَنْهَا الثُّرَيَّا لا الثَّرَى ... إنَّهَا تَحْتَلُّ أبْرَاجَ الهِمَمْ

هِمَمٌ يَمْشِي بِهَا العِلْمُ إلَى ... أَنْبَلِ الغَايَاتِ لا تَدْرِي السَّأَمْ

٩- وقال حافظ إبراهيم:

كَمْ سَمِعْنَا عَلَى لِسَانِ البَرْقِ مَا ... يُزْعِجُ الدُّنْيَا إذَا الأُسْطُولُ عَامَا

عَامَ شَهْرَيْنِ ولَمْ يَفْتَحْ سِوَى ... هُوَّةٍ فِيهَا المَلَايِينُ تَرَامَى

١٠- قال نزار قباني مخاطبا دمشق:

أَوْقِدِي النَّارَ فَالحَدِيثُ طَوِيلٌ ... وَطَوِيلٌ لِمَنْ نُحِبُّ الحَنِينُ

١١- قال الشاعر الجزائري أحمد سحنون في الزواج:

فَأَنْتَ فِي سِجْنٍ وَفِي غُرْبَةٍ ... فَاحْرِصْ عَلَى أَنْ تُدْرِكَ القَافِلَهْ

قَافِلَةَ الأَزْوَاجِ فَهْيِ الَّتِي ... تَحْيَا حَيَاةَ الغِبْطَةِ الكَامِلَهْ

١٢- قال الشاعر بشارة الخوري:

أعْشَقُ اللَّيْلَ وَمَا لِي والضُّحَى؟ ... عِشْتَ يَا لَيْلُ: ألَا فَانْسَدِلِ

انْسَدِلْ تَحْجُبْ عَنِ الطَّرْفِ الشَّقَا ... يَا لَطَرْفٍ بِالشَّقَا مُكْتَحِلِ!

١٣- قال خليل مطران في روح الفقيد أحمد لطفي:

ضَاقَتْ بِهَا سَعَةُ الوُجُودِ وَضَمَّهَا ... فِي شِبْهِ طَيْفٍ جَانِبَا تِمْثَالِ

تِمْثَالُ مَجْدٍ لَا تَرَى فِيهِ سِوَى ... رَجُلٍ بِلَا تِيهٍ، وَلَا إدْلَالِ

١٤- قال الشاعر الجزائري محمد صالح خرفي:

قَدْ تَزُولُ الجِبَالُ عَنْ مَوْقِعِ الأَقْـ دَامِ مِنَّا، ونَحْنُ فِي الحَرْبِ نَحْنُ

نَحْنُ شَعْبٌ لا نَعْرِفُ اليَأسَ، إيمَا نٌ قَوِيٌّ وَخَاطِرٌ مُطْمَئِنٌّ

١٥- قال محمود غنيم بعد تضييعه لساعة عزيزة على قلبه:

لَا غَرْوَإنْ أَقْضِي حَقَّ عِشْرَتِهَا عِشْرَتُهَا لِي طَوِيلَةُ الأَمَدِ

١٦- قال فوزي المعلوف في قصيدة (حنين المهاجر):

وَاطُولَ أشْوَاقِي إلى الوَادِي وَادِي الهَوَى وَالحُسْنِ وَالشِّعْرِ

١٧- وقال فوزي المعلوف:

الآنَ يَا مَوْتُ إليَّ اقْتَرِبْ يَا مَرْحَبًا بِالمُوثِقِ المُعْتِقِ

مُعْتِقِ نَفْسِي مِنْ قُيُودِ الأسَى مُوثِقِ جِسْمِي في المَدَى الضَّيِّقِ

١٨- قال الشاعر الجزائري محمد جربوعة في قصيدة (برقية إلى كعب ابن زهير):

فَاقْرَأْ عَلَيْهِ فَسَوْفَ يَرْضَى قَلْبُهُ قَلْبُ النَّبِيِّ كَفُلَّةِ الفَجْرِ النَّدِي

١٩- قال الشاعر العراقي حيدر الحلي متغزلًا:

تَدِبُّ عَلَى الوَرْدِ النَّدِيِّ بِخَدِّهَا عَقَارِبُ مِنْ أَصْدَاغِهِنَّ لَوَادِغُ

لَوَادِغُ أَحْشَاءٍ يَبِيتُ سَلِيمُهَا وَدِرْيَاقُهُ عَذْبٌ مِنَ الرِّيقِ سَائِغُ(١)

٢٠- قال يوسف غصّوب في آخر أيامه يصف أوراق الخريف:

فَكَأَنَّهُنَّ إذَا خَفَقْنَ جَوَانِحِي وَحَفِيفُهُنَّ كَأَنَّهُ زَفَرَاتِي

زَفَرَاتُ مَصْدُورٍ تَقَارَبَ يَوْمُهُ فَحَيَاتُهُ مَعْدُودَةُ السَّاعَاتِ

---

(١) الدِّرْيَاق: الخمر.

حل التطبيق

١- أعاد الرصافي لفظة (المعلّم) من البيت الأول، وجعلها في بداية البيت الذي يليه. (النوع الثاني).

٢- أعاد الرصافي لفظة (هما) من الشطر الأول، وجعلها في بداية الشطر الثاني. (النوع الأول).

٣- كرر الرصافي لفظة (معايب) من البيت الأول، حيث جعلها في بداية البيت الذي يليه. (النوع الثاني).

٤- كرر إلياس عبد الله طعمة عبارة (صهيل حصان) من البيت الأول، حيث جعلها في بداية البيت الذي يليه. (النوع الثاني).

٥- كرر إبراهيم ناجي لفظة (هيّا) من البيت الأول، بحيث جعلها في بداية البيت الذي يليه. (النوع الثاني).

٦- كرر إبراهيم ناجي لفظة (حطمت) من الشطر الأول، حيث جعلها في بداية الشطر الثاني. (النوع الأول).

٧- أعاد البارودي لفظة (قبائل) من البيت الأول، وجعلها في بداية البيت الذي يليه. (النوع الثاني).

٨- أعاد حافظ إبراهيم لفظة (همم) من البيت الأول، وجعلها في بداية البيت الذي يليه. (النوع الثاني).

٩- أعاد حافظ إبراهيم لفظة (عَامَ) من البيت الأول، وجعلها في بداية البيت الذي يليه. (النوع الثاني).

١٠- كرر نزار قباني لفظة (طويل) من الشطر الأول، حيث جعلها في بداية الشطر الثاني. (النوع الأول).

١١- كرر الشاعر أحمد سحنون لفظة (قافلة) من البيت الأول، بحيث جعلها في بداية البيت الذي يليه. (النوع الثاني).

١٢- كرر بشارة الخوري لفظة (انسدل) من البيت الأول، وجعلها في بداية البيت الذي يليه. (النوع الثاني).

١٣- أعاد خليل مطران لفظة (تمثال) من البيت الأول، وجعلها في بداية البيت الذي يليه. (النوع الثاني).

١٤- أعاد صالح خرفي لفظة (نحن) من البيت الأول، وجعلها في بداية البيت الذي يليه. (النوع الثاني).

١٥- أعاد محمود غنيم لفظة (عِشْرَتَها) من الشطر الأول، وجعلها في بداية الشطر الثاني. (النوع الأول).

١٦- أعاد فوزي المعلوف لفظة (وادي) من الشطر الأول، وجعلها في بداية الشطر الثاني. (النوع الأول).

١٧- أعاد فوزي المعلوف لفظة (معتق) من البيت الأول، وجعلها في بداية البيت الذي يليه. (النوع الثاني).

١٨- أعاد الشاعر محمد جربوعة لفظة (قلب) من الشطر الأول، وجعلها في بداية الشطر الثاني. (النوع الأول).

١٩- أعاد الشاعر حيدر الحلي لفظة (لوادغ) من البيت الأول، وجعلها في بداية البيت الثاني. (النوع الثاني).

٢٠- أعاد الشاعر يوسف غصوب لفظة (زفرات) من البيت الأول، وجعلها في بداية البيت الثاني. (النوع الثاني).

الجَمْع

تعريف الجمع: هُوَ أنْ يَجْمَعَ الأدِيبُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ، أو عِدَّةِ أشْيَاءَ تَحْتَ حُكْمٍ وَاحِدٍ[1].

شواهد الجمع:

قال نزار قباني:

أَيْنَ اللَّوَاتِي حُبُّهُنَّ عِبَادَةٌ ... وَغِيَابُهُنَّ وقُرْبُهُنَّ عَذَابُ؟

جمع الشاعر بين شيئين (الغياب، والقرب) تحت حكم واحد، وهو العذاب.

وقال نزار قباني:

لَمْ نَنْتَصِرْ يَوْمًا عَلَى ذُبَابَة

لَكِنَّهَا تِجَارَةُ الأَوْهَام

فَخَالِدٌ وطَارِق وحَمْزَة

وعُقْبَةُ بنُ نَافِع

والزُّبَيْرُ والقَعْقَاع والصَّمْصَام

مُكَدَّسُونَ كُلُّهُمْ.. في عُلَبِ الأفْلَام

فالشاعر كما ترىٰ قد جمع خالدًا، وطارقًا، وحمزةَ، وعقبةَ بنَ نافع، والزُّبيرَ، والقعقاعَ، والصَّمصام، وحكم عليهم كلِّهم بأنهم مُكَدَّسُونَ في عُلبِ الأفلام.

---

(١) وشي الربيع بألوان البديع الدكتورة عائشة فريد حسين (ص ٨٥).

ومن بدائع الجمع قول ناصيف اليازجي:

طَلْقُ اليَرَاعَةِ، طَلْقُ الوَجْهِ، طَلْقُ يَدٍ   طَلْقُ اللِّسَانِ إذَا السَّيْفُ الصَّقِيلُ نَبَا

جمع الشاعر عدة أشياء تحت حكم واحد، حيث جمع يراعةَ الممدوحِ، ووجهَه، ويدَه، ولسانَه، وقد حكم عليها بالطلاقة.

ومن الجمع قول الشاعر الجزائري الشيخ أحمد سحنون:

العِلْمُ وَالإيمَانُ وَالخُلُقُ الكَرِيمْ   فِي هَذِهِ الدُّنْيَا هِيَ الكَنْزُ العَظِيمْ

حيث جمع الشاعر العلم والإيمان والخلق الكريم تحت حكم واحد، وهي كونها الكنز العظيم الذي يجب على كل نفس ألا تفتقر إليها في هذه الدنيا.

وفي مقابل ذلك يقول الشاعر المصري الكبير محمد توفيق علي:

رُتْبَةٌ أَمْ رِيَاسَةٌ أمْ وِسَامُ   وَيْكِ يَا نَفْسُ هَذِهِ أَوْهَامُ

حيث جمع الشاعر الرتب والرئاسات والأوسمة تحت حكم واحد، هو كونها مجرد أوهام.

قال الشاعر اللبناني إلياس عبد الله طعمة مخاطبا من يهوى:

لَئِنْ قُلْتِ فِي خَصْرِنَا رِقَّةٌ   فَقَلْبِي وَشِعْرِي وَلَفْظِي أَرَقّْ

وَإنْ قُلْتِ فِي سَاقِنَا دِقَّةٌ   فَرَأْيِي وَفِكْرِي وَذَوْقِي أَدَقّْ

حيث جمع الشاعر في البيت الأول بين قلبه وشعره ولفظه تحت حكم واحد، وهو الرقة، وفي البيت الثاني جمع بين رأيه وفكره وذوقه تحت حكم واحد، وهو الدقة.

قال الشاعر بطرس كرامة مادحًا:

هُوَ وَالفَصَاحَةُ وَالشَّجَاعَةُ وَالنَّدَى   وَالعِزُّ وَالعَلْيَا رَضِيعُ لِبَانِ

جمع الشاعر الممدوحَ والفصاحةَ والشجاعةَ والندىٰ والعزَّ والعلياءَ تحت حكم واحد، وهو كون السِّتَّةِ إخوةً من الرضاعة.

وقال بطرس كرامة:

فَالغِيدُ وَالأَيَّامُ كُلٌّ مِنْهُمَا فِيمَا يُعَاهِدُ نَاكِثٌ وَمُخَالِفُ

جمع الشاعر الغيد الحِسان والأيامَ تحت حكم واحد، وهو نبذُ العهود ونقضُ المواثيق.

ومن أمثلة الجمع قول الشاعر القروي:

أَمْوَالُكُمْ وَضِيَاعُكُمْ وَقُصُورُكُمْ عِنْدِي وَحَبَّةَ خَرْدَلٍ سِيَّانِ

جمع الشاعرُ الأموالَ والضياعَ والقصورَ وحبةَ الخردل تحت حكم واحد، وهو التماثل والتساوي.

ومن شواهد الجمع قول شاعر المهجر إلياس عبد الله طعمة في قصيدة (بيّاعة الزهور):

فَتَبَسَّمَتْ وَحَنَتْ عَلَيَّ تَقُولُ لِي: زَهْرِي وَقَلْبِي لِلظَّرِيفِ الكَيِّسِ

جمع إلياس عبد الله طعمة زهورَ البائعة، وقلبَها بأن جعلهما ملكا للظريف الكيّس (يقصد نفسه).

ومن الجمع قول محمود سامي البارودي:

فَالبُخْلُ وَالجُبْنُ فِي الإنْسَانِ مَنْقَصَةٌ لَمْ يَجْنِهَا غَيْرُ سُوءِ الظَّنِّ بِاللهِ

حيث جمع البارودي البخلَ، والجبنَ تحت حكم واحد، وهو العيب والنقصان.

ومن نماذج الجمع قول أحمد شوقي:

وَمَا الأَهْلُ والأَحْبَابُ إلَّا لآلِئٌ تُفَرِّقُهَا الأَيَّامُ وَالسِّمْطُ يَجْمَعُ

فالشاعر قد جمع بين الأهل والأحباب تحت حكم واحد، وهو تشبيههما باللآلئ.

ومن نماذج الجمع في النثر قول مصطفىٰ لطفي المنفلوطي في المدنيّة الإسلامية: «فَالعَابِدُ فِي مَسْجِدِه، والفَقِيهُ فِي دَرْسِه، والمُعْرِبُ فِي خِزَانَةِ كُتُبِه، والرِّيَاضِيُّ فِي مَدْرَسَتِه، والكِيمْيَائِيُّ فِي مَعْمَلِه، والقَاضِي فِي مَحْكَمَتِه، والخَطِيبُ فِي مَحْفَلِه، والفَلَكِيُّ أَمَامَ أَسْطِرْلابِه، والكَاتِبُ بَيْنَ مَحَابِرِهِ وأَوْرَاقِه، إِخْوَةٌ مُتَصَافُون، وأَصْدِقَاءُ مُتَحَابُّون، لا يَخْتَصِمُون، ولا يَقْتَتِلُون، ولا يُكَفِّرُ بَعْضُهُمْ بَعْضا».

فالكاتب كما رأيت قد جمع بين عدة أشخاص في المدنية الإسلامية في حكم واحد، وتحت مظلة واحدة، وهي الأخوة والصداقة.

ومنه قول المنفلوطي: «إنَّ الشَّيْخَين أبَا بَكْرٍ وعُمَر، والفَارِسَيْنِ خَالِدًا وعَلِيًّا، والأَسَدَيْنِ حَمْزَةَ والزُّبَيْر، والفَاتِحَيْنِ سَعْدًا وأَبَا عُبَيْدَة، والبَطَلَيْنِ طَارِقًا وعُقْبَة، وجَمِيعَ حُمَاةِ الإِسْلَامِ مُشْرِفُونَ عَلَيْكُمْ اليَوْمَ مِنْ عَلْيَاءِ السَّمَاء، لِيَنْظُرُوا مَاذَا تَصْنَعُونَ بِمِيرَاثِهِم الَّذِي تَرَكُوهُ فِي أَيْدِيكُم».

فالأديب كما تلاحظ قد جمع بين عدة أعْلامٍ تحت حكم واحد، فقد جمع أبا بكر وعمر، وخالدًا وعليًّا، وحمزةَ والزبير، وسعدًا وأبا عبيدة، وطارقًا وعقبة، وجميع حُمَاة الإسلام وفاتحيه تحت حكم واحد، هو كونهم مشرفين منتظرين صنيعَ الشبابِ بميراثهم، وأمانتهم المتروكة بأيديهم.

ومن نماذجه قول نزار قباني بعد نكسة (حزيران): «لا أَحَدَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُبَرِّئَ نَفْسَهُ مِنْ عَارِ الهَزِيمَة، كُلُّنَا بِمَا فِي ذَلِكَ الجُدْرَانُ، والأَبْوَابُ، والأَشْجَارُ، ومَصَابِيحُ الطُّرُقَاتِ، غَارِقُونَ فِي التُّهْمَةِ حَتَّىٰ الرُّكَب».

ومنه قول أحمد أمين: «يَجِبُ أَنْ يَفْهَمَ النَّاسُ أَنَّ المَوْتَ والحَيَاةَ قَانُونٌ

طَبِيعِيّ، وأَنَّ الغِنَىٰ والفقْرَ قَانُونٌ طَبِيعِيّ، وأَنَّ الصِّحَةَ والمَرَض قَانُونٌ طَبِيعِيّ، وأَنَّ الصَّلَاحَ والفَسَادَ قَانُونٌ طَبِيعِيّ، وأَنَّ الهَزِيمَةَ والنَّصْرَ قَانُونٌ طَبِيعِيّ، وأَنَّ اللهَ رَبَطَ الأَسْبَابَ بِالمُسَبَّبَاتِ رَبْطًا مُحْكَمًا، وجَعَلَ بَيْنَ المُقَدِّمَاتِ والنَّتَائِجِ عُرْوَةً وُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا، وأَنَّ السَّمَاءَ لَا تُمْطِرُ ذَهَبًا ولَا فِضَّة، وأَنَّ مَنْ زَرَعَ الحَنْظَلَ جَنَىٰ الحَنْظَل».

لاحظ كيف أبدع الكاتبُ في الجمع بين كلّ ثنائيتين متضادتين تحت حكم واحد.

ومنه قول توفيق الحكيم: «الكُتُبُ والمَعَارِفُ والفُنُونُ هِيَ القَوَارِبُ الَّتِي نَصْعَدُ بِهَا مُسْتَكْشِفِين، مُنَقِّبِينَ فِي مَنَابِعِ نَهْرِ الحَيَاةِ الكَبِيرَة».

ومنه قول طه حسين: «العِلْمُ والفَنُّ والمَعْرِفَةُ كُنُوزٌ لا يُنْقِصُ مِنْهَا تَهَافُتُ النَّاسِ عَلَيْهَا، وازْدِحَامُهُمْ عَلَىٰ الإمْعَانِ فِيها، وإنَّمَا يَزِيدُهَا ذَلِكَ خِصْبًا إلَىٰ خِصْب، وثَرَاءً إلَىٰ ثَرَاء».

بلاغة الجمع:

في الجمع إيجازٌ في الأسلوب، لكوْن الأشياء المتعددة تُجمع في خبر واحد، ولو جعل البليغ لكلّ شيء خبرًا، لطال الكلام، وانحرف عن طريق جماله، كما يثير فنُّ الجمع تشويقَ النفس إلىٰ معرفة الحكم، حين تتوالىٰ الأشياء المجموعة، فإذا ما جمعت كلها في حكم واحد، تمكّن هذا الحُكم في النفس أيّما تمكّن. «وتتضح بلاغة الجمع في ترتيب الأفكار، وتنظيمها، وإصابة الغرض من جمعِ أشياء تحت حكم واحد، مما يدل علىٰ دقة ملاحظة الأديب، فيتميز الأسلوب بالإيجاز، والبلاغةُ الإيجازُ»[١].

(١) وشي الربيع بألوان البديع (ص ٨٧).



التطبيق

حدد الجمع في النماذج البلاغية الآتية:

١- قال الشاعر المصري إسماعيل صبري:

أَلا إِنَّمَا الدُّنْيَا هَبَاءٌ، وَأَهْلُهَا ... هَبَاءٌ، وَهَلْ يَبْكِي الهَبَاءُ هَبَاءَ؟

٢- قال الشاعر المصري الكبير محمد توفيق علي:

هَزْلُ الحَيَاةِ وَجِدُّهَا تَعَبُ ... وَشَقَاؤُهَا وَنَعِيمُهَا لَعِبُ

٣- وقال محمد توفيق علي مخاطبًا شعراء العصر الحديث:

فَكَبِيرُكُمْ وَصَغِيرُكُمْ وَقَرِيبُكُمْ ... وَبَعِيدُكُمْ لِي مُرْشِدٌ وَمُقَوِّمُ

٤- قال خليل مطران في الرثاء:

تِلْكَ الشَّمَائِلُ وَالمَعَارِفُ وَالنُّهَى ... وَالحُسْنُ وَالحُسْنَى أَصِرْنَ تُرَابَا؟

٥- وقال مطران مادحًا:

الحَازِمُ العَفُّ الَّذِي يَدُهُ ... وَلِسَانُهُ وَجَنَانُهُ طُهُرُ

٦- قال علي الجارم واصفًا:

عِيدٌ بِهِ الأَرْضُ وَالآفَاقُ مُشْرِقَةٌ ... تَمَازَجَتْ فِيهِ أَنْوَارًا بِأَنْوَارِ

٧- وقال الجارم مادحًا:

الحَقُّ وَالإِيمَانُ مِلْءُ فُؤَادِهِ ... وَبَلاَغَةُ الأَعْرَابِ مِلْءُ لَهَاتِهِ

٨- قال ناصيف اليازجي:

للهِ وَجْنَتُهُ وَقَلْبِي وَالهَوَى ... فَالكُلُّ جَمْرٌ قَدْ تَأَجَّجَ حَرُّهُ

٩- قال أحمد شوقي في وصف الدنيا:

لا تَحْفَلَـــنَّ بِبُؤْسِـــهَا وَنَعِيمِهَـــا نُعْـمَى الحَيَـاةِ وَبُؤْسُـــهَا تَضْـلِيلُ

١٠- قال بشارة الخوري يتغزلُ:

الصِّــبَا وَالجَمَــالُ مِلْــكُ يَـدَيْكِ أَيُّ تَـــاجٍ أَعَــزُّ مِـــنْ تَاجَيْــكِ؟



حل التطبيق

١- جمع إسماعيل صبري الدنيا، وأهلها تحت حكم واحد، وهو الهباء.

٢- جمع محمد توفيق علي هزلَ الحياة، وجدَّها تحت حكم واحد، وهو التعب، كما جمع شقاءَها، ونعيمَها تحت حكم واحد وهو اللعب.

٣- جمع محمد توفيق علي الشعراءَ كبيرَهم وصغيرَهم، وقريبَهم وبعيدَهم تحت حكم واحد، وهو كونهم مرشدين ومصلحين له.

٤- جمع مطران شمائلَ الفقيد، ومعارفَه، ونُهاهُ، وحُسْنَهُ، وحُسْنَاهُ تحت حكم واحد، وهذا الحكم هو كونها قد صارت ترابا.

٥- جمع مطران يدَ الممدوح، ولسانَه، وجَنانَه تحت حكم واحد، وهو الطهارة.

٦- جمع الجارم بين شيئين (الأرض، والآفاق) تحت حكم واحد، وهو الإشراق.

٧- جمع الجارمُ الحقَّ، والإيمانَ تحت حكم واحد بأن جعلهما ملءَ فؤاد الممدوح.

٨- جمع اليازجي عدة أشياء تحت حكم واحد، حيث جمع قلبَه، ووَجنةَ المحبوب، والهوىٰ، وحكم علىٰ الثلاثة بكونها جمرًا متوقِّدا.

٩- جمع أحمد شوقي بين نعيم الحياة، وبؤسها تحت حكم واحد، وهو التضليل.

١٠- جمع بشارة الخوري بين الصِّبا، والجمال تحت حكم واحد، بأن جعلهما ملكَ يدي المحبوبة.

التَّفْريق

تعريف التَّفْرِيق: هُوَ أَنْ يَعْمَدَ الأَدِيبُ إِلَىٰ شَيْئَيْن مِنْ جِنْسٍ وَاحِد، فَيُوجِدُ بَيْنَهُمَا تَفْرِيقًا، وتَبَايُنًا فِي دَرَجَة كُلٍّ مِنْهَا، زِيَادَةً أَوْ نُقْصَانًا. بِمَعْنَىٰ أَوْضَح: «أَنْ يُفَرِّقَ المُتَكَلِّمُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ، فِي مَعْنًىٰ يَخْتَلِفَانِ فِيه»[1].

شواهد التفريق:

قال الشاعر علي الجندي في قصيدة (بين شاعر ومليونير):

مَا البَيْتُ شَادُوهُ مِنْ طِينٍ ومِنْ حَجَرٍ كَالبَيْتِ شَادَتْهُ مِنْ أَقْبَاسِهَا الفِكَرُ

وَلَا رِيَاضُهُمُو تَبْهَى أَزَاهِرُهَا كَرَوْضَةِ الشِّعْرِ يَنْدَى زَهْرُهَا العَطِرُ

قصيدةٌ أنشدها الشاعر في رجل ثريّ كان يقول: ما هذا السخف الذي تسمونه الشعر؟! والله لا أشتري ما قاله الشعراء في جميع العصور بدرهم واحد! فكانت هذه القصيدة خيرَ ما يردُّ به الشاعر علىٰ كلِّ من يحتقر الشعر، ويعظّم السِّعر، فالشاعر في البيت الأول عمد إلىٰ شيئين من جنس واحد: البيت الذي يُبنىٰ من الطين والحجر، ويقصد هنا القصر، والبيت الذي هو قبس من نور الفكر، ثم أوجد - عن طريق أسلوب النفي - تفريقًا ظاهرًا بينهما في المنزلة والقيمة. وفي البيت الثاني عمد كذلك إلىٰ شيئين من جنس واحد: رياض الزهور، ورياض الشعور، ثم فرّق بينهما، فالأولىٰ فانية بائدة، والثانية باقية خالدة.

---

(١) المفصل في علوم البلاغة عيسىٰ العاكوب (ص ٦١٦).

وقريب من هذا المعنىٰ قول أحمد شوقي:

أَيْـنَ نَـوْرُ الرَّبِيـعِ مِـنْ زَهْـرِ الشِّعْـ ... ـرِ؟ إِذَا مَـا اسْـتَوَى عَلَـى أَفْنَانِـهْ

عمد شوقي إلىٰ شيئين من جنس واحد (زهر الربيع، وزهر الشعر البديع)، ثم أوجد تفريقا وتباينا بينهما في القيمة والرفعة والمكانة.

قال حافظ إبراهيم:

مَـا الحَـرْبُ تُـذْكِيهَا قَنًـا وَصَـوَارِمُ ... كَـالحَرْبِ تُـذْكِيهَا نُهًـى وَعُقُـولُ

حيث عمد الشاعرُ إلىٰ شيئين من جنس واحد، وهما حروب الأسلحة، وحروب العقول، ثم أوجد فرقا ظاهرًا بين الحربين، فحروب الأفكار التي أسلحتها الإيديولوجيات والقيم الوطنية والقومية والدينية والتاريخية والأخلاقية... لَهِيَ أشدُّ خطرًا، وأقوىٰ تأثيرًا من الحروب بالأسلحة المعروفة والمكشوفة.

قال مصطفىٰ صادق الرافعي:

المَجْـدُ مَـا بَـيْنَ مَـوْرُوثٍ وَمُكْتَسَـبِ ... وَالقَطْرُ فِي الأَرْضِ لَا كَالقَطْرِ فِي السُّحُبِ

عمد الشاعر إلىٰ شيئين من جنس واحد، وهما قطر الأرض، وقطر السماء، ليوجد تفريقا بينهما، فليس القطر الذي نزل علىٰ الأرض فسقاها، وأحيىٰ مواتها، كالقطر في السماء قد يكون للأرض منه نصيب، وقد لا يكون.

قال الشاعر العراقي جعفر الحلي مادحًا:

إِنْ قُلْـتَ غَيْـثٌ فَـالغُيُوثُ عَطَاؤُهَـا ... قَطْـرُ النَّـدَى، وَنَـدَى يَدَيْـهِ العَسْـجَدُ

حيث عمد الشاعر إلىٰ شيئين من جنس واحد: عطاء الغيث، وعطاء الممدوح، ليوجد تفريقا بينهما: إذْ عطاءُ الغيث «قطرُ الندىٰ»، وندىٰ الممدوح «شذورُ الذهب».

وقال في عقد مقارنة بين نوال الممدوح ونوال السُّحب:

بَـــلْ دُونَ نَائِلِـــهِ الحَيَـــا إِذْ رُبَّمَـــا حَـبَسَ الحَيَـا وَنَوَالُـهُ لَـمْ يُحْـبِسِ

وَالمُـزْنُ تَعْـبِسُ إِنْ هَمَـتْ وَتَبَـايُنٌ مَـا بَـيْنَ وَجْـهٍ ضَـاحِكٍ وَمُعَـبِّسِ

فالشاعر عمد إلىٰ شيئين من جنس واحد: نوال الممدوح ونوال السحب، لا لشيء إلا ليخلق أكثر من تباين بينهما: فنوال الممدوح دائم ومتصل، ونوال السحب منقطع ومنفصل، والممدوح إنْ أعطىٰ افترَّ وتبسَّم، والسَّحاب إن أعطىٰ اكفهرَّ وتجهَّم.

وقريب منه قول الشاعر العراقي حيدر الحلي:

وَسَـــأَلْتُ الحَيَـــا: أَتَحْكِيــهِ جُــودًا؟ قَـالَ: أَيْـنَ البَـاكِي مِـنَ الجَـذْلَانِ؟

قال ناصيف اليازجي يمدح صديقًا له وكان يعمل قاضيًا:

فِي قُبَّـةِ الأَفْـلَاكِ شَـمْسٌ تَطْلُـعُ وَبِأَرْضِـنَا شَـمْسٌ أَجَـلُّ وَأَنْفَـعُ

هَاتِيـكَ تَطْلُـعُ فِي النَّهَـارِ وَشَمْسُـنَا أَنْوَارُهَـا فِي كُـلِّ حِـينٍ تَسْـطَعُ

فالشاعر عمد إلىٰ شيئين من جنس واحد: شمس السماء، و«شمس القضاء»، من أجل أن يوجد تفريقا بينهما، فأضواءُ الشمس قصيرةُ الأعمار، وشمس الممدوح أبديَّة الأنوار.

قال نزار قباني:

الحَـرْفُ فِي قَلْـبِي نَزِيـفٌ دَائِـمٌ والحَرْفُ عِنْدَكِ مَا تَعَدَّى الإِصْبَعَا

عمد الشاعر إلىٰ شيئين من جنس واحد، وهما: الحرفُ في قلب الشاعر، والحرفُ عند محبوبته، ثمّ أوجد تفريقا، وتباينا في الصِّدْق بين الحرفين: فالحرف في قلب الشاعر جرحٌ دامٍ، ونزيفٌ دائم، والحرفُ عند محبوبته لا يتعدَّىٰ الأصابعَ التي تكتبه.

قال إيليا أبو ماضي:

لَيْسَ الوِدَادُ الَّذِي يَبْقَى إِلَى أَبَدٍ مِثْلَ الوِدَادِ الَّذِي يَبْقَى إِلَى حِينِ

عمد إيليا أبو ماضي إلىٰ أمرين من جنس واحد: وداد الوفاء، ووداد الرياء، ثم أوجد بينهما فرقا في الاستمرار والبقاء، فالأول للخلود، والثاني للفناء.

وقال إيليا أبو ماضي:

أَأَمَانِيَّ كُلُّهَا مِنْ تُرَابٍ وَأَمَانِيكَ كُلُّهَا مِنْ عَسْجَدْ؟

وَأَمَانِيَّ كُلُّهَا لِلتَّلاشِي وَأَمَانِيكَ لِلْخُلُودِ المُؤَكَّدْ؟

حيث فرّق أبو ماضي بين أمانيه وأماني المحبوب، في القيمة والدوام، فأمانيه من تُرب، وأمانيها من تِبر، وأمانيه للتلاشي والاندثار، وأمانيها للخلود والاستمرار.

قال الشاعر القروي:

وَشَتَّانَ بَيْنَ الحُبِّ يُغْرِيكَ بِالطَّلَا وَآخَرَ يُغْرِي بِالعُلَا وَالعَظَائِمِ

فرق القروي بين حب وضيع تدفع إليه الشهوات، وبين حب عفيف وشريف، فالأول ينزل بصاحبه إلىٰ دركات الحقارة والوضاعة، والثاني يعرج بصاحبه إلىٰ سماوات المجد والعلا.

قال أحمد شوقي مخاطبًا (الطير):

عَانَقْتَ أَغْصَانًا وَعَانَقْتُ الجَوَى وَشَكَوْتَ، وَالشَّكْوَى عَلَيَّ حَرَامُ

فرّق أحمد شوقي بين شوق الطير وشوقه، فأنيس الطير غصنٌ أَلِفَ عناقه، وأنيس الشاعر جوًىٰ شدَّ خناقه، والطير يشكو لأليفه الغرام، والشكوىٰ علىٰ الشاعر حرام.

قال الشاعر مفدي زكريا:

وكَلَّمَ مُوسَى اللهُ في الطُّورِ خُفْيَةً ... وفي الأطْلَسِ الجَبَّارِ كَلَّمَنَا جَهْرَا

عمد مفدي زكريا إلىٰ شيئين من جنس واحد، وهما: تَكْلِيمُ الله لموسىٰ في الطُّور، وتَكْلِيمُهُ لنا نحن الجزائريين في جبالِ الأطْلَس الثائر، ثُمّ أَوجد تفريقًا بينهما، فالله كما يقولُ الشَّاعرُ قد كلّمَ نَبِيَّهُ موسَىٰ خُفية، بينما كلّم الشَّعبَ الجزائريَّ جَهْرَا.

قال علي الجارم:

لَيْسَ القَوِيُّ بِنَابِهِ وبِظُفْرِهِ ... مِثْلَ القَوِيِّ بِرَأْيِهِ وثَبَاتِهِ

عمد الشاعر إلىٰ شيئين من جنس واحد، وهما قوة الجسد، وقوة الرأي (فكلاهما قوة)، ثم أوجد تفريقًا بينهما، فالإنسانُ إنسانٌ بثباته، لا بوثباته.

قال الشاعر العراقي عبد المحسن الكاظمي:

ضَلَّ الَّذِي زَعَمَ الصَّبَابَةَ فِي الحَشَا ... كَالنَّارِ يَعْرُوهَا سَنًا وَخُمُودُ

النَّارُ تَذْكُو ثُمَّ تَخْمُدُ، وَالجَوَى ... أَبَدًا لَهُ بَيْنَ الضُّلُوعِ وُقُودُ

فالشاعر عمد إلىٰ شيئين من جنس واحد، نار الجوىٰ ونار الطبيعة، فكلاهما نار، ثم أوجد تفريقا بينهما، فنار الطبيعة تذكو وتخمد، ونار الجوىٰ هيهات أن تهمد.

ومن النماذج الرفيعة للتفريق في النثر قول أحمد أمين: «هَلْ تَعْرِفُ الفَرْقَ بَيْنَ الحَرِيرِ الطَّبِيعِيّ، والحَرِيرِ الصِّنَاعِيّ؟ وهَلْ تَعْرِفُ الفَرْقَ بَيْنَ الأَسَدِ وصُورَةِ الأَسَدِ؟ وهَلْ تَعْرِفُ الفَرْقَ بَيْنَ الدُّنْيَا فِي الخَارِجِ والدُّنْيَا عَلَىٰ الخَرِيطَةِ؟ وهَلْ تَعْرِفُ الفَرْقَ بَيْنَ عَمَلِكَ فِي اليَقَظَةِ وعَمَلِكَ فِي المَنَامِ؟ وهَلْ تَعْرِفُ الفَرْقَ بَيْنَ النَّارِ أَمَامَكَ وهِيَ تَلْتَهِمُ وتَأْتِي عَلَىٰ كُلِّ مَا يُقَدَّمُ لَهَا مِنْ وَقُود، وبَيْنَ نُطْقِكَ بِكَلِمَةِ

النَّارِ وَهِيَ تَجْرِي عَلَىٰ لِسَانِك، فَلَا تَمَسُّهُ بِسُوءٍ؟ وهَلْ تَعْرِفُ الفَرْقَ بَيْنَ النَّائِحَةِ الثَّكْلَىٰ والنَّائِحَةِ المُسْتَأْجَرَة؟ وبَيْنَ التَّكَحُّلِ فِي العَيْنَيْنِ والكَحَلِ؟ وهَلْ تَعْرِفُ الفَرْقَ بَيْنَ الصَّوْتِ والصَّدَىٰ؟ إنْ عَرَفْتَ كُلَّ ذَلِك، فَهُوَ بِعَيْنِهِ الفَرْقُ بَيْنَ الدِّينِ الحَقِّ، والدِّينِ الصِّنَاعِيِّ. الدِّينُ الصِّنَاعِيُّ دِينُ حَرَكَاتٍ وسَكَنَاتٍ وأَلْفَاظ، ولا شَيْءَ وَرَاءَ ذَلِك، والدِّينُ الحَقُّ دِينُ رُوحٍ وقَلْبٍ وحَرَارَة، فـ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) فِي الدِّينِ الصِّنَاعِيِّ قَوْلٌ جَمِيلٌ لَا مَدْلُولَ لَه، أَمَّا فِي الدِّينِ الحَقِّ فَهِيَ كُلُّ شَيْءٍ، هِيَ ثَوْرَةٌ عَلَىٰ عِبَادَةِ المَال، وثَوْرَةٌ عَلَىٰ عِبَادَةِ السُّلْطَان، وثَوْرَةٌ عَلَىٰ عِبَادَةِ الجَاه، وثَوْرَةٌ عَلَىٰ عِبَادَةِ الشَّهَوَات. فـ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) فِي الدِّينِ الصِّنَاعِيِّ تَذْهَبُ مَعَ الرِّيح، وفِي الدِّينِ الحَقِّ تُزَلْزِلُ الجِبَال».

بلاغة التفريق:

سرّ الجمال في التفريق أنه يعرّف السامع وجه التباين، والاختلاف بين أمرين، يُظنُّ لأوّل وهلة أنهما متّفقان، كما يشفُّ علىٰ براعةٍ في تلمّس عنصر التباين، مشفوعًا بالدليل، والبرهان»[1].



(١) المفصل في علوم البلاغة (ص ٦١٦).

التطبيق

حدد التفريق واشرحه في النماذج البلاغية الآتية:

١- قال علي الجارم في التفريق بين ممدوحه والنجوم:

هَيْهَاتَ أَيْنَ ضِيَاؤُهَا مِنْ ضَوْئِهِ ... وَسَنَاؤُهَا مِنْ بَعْدِ أَوْجِ سَنَائِهِ؟

عَجَبًا، يَزِيدُ ظُهُورُهُ بِعُلُوِّهِ ... وَالنَّجْمُ يُعْرَفُ إِنْ عَلَا بِخَفَائِهِ

٢- وقال يتغزل:

دَافَعْتُ بِالغَزَلِ الحَنُونِ لِحَاظَهَا ... شَتَّانَ بَيْنَ سِلَاحِهَا وسِلَاحِي

٣- وقال علي الجارم:

مَا السَّيْفُ فِي كَفِّ المُفَزَّعِ قَلْبُهُ ... كَالسَّيْفِ فِي كَفِّ الفَتَى الجَحْجَاحِ

٤- قال إسماعيل صبري مخاطبًا من يهواها:

فَلِلْوَرْدِ شَهْرٌ وَاحِدٌ ثُمَّ يَنْقَضِي ... وَوَرْدُكِ بَاقٍ لَا يَزُولُ عَنِ الخَدِّ

ولِلْوَرْدِ رِيحٌ وَاحِدٌ لَا يَجُوزُهُ ... ونَشْرُكِ رِيحُ الوَرْدِ والمِسْكِ والنَّدِّ

٥- وقال إسماعيل صبري مادحًا:

وَمَا الغَيْثُ إِلَّا مِنْ بِحَارِ نَوَالِهِ ... أَلَمْ تَرَهَا تُرْوِي الوُفُودَ بِلَا نَهْرِ؟

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ الغَيْثُ يَبْكِي إِذَا هَمَى ... وَهَذَا الَّذِي يُولِي وَيَضْحَكُ بِالبِشْرِ؟

٦- قال خليل مطران في أميرةٍ وقد تبرّعت بجملة من حليّها لجمعية الهلال الأحمر:

لَقَدْ شَبَّهُوكِ بِنِيلِ البِلَادِ ... وَأَيْنَ السَّحَابُ مِنَ الأَبْحُرِ؟

تَبَارَيْتُمَا، فَسَخَا بِالمِيَاهِ وَبِالدُّرِّ جُدْتِ وَبِالجَوْهَرِ

٧- وقال مطران مهنئا أحمد شوقي بعد عودته من منفاه:

إنَّ الأدِيبَ وقَدْ سَمَا بِبَلائِهِ غَيْرُ الأدِيبِ وَلَيْسَ رَبَّ بَلَاءِ

٨- قال محمود غنيم في معجزة الإسراء مخاطبا الرسول ﷺ:

نَاجَيْتَه تَحْتَ ظِلِّ العَرْشِ عَنْ كَثَبٍ وَصَاحِبُ الطُّورِ فَوْقَ الطُّورِ نَاجَاهُ

٩- وقال محمود غنيم في مناسبة بناء السد العالي:

أَطَلَّ فِرْعَوْنُ مِنْ قَبْرِهِ مُبْتَسِمًا وَقَالَ: إنَّ (جَمَالًا) تَوْأَمِي الثَّانِي

فَقُلْتُ شَتَّانَ يَوْمَ الفَخْرِ بَيْنَهُمَا فَمَا هُمَا فِي مَجَالِ الفَخْرِ سِيَّانِ

بَنَى الحَيَاةَ (جَمَالٌ) وَالرَّخَاءَ مَعًا لَكِنَّ (خُوفُو) بَنَى قَبْرًا لِجُثْمَانِ

١٠- وقال غنيم يشكو حال الشعراء:

الدُّرُّ فِي الشِّعْرِ غَيْرُ الدُّرِّ فِي صَدَفٍ هَذَا لَهُ ثَمَنٌ بَخْسٌ، وَذَا غَالِ



حل التطبيق

١- عقد علي الجارم مقارنة بين شيئين من جنس واحد، وهما سناء النجوم، وسناء الممدوح، إذ هما من جنس الضياء، ثم أوجد تفريقا ظاهرا بينهما في الظهور والخفاء، فسناء النجوم كلما علت ازداد أفولا وخفاء، وسناء الممدوح كلما علا ازداد إشراقا وسطوعًا.

٢- عمد الجارم إلىٰ شيئين من جنس واحد، وهما سلاح الحبيب، وسلاح النسيب، ليوجد تفريقا وتباينا بينهما، فسلاح الأديبِ غَزَلٌ وهيام، وسلاح الحبيبِ نَبْلٌ وسِهام.

٣- أتىٰ الجارم بشيئين من جنس واحد، وهما السيف في كف الجبان، والمهند في كف الفتىٰ الكريم الشجاع، ثم فرّق بينهما في تأثير كل منهما، فالأول كالعصا في يد صاحبها، والثاني يذود عن الأرض والعرض.

٤- أتىٰ إسماعيل صبري بشيئين من جنس واحد، وهما ورود الرياض وورود الخدود، ثم أوجد فرقا بينهما في أكثر من وجه: فالأول ما ينفك أن ينقضي ويندثر، والثاني يخلد ويستمر، والأول يفوح منه عطر واحد، والثاني مزهرة لأصناف الورد، ومعطرة لأنواع الطيب.

٥- عقد إسماعيل صبري مقارنة بين شيئين من جنس واحد: نوال الغيث، ونوال الممدوح، فكلاهما نوال وعطاء، من أجل أن يخلق تفريقا وتباينا بينهما: فنوال الغيث بُكاء وعَبرات، ونوال الممدوح بِشرٌ وابتسامات، أضف إلىٰ ذلك أنَّ للغيث فصولا، وسحب الممدوح دائمة هطولًا.

٦- عقد خليل مطران قياسًا بين شيئين: سخاء نهر النيل، وسخاء الأميرة، فكلاهما من جنس السخاء والجود، ثم أوجد تفريقا بينهما: فالنيل يجود بالماء، والأميرة تجود باللآلئ والجواهر.

٧- أتىٰ مطران بشيئين من جنس واحد، الأديب الذي أصابه بلاء المنفىٰ، والأديب الذي سلم من المنفىٰ، ثم فرق بينهما في البأس والعزيمة، فظلام المنفىٰ لا يزيد الأديب إلا سموا وإباء، مثلما ظلام الليل لا يزيد النجوم إلا سطوعا وبهاء.

٨- عمد محمود غنيم إلىٰ شيئين من جنس واحد: مناجاة النبي محمد ﷺ لربه، ومناجاة موسىٰ عليه السلام لربه، ثم أوجد تفريقا بينهما: فمناجاة محمد كانت عن قرب، ومناجاة موسىٰ كانت عن بعد.

٩- عقد غنيم قياسا بين عظيمين من عظماء مصر: فرعون وجمال عبد الناصر، لا لشيء إلا ليوجد تفريقا ظاهرًا بينهما: فجمال بنىٰ سدًّا للحياة، وفرعون بنىٰ لحدًا للممات.

١٠- أتىٰ محمود غنيم بشيئين من جنس واحد: درر الأشعار، ودرر البحار، ثم أوجد تفريقا بينهما في القيمة والمنزلة، فدُرُّ الشعر - حسبه - زهيد ورخيص، ودُرُّ البحر ثمين ونفيس.



صِحَّةُ التَّقْسِيمِ

تعريف صحة التقسيم: «هُوَ اسْتِيفَاءُ المُتَكَلِّمِ أَقْسَامَ الشَّيْءِ، بِحَيْثُ يَذْكُرُ جَمِيعَ أَنْوَاعِهِ، ولا يُغَادِرُ شَيْئًا مِنْهَا»(١) بمعنىٰ أوضح: هُوَ أَنْ يُقَسِّم الأَدِيبُ، أَوِ البَلِيغُ كَلَامَهُ قِسْمَةً تَسْتَوْفِي جَمِيعَ أَقْسَامِ المَعْنَىٰ، غَيْرَ تَارِكٍ قِسْمًا وَاحِدًا مِنْهَا، بِحَيْثُ تَسْتَوفِي هَذِهِ القِسْمَةُ جَمِيعَ أَجْنَاسِ المَعْنَىٰ المَطْرُوق، لا يَخْرُجُ مِنْهَا جِنْسٌ مِنْ أَجْنَاسِه. وقَدْ تَكُونُ أَجْنَاسُ المَعْنَىٰ اثْنَيْنِ لا ثَالِثَ لَهُمَا، أَوْ ثَلَاثَةً لا رَابعَ لَهَا،...وهكذا.

شواهد التقسيم:

قال الشاعر السوري أمين الجندي في مدح الرسول ﷺ:

مَنْ فِي الزَّبُورِ صِفَاتُهُ وَالصُّحْفِ وَالتْـ ... ـوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالفُرْقَانِ

حيث طرقَ الشاعر معنىٰ الكتب السماوية التي أنزلها الله تعالىٰ علىٰ رسله، والملاحظ أن الشاعر قد استوفىٰ أقسام المعنىٰ المطروق دون زيادة أو نقصان.

قال الشاعر المصري عبد الله فكري:

فَلْتَفْخَرْ مِصْرُ إِعْجَابًا بِحَاضِرِهَا ... عَلَى مَحَاسِنِ مَاضِيهَا وَآتِيهَا

لاحظ أن الشاعر قد استوفىٰ أقسام المعنىٰ المطروق (الزمان)، وهي: (الحاضر، والماضي، والآتي، أي المستقبل)، وهي أقسام ثلاثة لا رابع لها.

وهذا علي الجارم يستوفي أقسام المكان قائلًا في وصف الحرب العالمية الأولىٰ:

---

(١) وشي الربيع (ص ٩٠).

فِي الــبَرِّ، فِي البَحْـــرِ، ومِـــنْ فَـــوْقِهِمْ لَـمْ يَـتْرُكِ المَـوْتُ لَهُـمْ مَوْضِـعَا

فالشاعر قد أتىٰ علىٰ ذكر مسارح الحرب الثلاثة: البر، والبحر، والجو، نقول إنّ الشاعر قد استوفىٰ جميع أقسام المعنىٰ المطروق (المكان)، ولو كان هناك مكان، أو جبهة رابعة يأتي منها الموت ما غفل عنها الشاعر.

وقريب منه في صحة التقسيم قول الشاعر الجزائري أحمد سحنون في ذكر (الموت):

لَــيْسَ يَنْجُــو فِي الغَــابِ لَيْــثٌ وَلَا فِي الجَـوِّ نَسْـرٌ وَلَـيْسَ يَفْلِـتُ حُـوتُ

ومن صحة التقسيم قول ناصيف اليازجي:

أَجْسَـامُهُمْ للـثَّرَى تُعْطَـى وَأَنْفُسُـهُم للهِ وَالمَـــالُ لِلأَعْقَـــابِ فِي القِسَـــمِ

فقد قسّمَ الشاعر المعنىٰ المطروق قسمة عادلة، فذكر أنَّ أجسادَ الأعداء للتراب، وأنفسَهم لله، ومالَهم للورثة، يقتسمونه فيما بينهم.

ومن صحة التقسيم قول حافظ إبراهيم:

فَالنَّــاسُ هَــذَا حَظُّــهُ مَــالٌ، وذَا عِلْــمٌ، وذَاكَ مَكَــارِمُ الأَخْـــلَاقِ

المعنىٰ الذي طرقه الشاعر هو حظوظ الناس في هذه الحياة، وقد قسم هذا المعنىٰ إلىٰ ثلاثة أقسام: فمن الناس من كان حظه المال، ومنهم من حظه العلم، ومنهم من كان حظه مكارم الأخلاق.

ومن صحة التقسيم قول محمود غنيم:

هَـــذَا الزَّمَـــانُ مُسَـــلَّحٌ لَا يَحْتَفِـــي بِعُهُـــودِ سَـــلْمٍ أَوْ صُـــكُوكِ حِيَـــادِ

فالشاعر قسم المعنىٰ المطروق، فذكر الحرب، والسَّلم، والحياد، وتلك أقسام ثلاثة لا رابع لها.

ومن التقسيم قول أحمد شوقي:

طُبِعَتْ مِنَ السُّمِّ الحَيَاةُ، طَعَامُهَا   وشَرَابُهَا، وهَوَاؤُهَا المُتَنَشَّقُ

المعنىٰ المطروق هو الحياة وضرورياتها، وهي الطعام والشراب والهواء، وتلك أقسام ثلاثة لا رابع لها.

ومن صحة التقسيم: ذِكْرُ أَحْوَالِ الشَّيْءِ مُضَافًا إِلَىٰ كُلٍّ مِنْهَا مَا يَلِيقُ بِهَا، ومن بليغ هذا النوع وبديعه قول الأديب الجزائري محمد البشير الإبراهيمي: «الأمَمُ إنَّمَا تَتَفَاضَلُ وتَتَعَالَىٰ بِالبِنَاءِ لِلْخَيْر، والمَنْفَعَة، والجَمَال، والقُوَّة، ومَا عَدَا هَذِهِ الأَرْبَعَةَ فَهُوَ فُضُولٌ عَابِث، لا يَدْخُلُ فِي قَصْدِ العُقَلاء، وقَدْ بَنَىٰ أَسْلَافُنَا المُسْلِمُونَ لِكُلِّ أولَئِكَ مُجْتَمِعَةً ومُتَفَرِّقَة: بَنَوا المَسَاجِدَ مَظْهَرًا لِلْخَيْر، وشَادُوا المَدَارِسَ مَظْهَرًا لِلْمَنْفَعَة، وأعْلَوا الحُصُونَ مَظْهَرًا لِلْقُوَّة، وسَمَكُوا القُصُورَ مَظْهَرًا لِلْجَمَال».

فالكاتب كما ترىٰ قد وضع أقسام الكمال أو المجد ضمن أربعة أقسام: الخير، والمنفعة، والقوة، والجمال، وما عدا هذه الأربعة إنما هو عَبَثٌ وفُضُول، ثم وزَّع المظاهر علىٰ الأقسام: فالمساجدُ مظهر للخير، والمدارس مظهر للمنفعة، والحصون مظهر للقوة، والقصور مظهر للجمال. وبذلك ضمَّ أسلافُنا أطراف الفخر، وجمعوا حواشيَ المجد، وحازوا آفاق الكمال، ونالوا أوسمة العظمة.

ومن نماذجه قول جبران خليل جبران مخاطبًا الأرض: «لَقَدْ سِرْتُ فِي سُهُولِك، وصَعَدْتُ جِبَالَك، وهَبَطْتُ فِي أَوْدِيَتِك، وتَسَلَّقْتُ صُخُورَك، ودَخَلْتُ كُهُوفَك، فَعَرَفْتُ حِلْمَكِ فِي السَّهْل، وأَنَفَتَكِ فِي الجَبَل، وهُدُوءَكِ فِي الوَادِي، وعَزْمَكِ فِي الصَّخْر، وتَكَتُّمَكِ فِي الكَهْف».

لعلك لاحظت أنّ الكاتب قد قسَّمَ تضاريس الأرض ببلده لبنان، وهي

السهول، والجبال، والأودية، والصخور، والكهوف، ثم أضاف إلىٰ كلّ نوع من تلك التضاريس صفة تناسبها: فالحلم صفة للسهول، والأنفة صفة للجبال، والهدوء صفة للأودية، والعزم صفة للصخور، والتكتّم صفة للكهوف.

بلاغة صحة التقسيم:

في صحة التقسيم يجد المتلقِّي راحة نفسية حين يرىٰ أنّ الأديبَ قد أحاط بجميع أقسام المعنىٰ المطروق، فتطرب نفسه بهجة، ويمتلئ قلبه إعجابا، «وممّا لا شك فيه أن التقسيم ينبئ عن الدقة في الكلام، والإحاطة بالشيء من جميع جوانبه، حيث يفهم أسرارها فيظهرها، ولذلك فهو يقوّي المعاني، ولا يعطي للسامع مجالا آخر للفهم والبيان، لأن المتكلم الذي يحيط بجميع أقسام الشيء لا بد وأن يكون عالما بتفاصيله، محيطا بجزئياته، فيقع في نفس السامع موقعا حسنا، ويثبُت في العقول والقلوب، وما البلاغة إلا إيصال المعنىٰ إلىٰ القلب في أحسن صورة من اللفظ»[1].



(١) وشي الربيع (ص ٩١).

التطبيق

حدِّدِ التقسيم، وبيِّنْ صِحَّتَهُ في النماذج البلاغية الآتية:

١- قال محمود غنيم في مولد النبي المصطفىٰ ﷺ:

وُلِـدَ المُصْـطَفَى، سَـلَامٌ عَلَيْـهِ ... مَـا حَبَـا، أَوْ مَشَـى، أَوِ اشْـتَدَّ عُـودَا

٢- قال أحمد شوقي:

وَالنَّـاسُ بَـاذِلُ رُوحِـهِ، أَوْ مَالِـهِ ... أَوْ عِلْمِـهِ، وَالآخَـرُونَ فُضُـولُ

٣- وقال شوقي في تحية الأزهر الشريف:

حَـتَّى ظَنَنَّـا الشَّـافِعِيَّ وَمَالِكًـا ... وَأَبَـا حَنِيفَـةَ وَابْـنَ حَنْبَـلٍ حُضَّـرَا

٤- قال مصطفىٰ صادق الرافعي في مدح الخديوي عباس:

فِي حِلْـمِ عُثْمَـانٍ وَهَيْبَـةِ حَيْـدَرٍ ... وَعَـدْلِ أَبِي حَفْـصٍ وَعَـزْمِ أَبِي بَكْـرِ

٥- قال الشاعر القروي:

رَأَيْتُـكَ قَـدْ وَقَفْـتَ عَلَـى الحِيَـادِ ... أَأَنْـتَ مِـنَ الصِّحَابِ أَمِ الأَعَـادِي؟

٦- قال شاعر المهجر رشيد أيوب:

وَرُحْـتُ كَـأَنِّي بَـيْنَ مَـاضٍ وَحَاضِـرٍ ... وَمُسْـتَقْبَلِ الأَيَّـامِ أَدْرِي وَلَا أَدْرِي

٧- قال معروف الرصافي في فضل المعلّم:

فَـإِنَّ لَـهُ مِنْـكَ الحِجَـا وهُـوَ جَـوْهَرٌ ... ولِلْوَالِـدَيْنِ العَظْـمُ واللَّحْـمُ والـدَّمُ

٨- وقال معروف الرصافي في وصف غناء كوكب الشرق (أم كلثوم):

حُسْـنُ صَـوْتٍ يَزِينُـه حُسْـنُ لَحْـنٍ ... فِيـهِ لِلسَّـامِعِينَ حُسْـنُ بَيَـانِ

٩- قال إيليا أبو ماضي:

قَالَتْ وَصَفْتَ لَنَا الرَّحِيقَ وَكُوبَهَا وَصَرِيعَهَا وَمُدِيرَهَا وَالعَاصِرَا

١٠- قال خليل مطران:

فَتًى لَمْ يَكُنْ فِي قَوْلِهِ وَفِعَالِهِ وَبَادِيهِ وَالخَافِي سِوَى كُلِّ جَيِّدِ



حل التطبيق

١- طرق علي الجارم معنىٰ من المعاني، وهو السلام علىٰ النبي ﷺ في مراحل عُمْرِه، فذكر ولادته، وحبوه، ومشيه، واشتداد عوده ﷺ، وقد استوفىٰ الشاعر كما رأيت أقسام المعنىٰ المطروق.

٢- المعنىٰ المطروق: البذل والتضحية، وشوقي قد قسم الناس من خلال هذا المعنىٰ إلىٰ ثلاثة أقسام: بذْل الروح، وبذل المال، وبذل العلم، والملاحظ أن الشاعر قد استوفىٰ أقسام المعنىٰ المطروق دون زيادة أو نقصان.

٣- لما أراد شوقي أن يمجد الأزهر الشريف، شبه علماءه بكبار علماء الدين، وهم: الإمام الشافعي، والإمام مالك، والإمام أبو حنيفة، والإمام ابن حنبل، وهم أئمة المذاهب الإسلامية الأربعة الكبرىٰ.

٤- استوفىٰ الرافعي جميع أقسام المعنىٰ المطروق، وهو تشبيهه لممدوحه بالخلفاء الراشدين، وهم أربعة: عثمان بن عفّان، وعليّ بن أبي طالب، وعمر بن الخطاب، وأبو بكر الصديق، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ جميعًا، هذا بالإضافة إلىٰ ذكر الصفة الملازمة لكل قسم من تلك الأقسام.

٥- قسم القروي معناه قسمة مستوفية، حين ذكر الأصحابَ، والأعداءَ، والوقوفَ علىٰ الحياد.

٦- طرق رشيد أيوب معنىٰ الزمن، والملاحظ أن الشاعر قد ذكر الماضي والحاضر والمستقبل، وتلك أقسامٌ ثلاثة كاملة.

٧- أصاب الرصافي صحة التقسيم حين ذكر العظم واللحم والدم، وهي ما

تكوّن جسم الإنسان، وقبل ذلك ذكر العقل، وبذلك لم يغادر الشاعر قسما من أقسام المعنىٰ إلا طرقه.

٨- قسم الرصافي جمالية الفن إلىٰ ثلاثة أقسام، وهي حسن الصوت، وحسن اللحن، وحسن البيان، وقد استوفىٰ الشاعر جميع الأقسام بالتمام والكمال.

٩- طرق إيليا أبو ماضي المعنىٰ المتعلق بالخمر، وقد قسّم معناه كالآتي: ذكر وصف الرحيق، وكأسها، والصريع، ومن يديرها، وأخيرا من يعصرها، وبذلك استوفىٰ جميع أقسام المعنىٰ.

١٠- طرق خليل مطران موضوع مناقب الممدوح، فذكر: ما يقوله، وما يفعله، وما يُسِرُّه، وما يعلنه، وبذلك استوفىٰ جميع أقسام المعنىٰ.



الجَمْعُ مَعَ التَّفْرِيق

تعريفه: يُعَرِّفُهُ عُلَمَاءُ البَدِيعِ بِأَنَّهُ الجَمْعُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ فِي حُكْمٍ وَاحِد، ثُمَّ التَّفْرِيقُ بَيْنَهُمَا فِي ذَلِكَ الحُكْم[1].

ولتوضيح هذا التعريف أذكر لك هذين المثالين قبل المرور إلىٰ شواهد هذا الفن:

قال مصطفىٰ لطفي المنفلوطي في مناجاته للقمر: «أَيُّهَا القَمَرُ المُنِيرُ إِنَّ بَيْنِي وبَيْنَكَ شَبَهَا: أَنْتَ وَحِيدٌ في سَمَائِك، وأَنَا وَحِيدٌ في أَرْضِي».

وقال المنفلوطي: «الشِّعْرُ والفَلْسَفَةُ كِلاهُمَا غِذَاء، غَيْرَ أَنَّ الفَلْسَفَةَ غِذَاءُ العَقْل، بِرَزَانَتِهَا وهُدُوئِها، وحُجَجِهَا وبَرَاهِينِها، والشِّعْرَ غِذَاءُ النَّفْس، بِرَنَّاتِهِ ونَغَمَاتِه، وأَهَازِيجِهِ ونَبَرَاتِه».

في المثال الأول جمع المنفلوطي بين نفسه والقمر تحت حكم واحد، وهو الوَحدة والانفراد، فكلاهما وحيد، غير أنه فرق بين جهتيْ إدخالهما في هذا الحكم: فالقمر وحيد في سمائه، وهو - الكاتب - وحيد في أرضه.

وفي المثال الثاني جمع بين الشعر والفلسفة تحت حكم واحد، وهو تشبيههما بالغذاء، ثم فرق بين جهتيْ إدخالهما في هذا الحكم: فالفلسفة غذاء للعقل، والشعر غذاء للنفس.

شواهد الجمع مع التفريق:

قال علي الجارم في مدح الملك فؤاد في أثناء زيارته لمدينة أسيوط

---

(١) علم البديع عبد العزيز عتيق (ص ١٦٠).

ومعاهدها العلمية:

خَوَالِدُ آثَارٍ تَمَنَّى مِثَالَهَا عَلَى الدَّهْرِ رَمْسِيسُ العَظِيمُ وَخَفْرَعُ
بَنَوْهَا لِمَا بَعْدَ الحَيَاةِ وَأَبْدَعُوا وَإِنَّكَ لَتَبْنِي لِلْحَيَاةِ وَتُبْدِعُ

فالشاعر كما ترىٰ لم يذهب مذهب غُنيم حين فرّق تفريقا ظاهرًا بين الرئيس جمال عبد الناصر وفرعون، بل آثر أن يجمع بين آثار الملك فؤاد، وبين آثار فراعنة مصر الأقدمين تحت حكم، وهو الإبداع، غير أنه فرق بين الإبداعين: فالفراعنة بنوا بناء بديعا لما بعد الحياة (قبور الفراعنة)، أما الملك فؤاد فقد بنىٰ المعاهد البديعة لإحياء العلوم في بلاد العلماء.

قال الشاعر اللبناني إلياس عبد الله طعمة:

وَجُفُونُكِ ذَابِلَةٌ كَحَلَا وَجُفُونِي ذَابِلَةٌ أَرَقَا

جمع الشاعر بين جفونه وجفون المتغزل بها تحت حكم واحد، وهو الذبول، ثم فرق بين جهتيْ إدخالهما في هذا الحكم: فجفون المحبوبة ذابلة كَحَلًا، وجفون الشاعر ذابلة أرقًا.

قال الشاعر العراقي معروف الرصافي في قصيدة (أم اليتيم):

فتُذْرِي دُمُوعًا كالجُمَانِ تَنَاثَرَتْ وتَضْحَكُ عَنْ مِثْلِ الجُمَانِ المُنَظَّمِ

فالشاعر قد جمع بين دموع الأم وأسنانها في مشابهة كلّ منهما للجُمان، ثم فرّق بينهما في أنْ جعل مشابهة الدموع للجُمان في التناثر، ومشابهة الأسنان للجُمان في الانتظام.

قال أحمد شوقي وهو في أرض الغربة مخاطبًا الحَمَام:

أَرَاكَ يَمَانِيًّا، وَمِصْرُ خَمِيلَتِي كِلَانَا غَرِيبٌ نَازِحُ الدَّارِ مُوجَعُ
ومِنْ عَجَبِ الأَشْيَاءِ أبْكِي وأَشْتَكِي وَأَنْتَ تُغَنِّي فِي الغُصُونِ وتَسْجَعُ

فالشاعر قد جمع بينه وبين الحمام في حكم واحد، وهو الاغتراب، لكنه فرق بين جهتيْ الإدخال في هذا الحكم: فالحمام يسجع ويغني، وهو - أي الشاعر - في بكاء وشكوىٰ.

وقال شوقي مُخَاطِبًا الطَّيْر:

بِي مِثْلُ مَا بِكَ مِنْ جَوىً وَنَوىً ... أَنَا فِي الأَنَامِ وَأَنْتَ فِي القَمَرِ

حيث جمع الشاعر بين نفسه وبين الطير تحت حكم واحد، وهو الشوق والبعد، لكنه فرق بينهما بأن جعل نفسه في الأرض مثل البشر، وجعل الطير في السماء قبالة القمر.

قال الشاعر السوري بطرس كرامة في مقارنة أجراها بين الغزالة والمحبوبة:

إنْ كَانَ فِي الجِيدِ وَالعَيْنَيْنِ بَيْنَهُمَا ... شِبْهٌ فَأَيْنَ جَمَالُ الثَّغْرِ وَاللَّعَسِ؟

فالشاعر قد جمع بين المحبوبة والغزالة تحت حكم واحد، وهو التماثل في جمال الجيد (الرقبة)، وجمال العينين، لكنه عاد وفرق بينهما في جمال الثغر والشفتين.

وقريب منه قول الشاعر العراقي الشيخ عبد المحسن الكاظمي متغزلا:

(رَبَابُ) هِيَ للشَّمْسِ وَجْهَكِ وَالسَّنَا ... فَهَلْ كَانَ عِنْدَ الشَّمْسِ جِيدُكِ وَالثَّغْرُ؟

حيث جمع بين الشمس والمحبوبة تحت حكم واحد، وهو الضياء والسناء، غير أنه فرق بينهما في نيل المحبوبة كفايتها من جمال الجيد والثغر.

وقال بطرس كرامة مادحا (خليل باشا) ومهنئًا مقامه بولايته علىٰ (البحرين):

تَوَلَّيْتَ بَحْرًا مِثْلَ جُودِكَ فَائِضًا ... وَمِثْلُكَ فِي الهَيْجَا يَهِيجُ وَيُزْبِدُ

تَشَابَهْتُمَا لَكِنَّ فِيكَ عُذُوبَةً ... وَفِيكَ وَقَارًا فِيهِمَا أَنْتَ مُفْرَدُ

فالشاعر كما رأيت قد جمع بين الممدوح والبحر تحت حكم واحد،

وهو الجود والقوة، ثم عاد وفرق بين جهتي الإدخال، ففي الممدوح عذوبة ووقار، وهو ما ليس للبحر فيهما حظ.

وقال كرامة في مدح عالم فاضل وجواد:

بَحْرٌ تَدَفَّقَ بِالعُلُومِ وَكَفُّهُ بَحْرٌ بِأَنْوَاعِ المَكَارِمِ طَائِفُ

فالشاعر قد جمع بين الممدوح وكفه في مشابهة كلٍّ منهما للبحر، ثم فرّق بينهما في أنْ جعل مشابهةَ الممدوح للبحر في غزارة العلم، ومشابهةَ الكف للبحر في الكرم والجود.

قال إيليا أبو ماضي في قصيدة (بائعة الورد):

كَأَنَّمَا وَهَبَتْهَا الشَّمْسُ صَفْحَتَهَا وَجْهًا وحَاكَتْ لَهَا أَسْلَاكَهَا شَعَرَا

جمع الشاعر بين وجهِ الحسناءِ وشَعرِها تحت حكم واحد، وهو التشبيه بالشمس، ثم فرّق بين جهتي إدخالهما في هذا الحكم، فوجهُها كالشمس في صفحتها، وشعرُها كالشمس في أسلاكها (أشعتها).

وقال إيليا أبو ماضي في قصيدة (أنا والنّجم):

مِثْلِي هَذَا النَّجْمُ فِي سُهْدِهِ وَمِثْلُهُ المَحْبُوبُ فِي بُعْدِهِ

فالشاعر جمع بين نفسه وبين المحبوب في حكم واحد، وهو تشبيههما بالنجم، ثم فرّق بين جهتي الإدخال: فهو كالنجم في السهد، والمحبوب كالنجم في البُعد.

وقد يفرّق الأديب أوَّلا، ثم يجمع، كقول الشاعر العراقي جعفر الحلي:

بَكَيْتُ وَأَخْفَتْ شَجْوَهَا وَتَبَسَّمَتْ وَشَتَّانَ مِنَّا صَابِرٌ وَجَزُوعُ
فَمِنْهَا يَلُوحُ البَرْقُ وَهْوَ مَبَاسِمٌ وَمِنِّي يَسِحُّ القَطْرُ وَهْوَ دُمُوعُ
كِلَانَا سَوَاءٌ فِي مُكَابَدَةِ الجَوَى سِوَى أَنَّهَا تُخْفِي الهَوَى وَأُذِيعُ

ومن أجمل شواهد الجمع مع التفريق نثرًا قولُ ميخائيل نعيمة: «مِنْ أَكْمَلِ كَمَالَاتِ العَرَبِيَّةِ وأَسْمَاهَا، جَعْلُ الكَلِمَتَيْنِ «البَصَر»، و«البَصِيرَة» تَوْأَمَيْنِ مِنْ بَطْنٍ وَاحِد، ولَكِنَّ هَذَا التَّوْأَمَ غَيْرُ ذَاك، فَكَأَنَّهُمَا وَاحِد، ولَيْسَا بِوَاحِد، فَالعَيْنُ إِذْ تَمُرُّ بِهِمَا تُحِسُّ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ تَشَابُه، ولَكِنَّهَا تُحِسُّ مَعَ هَذَا التَّشَابُهِ تَبَايُنًا، والأُذُنُ إِذْ تَلْتَقِطُهُمَا تَسْتَأْنِسُ فِي الاثْنَيْنِ بِرَنَّةٍ تَكَادُ تَكُونُ وَاحِدَة، ولَكِنَّهَا لَيْسَتْ وَاحِدَة، فَهُمَا أَبَدًا مُتَشَابِهَان، مُتَنَاقِضَان، أَمَّا التَّشَابُهُ فَفِي المَصْدَر، وأَمَّا التَّنَاقُضُ فَفِي الطَّرِيق، فَالبَصَرُ ومَرْكَزُهُ العَيْنُ يَحْصُرُ كُلَّ هَمِّهِ فِي الْتِقَاطِ أَشْكَالِ الأَشْيَاءِ وأَلْوَانِهَا، ومِنْ أَشْكَالِهَا وأَلْوَانِهَا يُحَاوِلُ أَنْ يَنْفُذَ إِلَىٰ كُنْهِهَا، فِي حِينِ أَنَّ البَصِيرَةَ ومَرْكَزُهَا القَلْبُ أَوِ الوِجْدَانُ هَمُّهَا الوُصُولُ إِلَىٰ بَوَاطِنِ الأَشْيَاء، دُونَ التَّلَهِّي بِظَوَاهِرِهَا، فَالاثْنَانِ يَدْأَبَانِ وَرَاءَ المَعْرِفَة، لَكِنَّ سَبِيلَ الوَاحِدِ غَيْرُ سَبِيلِ الآخَر».

فالكاتب قد جمع بين (البَصَرِ) و(البَصِيرَةِ) تحت حكم واحد، وهو المعرفة، فكلاهما مصدر للمعرفة، ثم أوجد فرقا وتبايُنا بين المعرفة الحسيّة التي طريقها الحواس (العين)، والمعرفة الوجدانية التي طريقها القلب، فالأولىٰ تُعنَىٰ بالظواهر، بينما تُعنىٰ الثانية بالجواهر.





التطبيق

اشرح الجمع مع التفريق في النماذج البلاغية الآتية:

١- قال محمود غنيم في رثاء شيخ القضاة عبد العزيز فهمي:

حُكْمٌ مَضَى كَالسَّهْمِ فِيمَنْ حُكْمُهُ ... قَدْ كَانَ مِثْلَ السَّهْمِ عِنْدَ مَضَائِهِ

٢- قال الشاعر اللبناني أبو الفضل الوليد مخاطبا وردةً ذابلة:

أَشْبَهْتِنِي حَيْثُ الذُّبُولُ نَصِيبُنَا ... لَكِنَّ لَوْنَكِ فِي ذُبُولِكِ أَحْمَرُ

٣- قال ناصيف اليازجي مشبها ممدوحه بالبحر:

بَيْنِي وبَيْنَ البَحْرِ بَحْرٌ مِثْلُهُ ... سَعَةً وَلَكِنْ طَعْمُهُ لَمْ يَعْدِلِ

٤- قال إيليا أبو ماضي في وصف القطار:

بِنَا وَبِهِ حَنِينٌ وَاشْتِيَاقٌ ... وَلَوْلَا ذَانِ مَا سِرْنَا وَسَارَا

وَلَكِنَّا وَسِعْنَا الشَّوْقَ ذَرْعًا ... وَضَاقَ بِهِ فَصَعَّدَهُ بُخَارَا

٥- وقال إيليا أبو ماضي:

وَلِي قَلَمٌ كَالرُّمْحِ يَهْتَزُّ فِي يَدِي ... إِلَى الخَيْرِ يَسْعَى، وَالرِّمَاحُ إِلَى الشَّرِّ

٦- قال بطرس كرامة:

فَأَسْكَتَنِي مَا أَسْكَتَ الوِرْقَ فِي الدُّجَى ... وَأَنْطَقَنِي مَا أَنْطَقَ الوِرْقَ فِي السَّحَرْ

كِلَانَا لَهُ - إِنْ رَدَّدَ النَّوحَ - سَامِعٌ ... فَتَسْمَعُنِي كُتْبِي، وَيَسْمَعُهَا الشَّجَرْ



٧- وقريب منه قول محمود سامي البارودي وهو يعقد مقارنة بينه وبين الحمامة:

قَدْ أَشْبَهَتْنِي فِي الهَوَى لَكِنَّهَا ... لَمْ تَحْكِنِي فِي لَوْعَتِي وَبُكَائِي

مَالَ النَّسِيمُ بِهَا ومَالَ بِي الأَسَى ... شَتَّانَ بَيْنَ نَعِيمِهَا وَشَقَائِي

٨- قال الشاعر المصري محمد توفيق علي فيما يشبه ذلك:

يَا بُلْبُلَ الأَغْصَانِ حَالُكَ فِي الهَوَى ... حَالِي، وَلَكِنْ أَنْتَ فِيهِ مُوَفَّقُ

تَبْكِي وَإِلْفُكَ فِي الغُصُونِ، وَأَشْتَكِي ... وَهَوَايَ فِي وَطَنِي الجَمِيلِ مُفَرَّقُ

٩- قال حافظ إبراهيم مخاطبًا (القطار):

بَيْنَ جَنْبَيْكَ مَا بِجَنْبَيَّ لَكِنْ ... مَا بِجَنْبَيَّ مُسْتَدِيمُ الضِّرَامِ

أَنْتَ لَا تَعْرِفُ الغَرَامَ وإِنْ كُنْـ ... ـتَ تُرِينَا زَفِيرَ أهْلَ الغَرَامِ

١٠- قال معروف الرصافي في الرثاء:

والدَّمْعُ والشِّعْرُ مِمَّنْ قَدْ بَكَى بِهِمَا ... كِلَاهُمَا حَكَيَا فِي يَوْمِهِ الدُّرَرَا

فَالشِّعْرُ مِنْ هَذِهِ الأَكْبَادِ بَلَّ صَدًى ... والدَّمْعُ مِنْ هَذِهِ الأَوْطَانِ بَلَّ ثَرَى



حل التطبيق

١- جمع غنيم بين حُكم الموت وبين حكم القاضي الراحل في مشابهة كلٍّ منهما للسهم، ثم فرق بين جهتيْ إدخالهما في هذا الحكم: فحكم الموت كالسهم في الإسراع، وحكم القاضي كالسهم في المضاء.

٢- جمع إلياس عبد الله طعمة بينه وبين الوردة في حكم واحد، وهو الذبول، ثم فرق بين جهتيْ إدخالهما في هذا الحكم: فلون الورد في ذبوله بقي أحمرَ، أما الشاعر فقد كان نصيبه من الذبول شحوب وجهه واصفراره.

٣- جمع ناصيف اليازجي بين ممدوحه وبين البحر في حكم واحد، وهو الاتساع، لكنه فرق بين جهتيْ إدخالهما في هذا الحكم: فالممدوح عذبٌ فرات، والبحر ملحٌ أجاج.

٤- جمع إيليا أبو ماضي بين نفسه وبين القطار في حكم واحد، وهو الحنين والاشتياق، ثم عاد وفرق بين جهتيْ الإدخال: فالشاعر قد اتسع للشوق قلبُه، أما القطار فقد ضاق ذرعا بالشوق فحوّلهُ بخارا.

٥- جمع إيليا أبو ماضي بين قلمه وبين الرمح في حكم واحد، وهو الاهتزاز، ثم فرق بينهما في ذلك الحكم، فقلبه يسعىٰ إلىٰ الخير، بينما الرماح تسعىٰ إلىٰ الشر.

٦- جمع بطرس كرامة بينه وبين الحمامة في حكم واحد، وهذا الحكم هو وجود سامع لنواحهما، لكنه فرق بين جهتيْ الإدخال في هذا الحكم: فالشاعر تسمعه كتبه، والورقاء يسمعها الشجر.



٧- جمع البارودي بين نفسه والحمامة تحت في واحد، وهو حُكم الهوىٰ، لكنه عاد وفرق بينهما في اللوعة والبكاء، فهوىٰ الورقاء نعيم وغناء، وهوىٰ الشاعر بكاء وشقاء.

٨- جمع الشاعر بين حاله وحال البلبل تحت حكم واحد، وهو البكاء والشكوىٰ، ثم عاد وفرق بين جهتيْ الإدخال: فالبلبل يبكي وهو في (وطنه) وأليفُه بقربه، والشاعر يبكي بعيدا عن وطنه وأحبائه.

٩- جمع حافظ إبراهيم بين نفسه وبين القطار تحت حكم واحد، وهو الحُرقة واللوعة، ثم فرق بين جهتيْ الإدخال في هذا الحكم: فأهل الغرام حكم عليهم الغرامُ باستدامة الضرام، ودوام الزفير، أما زفرات القطار فمن حين إلىٰ حين.

١٠- يقول الرصافي إنّ زمرة الشعراء، وعامةَ الناس بكوا الفقيد كلٌّ بطريقته: فالعامة بكته بالدموع، والشعراء بكوه بأشعار الرثاء، والملاحظ أن الرصافي قد جمع بين الدمع والشعر في حكم واحد، وهو تشبيههما بالدرر، ثم عاد وفرق بين جهتيْ إدخالهما في هذا الحكم: فدرر الأشعار بلّت صَدَىٰ أيْ عَطَشَ الأكباد، ودرر الدموع بلّت ثرىٰ الأوطان.





الجَمْعُ مع التَّقْسِيم

تعريفُه: «هُوَ جَمْعُ مُتَعَدِّدٍ تَحْتَ حُكْمٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ تَقْسِيمُه، أو العَكْس، أيْ تَقْسِيمُ مُتَعَدِّدٍ، ثُمَّ جَمْعُهُ تَحْتَ حُكْمٍ وَاحِدٍ»(١).

ومثال النوع الأول قول محمود سامي البارودي:

وَفِتْيَـةٍ كَأُسُـودِ الغَـابِ لَـيْسَ لَهُـمْ ... إِلَّا الرِّمَـاحُ إِذَا احْمَـرَّ الـوَغَى أَجَـمُ

كَالْبَرْقِ إِنْ عَزَمُوا وَالرَّعْدِ إِنْ صَدَمُوا ... وَالْغَيْثِ إِنْ رَحِمُوا وَالسَّيْلِ إِنْ هَجَمُوا

فالشاعر قد جَمَعَ ممدوحيه تحت حُكْم واحد، من خلال تشبيههم بأُسُود الغاب في الشجاعة والإقدام، ثمَّ قسَّم هذا الحكم إلىٰ أربعة أقسام (العَزْم، والصِّدَام، والرَّحْمَة، الإغارة)، ثم أرْجَعَ كلَّ قسم من هذه الأقسام الأربعة إلىٰ ما يُناسبه: ففي العَزْمِ هم كالبرق، وفي الصِّدام هم كالرَّعد، وفي الرَّحمة هم كالغيث، وفي الإغارة هم كالسَّيل.

قال محمود غنيم:

دَارُ العُلُـومِ وَنِيـلُ مِصْـرَ كِلَاهُمَـا ... يُـرْوِي بِسَلْسَـلِهِ الـبِلَادَ مِـنَ الظَّمَـا

لَـوْلَاهُ فِي مِصْـرٍ لَمَـا غَـرْسٌ نَمَـا ... فِيهَـا، وَلَوْلَاهَـا لَمَـا عَقْـلٌ نَمَـا

الشاعر جمع بين نهر النيل و(دار العلوم) تحت حكم واحد، وهو إرواء البلاد، لكنه عاد وقسَّم حكمه: فالنيل يُروي الزروع، و(دار العلوم) تُروي العقول.

---

(١) علم البديع عبد العزيز عتيق (ص ١٥٨).

ومنه قول الشاعر المصري حفني ناصف:

إنْ جَاءَهُ مُعْتَدٍ أَوْ مُرْتَجٍ كَرَمًا ... فَمَا لَهُ عَنْ فِنَاءِ الحَيِّ تَرْحَالُ

فَالمُرْتَجِي قَيَّدَتْهُ فِيهِ أَنْعُمُهُ ... وَالمُعْتَدِي أَثْقَلَتْهُ فِيهِ أَغْلَالُ

جمع الشاعر حال الممدوح إنْ غزاهُ المعتدي، أو رجاهُ المرتجي تحت حكم واحد، وهو الاستقرار في الحي، ثم قسم هذا الحكم: للمرتجي منه قلائدُ الأنعم، وللمعتدي منه القيد والأغلال.

ومنه قول محمود غنيم في وصف مدينة طرابلس اللبنانية:

تَصْحُو وَتَرْقُدُ مِلْءَ العَيْنِ آمِنَةً ... فِي يَقْظَةِ الحَارِسَيْنِ: البَحْرِ وَالجَبَلِ

حِصْنَانِ: هَذَا يَقِيهَا كُلَّ لَافِحَةٍ ... هَبَّتْ، وَذَلِكَ يَحْمِيهَا مِنَ البَلَلِ

فالشاعر كما رأيت قد جمع بين البحر والجبل تحت حكم واحد، وهو تشبيههما بالحصن الذي يحرس المدينة، ثم عاد وقسّم ذلك الحكم: فالبحر يقي المدينة الحرَّ، والجبل يقيها السيول.

قال إيليا أبو ماضي في وصف الحرب العالمية، وحال بني البشر فيها:

وَالمَوْتُ مِنْ قُدَّامِهِمْ وَوَرَائِهِمْ ... وَالهَوْلُ كُلَّ ثَنِيَّةٍ وَمَكَانِ

فَالجَوُّ مِمَّا فَاضَ مِنْ أَرْوَاحِهِمْ ... لَا تَسْتَبِينُ نُجُومَهُ عَيْنَانِ

وَالنَّهْرُ مِمَّا سَالَ مِنْ مُهْجَاتِهِمْ ... يَجْرِي عَلَى أَرْضٍ مِنَ المَرْجَانِ

وَالأَرْضُ حَمْرَاءُ الأَدِيمِ كَأَنَّهَا ... خَدُّ الحَيِيَّةِ أَوْ خَضِيبُ بَنَانِ(١)

فالشاعر في البيت الأول قد جمع عدة أشياء تحت حكم واحد، فقد جمع كل الأمكنة حينما شمّرت الحرب عن ساقها تحت حكم واحد، وهذا الحكم

---

(١) الحيِيَّة: من الحياء (المرأة المحتشمة).

كان الموتَ أو الهلاك، ثم قسم مصادر هذا الموت إلىٰ ثلاثة أقسام مختلفة: الموت القادم من الجو، والموت القادم من البحر، والموت القادم من البرّ.

ومن نماذج هذا النوع من الجمع مع التقسيم في النثر قول توفيق الحكيم: «الإتْقَانُ والإمْتَاعُ والإنْسَانِيَّةُ أَهَمُّ صِفَاتِ الأَثَرِ الأَدَبِيِّ والفَنِيِّ، فَمَنْ أَنْتَجَ فِي الأَدَبِ أو الفَنِّ عَمَلًا غَيْرَ مُتْقَنٍ فِي أُسْلُوبِهِ الفَنِّيّ، ولا مُحْكَمٍ فِي تَعْبِيرِهِ الأَدَبِيّ، فَقَدْ وَقَعَ فِي العَجْزِ الشَّكْلِيّ، ومَنْ صَنَعَ عَمَلًا لَا مُتْعَةَ فِيه، ولَا رَوْعَة، فَقَدْ صَنَعَ شَيْئًا آخَرَ غَيْرَ الأدَبِ والفَنّ، ومَنْ صَنَعَ عَمَلًا مُتْقَنًا ومُمْتِعًا ورَائِعًا، ولَكِنَّهُ فَاقِدٌ لِلْمَعْنَىٰ الإنْسَانِيّ، والفِكْرَةِ الدَّافِعَةِ للإنْسَانِ والمُجْتَمَع، فَقَدْ صَنَعَ أَدَبًا وفَنًّا، ولَكِنَّهُ أَدَبٌ وفَنٌّ مِنْ طِرَازٍ بَارِعِ الصَّنْعَة، زَهِيدِ القِيمَة، كالزُّجَاجِ البَخْسِ البَرَّاق، لا الجَوَاهِرِ النَّفِيسَةِ».

فالأديب قد جمع ثلاثة أشياء تحت حكم واحد، حيث جمع الإتقان، والإمتاع، والإنسانية، وحكم عليها بأنّها سِمَةُ العمل الأدبي والفنّي، ثم قسّم هذه الصفات: فللإتقان جمالُ الأسلوب، وللإمتاع الروعة، وللإنسانية القيمة.

أمّا النوع الثاني من الجمع مع التقسيم فهو أنْ يُقَسِّمَ الأديبُ مُتَعَدِّدًا، ثُمَّ يَجْمَعُهُ تَحْتَ حُكْمٍ وَاحِد، ومن نماذجه قول محمود سامي البارودي في وصف قصيدته:

كَـالبَرْقِ فِي عَجَـلٍ وَالرَّعْـدِ فِي زَجَـلٍ ... وَالغَيْـثِ فِي هَلَـلٍ وَالسَّـيْلِ فِي هَمَـلِ

غَـرَّاءُ، تَعْلَقُهَـا الأَسْـمَاعُ مِـنْ طَـرَبٍ ... وَتَسْـتَطِيرُبِهَـا الأَلْبَـابُ مِـنْ جَـذَلِ

فالبارودي قَسَّمَ حكمه أولا، من خلال تشبيه قصيدته بالبرق، والرعد، والغيث، والسيل، مضيفا إلىٰ كل قسم ما يناسبه، ثم عاد في البيت الثاني، وجمع كل أسماع البشر تحت حكم واحد، وهو تعلُّقها بهذه القصيدة طربًا، كما جمع كل الألباب تحت حكم واحد، وهو سرورها بهذه الرائعة البيانية.

ومنه قول البارودي في المديح:

فَخَـيْرُكَ مَـأْمُولٌ وَفَضْـلُكَ وَاسِـعٌ   وَظِلُّـكَ مَمْـدُودٌ وَعَـدْلُكَ شَـامِلُ
مَسَاعٍ جَلَاهَـا الـرَّأْيُ فَهْـيَ كَوَاكِـبٌ   لَهَـا بَـيْنَ أَفْـلَاكِ الْقُلُـوبِ مَنَـازِلُ

فالبارودي قد قسَّمَ أولا خصال الممدوح ومناقبه، فذكر خيرَه المأمول، وفضله الواسع، وظله الممدود، وعدله الشامل، ثم جمع بين هذه الفضائل الأربعة تحت حكم واحد، بحيث حكم عليها بكونها مساعٍ مصقولةً بحكمة الممدوح ورأيه السديد، وهي كالكواكب، ولكن لا منازلَ لها سوىٰ أفلاك القلوب.

ومنه أيضًا قول البارودي في هجاء أحدهم:

ذِمَامُـكَ مَخْفُـورٌ وَعَهْـدُكَ ضَـائِعٌ   وَرَأْيُـكَ مَـأْفُونٌ وَعَقْلُـكَ مُخْتَـلُّ
مَخَـازٍ لَـوْ أَنَّ الـنَّجْمَ حُمِّـل بَعْضَـهَا   لَعَاجَلَـهُ مِـنْ دُونِ إِشْـرَاقِهِ أَفْـلُ

حيث قسَّمَ البارودي أولا أخلاق المهجو، فذكر ذمامَه المخفور، وعهدَه الضائع، ورأيَه المأفون، وعقلَه المختلّ، ثم جمع بين هذه الرذائل الأربعة تحت حكم واحد، بحيث حكم عليها بكونها مخازٍ تعجِّل بأفول النجم، لو حمِّل النجمُ بعضَها.

ومنه قول اليازجي في مدح أحد الشعراء (وفيه تورية بمصطلحات علم العروض):

مِـنْ كُـلِّ قَافِيَـةٍ كَزَهْـرِ حَدِيقَـةٍ   فِي كُـلِّ مَعْـنًى كَالنَّسِـيمِ لَطِيـفِ
هِـيَ مُعْجِـزَاتٌ فِي صُـدُورِ أُولِي النُّهَـى   ضَـرَبَتْ عَرُوضًـا لَـيْسَ بِالمَحْـذُوفِ

فالشاعر قد قسم أشعار الممدوح إلىٰ قسمين: مبانيها الشبيهة بأزهار الحدائق، ومعانيها الشبيهة بالنسيم اللطيف العليل، ثم عاد في البيت الثاني،

وجمع أشعار الممدوح تحت حكم واحد، وهو تشبيهها بالمعجزات المحفوظة والمحفورة في صدور أولي النهىٰ.

ومن نماذج هذا الفن في النثر قول مصطفىٰ لطفي المنفلوطي: «إنَّ السَّمَاءَ تَبْكِي بِدُمُوعِ الغَمَام، ويَخْفِقُ قَلْبُهَا بِلَمَعَانِ البَرْق، وتَصْرُخُ بِهَدِيرِ الرَّعْد، وإنَّ الأَرْضَ تَئِنُّ بِحَفِيفِ الرِّيح، وتَضِجُّ بِأَمْوَاجِ البَحْر، ومَا بُكَاءُ السَّمَاء، ولا أَنِينُ الأَرْضِ إلَّا رَحْمَةٌ بالإنْسَان».

فقد قسم الأديبُ ظواهرَ الطبيعة أوّلًا: فذكرَ دموعَ الغمام، ولمعان البرق، وهدير الرعد، وحفيف الرياح، وأمواج البحر، ثم أرجع كل قسم إلىٰ ما يناسبه: فدموعُ الغمام بكاءُ السّماء، ولمعانُ البرق ضربات قلبها، وهديرُ الرعد صراخُها، وحفيفُ الرِّياح أنينُ الأرض، وأمواجُ البحر ضجيجُها، ثم عاد بعد هذا التقسيم، فجمع كلّ تلك التقسيمات تحت حكم واحد، وهو الرَّحمة.





التطبيق

حدد الجمع مع التقسيم في النماذج البلاغية الآتية:

١- قال مصطفىٰ صادق الرافعي في صفات الزوجة الصالحة:

فَإِنْ رُمْتَهَا فَالْتَمِسْ وَصْفَهَا   فَقَدْ مُيِّزَتْ بِصِفَاتٍ ثَمَانْ

بِوَجْهِ الجَمَالِ، وَرَأْسِ الذَّكَاءِ   وَعَيْنِ العَفَافِ، وَصِدْقِ اللِّسَانْ

وَقَلْبِ المُحِبِّ، وَصَدْرِ الصَّبُورِ   وَنَفْسِ الكَمَالِ، وَدَمِّ الحَنَانْ

وَتِلْكَ هِيَ السَّعْدُ، مَنْ نَالَهَا   فَقَدْ صَارَ مِنْ بَيْتِهِ فِي الجِنَانْ

٢- قال الشاعر الجزائري محمد العيد مخاطبًا شعب مصر:

إِنَّا وَإِنْ نَأَتِ المَسَافَةُ إِخْوَةٌ   فِي وَحْدَةِ الآمَالِ وَالآلَامِ

فِي الدِّينِ وَالدَّمِ وَاللِّسَانِ أَوَاصِرٌ   مَا بَيْنَنَا تَقْضِي بِكُلِّ وِئَامِ

٣- قال الشاعر محمود غنيم في وصف جمال مصر:

وَكُلُّ صُقْعٍ بِمِصْرَ رَوْضَةٌ أُنُفٌ   مَاءٌ وَظِلٌّ وَأَطْيَارٌ وَأَغْصَانُ

٤- قال خليل مطران:

كُلُّ مَاضِيكَ شَاهِدٌ لَكَ عَدْلٌ   بِالَّذِي كُنْتَ فِي جِسَامِ الأُمُورِ

حَاكِمٌ حَازِمٌ، وَلِيٌّ مُطَاعٌ   ثَاقِبُ الفِكْرِ، صَادِقُ التَّقْدِيرِ

٥- وقال مطران في وصف قصيدة بعث بها إليه أميرٌ وقد أصحبها بجواهر نفيسة:

فِي كُلِّ بَيْتٍ رَوْعَةٌ   تَزْدَانُ بِالفَضْلِ التُّؤَامِ

الحُسْـــــنُ وَالإحْسَـــانُ يَقْـــــ تَسِـــــمَانِهَا أَبْهَـــى اقْتِسَــامِ

٦- قال علي الجندي في المدح:

صِيغَ مِنْ عُنْصُرِ السِّيَادَةِ وَالنُّبْـ ـلِ فَأَخْلَاقُــهُ جَمَــالٌ وَطِيــبُ

هِمَّــةٌ فَـــذَّةٌ وَعَـــزْمٌ حَـــمِيٌّ وَحِفَــاظٌ مُــرٌّ وَبَــاعٌ رَحِيــبُ

وَوَفَــاءٌ عَلَيْــهِ مِــنْ شَـرَفِ الـنَّفْسِ وَمِــنْ يَقْظَــةِ الضَّــمِيرِ رَقِيــبُ

٧- وقال علي الجندي:

جُعْنَــا جَمِيعًــا: فَــالفَقِيرُ لِفَقْــرِهِ وَغَنِيُّنَــا مِــنْ حِرْصِــهِ جَوْعَــانُ

٨- وقال الجندي في مدح الأمير محمد بك غالب:

حَلَلْتَ عَلَى السُّودَانِ كَالغَيْثِ رَحْمَةً فَأَحْـدَثْتَ عُمْرَانًـا وشَـيَّدْتَ مَعَاهِـدَا

وَأَنْصَـفْتَ مَظْلُومًــا وَأَمَّنْــتَ خَائِفًــا وروَّعْــتَ جَبَّــارًا وأَصْـلَحْتَ فَاسِــدَا

٩- قال أحمد شوقي في تهنئة الطبيب الدكتور (علي باشا إبراهيم):

تُعَـــالِجُ كَفَّـــاكَ بُـــؤْسَ الحَيَـــاةِ فَكَـــفٌّ تُـــدَاوِي، وكَـــفٌّ تَهَـــبْ

١٠- قال شاعر المهجر إلياس عبد الله طعمة في شأن بلده لبنان:

يَـا لَيْـتَ أَبْنَـاءَهُمْ كَـالإِخْوَةِ اجْتَمَعُـوا عَلَــى وِفَــاقٍ وَعَهْـدٍ غَـيْرِ مُنْفَصِــمِ

فَلِلْبَنِـــينَ سَـــلَامٌ فِي مَنَـــازِلِهِمْ ولِلْجُـــدُودِ سَـــلَامٌ فِي تُـــرَابِهِمِ





حل التطبيق

١- قسم الرافعي أوصاف المرأة الصالحة المثالية إلىٰ ثمانية أقسام: الجمال، والذكاء (العقل الراجح)، والعفة، والصدق، والمحبة، والصبر (الصبر علىٰ شدائد الحياة)، والكمال (كمال الخُلق)، والحنان، ثم جمع هذه الصفات الثمانية تحت حكم واحد، بحيث حكم عليها بكونها مصدر بركة وسعادة البيت الذي شبهه الشاعر بنعيم الجنان.

٢- جمع محمد العيد آل خليفة بين شعب مصر وشعب الجزائر تحت حكم واحد، وهو الأخوَّة، ثم قسم هذا الحكم، إلىٰ وحدة الآمال والآلام والدين والدم واللسان.

٣- جمع غنيم كل أصقاع مصر تحت حكم واحد، وهو تشبيهها بالروضة، ثم قسم ذلك الحكم، فذكر مظاهر الروضة: المياه والظلال والطيور والأغصان.

٤- جمع مطران كل ماضي الممدوح وتاريخه تحت حكم واحد، وهو تشبيهه بالشاهد العدل، ثم قسم حكمه: فذكر مناقبه العظيمة ومفاخره الجسام، وهي: حُكمه الحازم، وطاعة رعيته، وفكره الثاقب، وصدق تقديره وبُعد نظره.

٥- جمع مطران أبيات القصيدة تحت حكم واحد، وهو الروعة، ثم قسم حكمه إلىٰ الحُسن والإحسان: فهي قصيدة ألفاظها كالجواهر في الحسن، كما أنها أقبلتْ مصحوبة بالجواهر التي أحسن بها الأمير.

٦- جمع الجندي أخلاق الممدوح تحت حكم واحد وهو الجمال والطيب، ثم قسم أخلاق الممدوح بأن وصف همته الفذة، وعزمه الحميّ،

وشرف نفسه في الدفاع عن المحارم، وباعه الطويل الرحيب، وأخيرا وفاءه الذي عليه الضمير رقيب.

٧- جمع الجندي الفقير والغني تحت حكم واحد وهو الجوع، ثم قسم حكمه، فالفقير جوعان لفقره، والغني جوعان لحرصه.

٨- جمع الشاعر بين الممدوح والغيث تحت حكم واحد، وهو النَّفعُ والرحمة، ثم ذكر أقساما عدة لرحمة الممدوح ونفعه: (إحداث العمران، وإنصاف المظلوم، وتأمين الخائف، وترويع الجبّار، وإصلاح الفاسد).

٩- جمع أحمد شوقي كفيّ الممدوح تحت حكم واحد، وهو معالجة بؤسِ الحياة، ثم قسَّم بؤسَ الحياة إلىٰ قسمين: مرض، وفقر، وكفّا الممدوح كفيلتان بعلاج البؤسين.

١٠- جمع إلياس عبد الله طعمة أبناء شعبه (لبنان) تحت حكم واحد، وهو الوفاق والسلام، ثم قسّم حكمه: السلام للأحياء في منازلهم، والسلام للأموات في ترابهم.





قائمة المراجع والأعمال الأدبية

١- المراجع:

١- المفصَّل في علوم البلاغة العربية. الدكتور عيسىٰ علي العاكوب. منشورات جامعة. حلب. ٢٠٠٠.

٢- البلاغة فنونها وأفنانها: علم البيان والبديع. الدكتور فضل حسن عباس. دار الفرقان للنشر والتوزيع. الأردن. ط ١٠- ٢٠٠٥.

٣- علوم البلاغة. الدكتور محمد أحمد قاسم، الدكتور محي الدين ديب. المؤسسة الحديثة للكتاب. طرابلس لبنان. ٢٠٠٣.

٤- البلاغة الواضحة. علي الجارم، مصطفىٰ أمين. دار المعارف. مصر. ١٩٩٩.

٥- علم البديع. الدكتور عبد العزيز عتيق. دار النهضة العربية. لبنان. ١٩٨٥.

٦- دراسات في علم البديع. الدكتور مصطفىٰ السيد جبر. (دريم) للطباعة مصر. ط ٤. ٢٠٠٧.

٧- لُباب البديع. الدكتور محمد حسن شرشر. دار الكتب. ط ٢. ٢٠٠٣.

٨- الصبغ البديعي في اللغة العربية. الدكتور أحمد إبراهيم موسىٰ. دار الكتاب العربي. القاهرة. ١٩٦٩.

٩- المعجم المفصل في علوم البلاغة. الدكتورة إنعام نوّال عكاوي. دار الكتب العلمية. لبنان. ط ٢. ١٩٩٦.



١٠- معجم البلاغة العربية. الدكتور بدوي طبانة. دار المنارة، دار الرفاعي. المملكة العربية السعودية. ط ٣. ١٩٨٨.

١١- علوم البلاغة. أحمد مصطفىٰ المراغي. دار الكتب العلمية. لبنان. ط ٢. ١٩٩٣.

١٢- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها. عبد الرحمان حسن الميداني. دار القلم. دمشق، الدار الشامية بيروت. ط ١. ١٩٩٦.

١٣- علم البديع. الدكتور بسيوني عبد الفتاح فيود. دار المختار للنشر والتوزيع. القاهرة. ط ٢. ١٩٩٨.

١٤- القول البديع في علم البديع. الشيخ مرعي بن يوسف الحنبلي. دار كنوز إشبيليا. الرياض. ١٤٢٥ هجرية.

١٥- بلاغة الطباق والمقابلة. الدكتور محمد علي أبو زيد. دار الأرقم. ١٩٩١.

١٦- فن الجناس. علي الجندي. دار الفكر العربي. مصر. ١٩٥٤.

١٧- جنان الجناس. صلاح الدين الصفدي. مطبعة الجوائب. قسطنطينية. ط ١. ١٢٩٩ هجرية.

١٨- الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي. عبد الهادي الفكيكي. دار النمير. سوريا. ط ١. ١٩٩٦.

١٩- أنوار الربيع في أنواع البديع. ابن معصوم. مطبعة النعمان. العراق. ط ١. ١٩٩٦.

٢٠- كشف اللثام عن التورية والاستخدام. ابن حجة الحموي. المطبعة الإنسية. بيروت. ١٣١٢ هجرية.

٢١- دلائل الإعجاز. عبد القاهر الجرجاني. تحقيق محمود محمد شاكر. مكتبة الخانجي. القاهرة. ٢٠٠٠.

٢٢- أسرار البلاغة. عبد القاهر الجرجاني. تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي. دار الكتب العلمية. بيروت. ط ١. ٢٠٠١.

٢٣- وشي الربيع بألوان البديع. الدكتورة عائشة حسين فريد. دار قباء. القاهرة. ٢٠٠٠.

٢٤- العقد البديع في فن البديع. للخوري بولس عواد. دار المواسم لبنان. ٢٠٠٠.

٢٥- البديع في شعر شوقي. الدكتور منير سلطان. مطبعة جامعة عين شمس. مصر. ط ٢. ١٩٩٢.

٢٦- فن البديع. الدكتور عبد القادر حسين. دار الشروق. القاهرة. ط ١. ١٩٨٣.

٢٧- الفنون البديعية. فوزي السيد عبد ربه عيد. مطبعة الحسين الإسلامية. مصر. ط ١. ١٩٨٨.

٢٨- حسن التعليل. الدكتور عيد محمد شبايك. دار حراء. القاهرة. ط ١.

٢٩- التضمين في العربية. الدكتور أحمد حسن حامد. الدار العربية للعلوم (لبنان)، دار الشروق للنشر والتوزيع (الأردن). ط١. ٢٠٠١.

٣٠- الإيضاح في علوم البلاغة. الخطيب القزويني. تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي. مؤسسة المختار. القاهرة. ط ٣. ٢٠٠٧.

٣١- البلاغة العربية في ثوبها الجديد. علم البديع. الدكتور بكري شيخ أمين. دار العلم للملايين. بيروت. لبنان. ط١. ١٩٨٧.

٢- الأعمال الأدبية:

١- ديوان محمود سامي البارودي. ضبط وتحقيق علي الجارم ومحمد شفيق المعلوف. دار العودة. ط١. ١٩٩٨.

٢- ديوان محمود غنيم (صرخة في واد). لجنة البيان العربي. مطبعة الاعتماد. مصر. ط١. ١٩٤٧.

٣- ديوان محمود غنيم (رجع الصدىٰ). مطابع دار الشعب. مصر. ط١. ١٩٧٩.

٤- ديوان الرافعي. تحقيق الدكتور ياسين الأيوبي. المكتبة العصرية. صيدا. بيروت. ٢٠٠٤.

٥- الأعمال الكاملة. مصطفىٰ صادق الرافعي. تقديم الدكتور عبد الله القط. مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان. ط ١. ١٩٩٤.

٦- ديوان حافظ إبراهيم. مكتبة لبنان. بيروت. ط ١. ١٩٩١.

٧- ديوان خليل مطران. دار الهلال، دار المعارف. مصر. ط ٢. ١٩٤٩.

٨- ديوان إسماعيل صبري باشا. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. ط ١. ١٩٣٨.

٩- الأعمال الكاملة. مصطفىٰ لطفي المنفلوطي. مراجعة أحمد زهوة. دار الكتاب العربي. لبنان. ط ١. ٢٠١٢.

١٠- الأعمال الشعرية الكاملة. أحمد شوقي. دار الكتاب العربي. بيروت. ١٩٨٨.

١١- الأعمال الكاملة. توفيق الحكيم. مكتبة لبنان ناشرون. لبنان. ط ١. ١٩٩٤.

١٢- المجموعة الكاملة. ميخائيل نعيمة. دار العلم للملايين. بيروت. ط ١. ١٩٧٥.

١٣- الأعمال الشعرية الكاملة. إيليا أبو ماضي. دار العودة. لبنان. ط ١٠. ٢٠١٥.

١٤- الأعمال الكاملة. الشاعر القروي. دار العودة. بيروت. ط ٧. ١٩٩٨.

١٥- الأعمال السياسية الكاملة. نزار قباني. منشورات نزار قباني. بيروت. ط ٢. ١٩٩٩.

١٦- الأعمال النثرية الكاملة. نزار قباني. منشورات نزار قباني. بيروت. ط ١. ١٩٩٣.

١٧- ديوان رشيد أيوب. مؤسسة هنداوي. مصر. ط ١. ٢٠١٢.

١٨- ديوان سجع الحمامة. بطرس كرامة. المطبعة الأدبية. بيروت. ط ١. ١٨٩٨.

١٩- ديوان عمر الأنسي (المورد العذب). عبد الرحمان طبيب. بيروت. ط١. ١٢٩٣هجرية.

٢٠- ديوان محمد توفيق علي. مؤسسة هنداوي. مصر. ط ١. ٢٠١٢.

٢١- ديوان بدر شاكر السياب. دار العودة بيروت. ٢٠١٦.

٢٢- ديوان أمين الجندي. دار المعارف بيروت. بدون تاريخ.

٢٣- حديث عيسىٰ بن هشام. محمد المويلحي. دار هنداوي. مصر. ٢٠١٢.

٢٤- مقامات عائض القرني. مكتبة الصحابة. الشارقة. الإمارات. ط١. ٢٠٠٠.

٢٥- الأخطل الصغير أمير الشعراء. بشارة الخوري. دار الكتاب العربي. لبنان. ط ١. ٢٠٠٦.

٢٦- المجموعة الكاملة. جبران خليل جبران. دار الجيل. بيروت. ط ١. ١٩٩٤.

٢٧- ديوان معروف الرصافي. مراجعة مصطفىٰ الغلاييني. مؤسسة هنداوي. القاهرة. ٢٠١٤.

٢٨- «سحر بابل وسجع البلابل»: ديوان جعفر الحلِّي. منشورات الشريف الرضي. العراق. ط١. ١٤١١هـ.

٢٩- ديوان محمد العيد آل خليفة. دار الهدىٰ. الجزائر. ط ١. ٢٠١٠.

٣٠- اللهب المقدس. مفدي زكريا. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية. الجزائر. ٢٠٠٧.

٣١- إلياذة الجزائر. مفدي زكريا. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. ط ٢. ١٩٨٧.

٣٢- ديوان الشيخ أحمد سحنون. منشورات الحبر. الجزائر. ط ٢. ٢٠٠٧.

٣٣- ديوان علي الجارم. دار الشروق.. القاهرة، بيروت. ط ١. ١٩٨٦.

٣٤- ديوان ألحان الأصيل. علي الجندي. دار الفكر العربي. مصر. ط١. ١٩٥٠.

٣٥- ديوان أغاريد السحر. علي الجندي. دار الفكر العربي. مصر. ط١. بدون تاريخ.

٣٦- فيض الخاطر. أحمد أمين. مكتبة النهضة. مصر. ط ٣. ١٩٥٣.

٣٧- آثار محمد البشير الإبراهيمي. دار الغرب الإسلامي. لبنان. ط ١. ١٩٩٧.

٣٨- ديوان أبي القاسم الشابي. تقديم مجيد طراد. دار الكتاب العربي. بيروت. ط ٢. ١٩٩٤.

٣٩- ديوان الشيخ عبد المحسن الكاظمي. دار إحياء الكتب العربية. مصر. ط ١. ١٩٤٨.

٤٠- ديوان محمد بلقاسم خمّار. دار أطفالنا للنشر والتوزيع. الجزائر. ط ١. ٢٠١٠.






محتويات الكتاب





مُحتَويَاتُ الكِتَابِ


تم بحمد الله



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
تجديد
علم البيان
بشواهد الأدب الحديث
تأليف / عمر مصطفاي
تجديد
علم البديع
بشواهد الأدب الحديث
تأليف / عمر مصطفاي
تجديد علم البديع - عمر مصطفاي
6 223006 074163
٨ شارع البيطار خلف الجامع الأزهر
ت: ٠٢/٢٥١٤١٧٠٤ - ٠١٠٠١٥٩٢٢٧١ - ٠١٢٢٢٣٨٨٨٩٣٠
dar_altakoa@hotmail.com dar_altakoa@yahoo.com
دار تواصل